صديق مسيحي
يقرأ القرآن

قراءة متأنية
وتأمل فكري عميق

جيمس رايت

حقوق النشر © 2019 جيمس رايت

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز تخزين أي جزء من هذا المنشور في نظام استرجاع، أو إرساله، بأي شكل أو بأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل و غير ذلك، دون الحصول على إذن مسبق من المؤلف.

يؤكد جيمس رايت على حقه الأخلاقي كمؤلف لهذا المنشور.

تمت الترجمة العربية بواسطة نادر عبدالامير. نادر عبد الأمير يؤكد على حقه المعنوي كمترجم لهذا العمل.

حقوق الطبع والنشر لصورة الغلاف
© Muhammad Annurmal & Станислав Саблин
Dreamstime.com

نشر بواسطة

New Yurt Books

email: info@christianreadsquran.com
www.christianreadsquran.com
ISBN-13: 978-0-359-73798-7
ISBN-10: 0-359-73798-6

جميع اقتباسات الكتاب المقدس مأخوذة من الكتاب المقدس العربي المترجم من النصوص اليونانية والعبرية بواسطة: كورنيليوس فان الين فان دايك، ايلي سميث، ناصيف اليازجي، بطرس البستاني و يوسف القصير.

جميع الاقتباسات القرآنية مأخوذة من مصحف المدينة المنورة، المملكة السعودية العربية.

Also published in English
A Christian Reads the Qur'an:
Honest Reading, Honest Reflection
ISBN-13: 978-1-9849-3793-3
ISBN-10: 1-9849-3793-6

Türkçede Yayımlandı
Bir Hristiyan Kur'an Okuyor
ISBN-13: 978-605-81284-8-43
ISBN-10: 605-81284-8-X
Yeni Anadolu Yayıncılık
Kazım Dinçol San. Sit. No: 81/87, Topkapı, İstanbul - Türkiye
Tel: +90 (212) 567 89 92 - E-mail: yaybilgi@gmail.com

إهداء

في ذكرى المعلم نبيل قريشي وكل من يبحث بصدقٍ عن الحقيقة، وكما قال فرانسيس شافر مراراً، إن من يسألون أسئلة صادقة يستحقون جواباً صادقاً.

محتويات

القراءة في شهر رمضان

الفصل الأول ٢١
السورة الأولى: الفاتحة

الفصل الثاني ٢٣
السورة الثانية: سورة البقرة

دليل نبوة الرسول {السورة ٢: ٢٣ -٢٤}
صعود وسقوط بني البشر {السورة ٢: ٣٠ -٣٤}
الحقيقة والكذب {السورة ٢: ٤٢}
بنو إسرائيل {السورة ٢: ٤٠}
الوصايا العشر {السورة ٢: ٥٣}
الكتب المحرفة {السورة ٢: ٥٩}
المسلمون واليهود والمسيحيون وآخرون {السورة ٢: ٦٢}
موسى والأضحية {السورة ٦٧:٢-٧٣}
علم الكتاب {السورة ٢: ٧٨}
تأكيد الكتب السابقة {السورة ٢: ٩٧}
نسخ الآيات {السورة ٢: ١٠٦}
الدعاء للغرباء والأعداء {سورة ٢: ١٠٥}
سرقة إيمان الناس {السورة ٢: ١٠٩}
هل يقرأ اليهود والنصارى نفس الكتاب؟ {السورة ٢السورة ٢: ١١٣}
الله لم يلد ولدا {السورة ٢: ١١٦-١١٧}
إتباع أهواء الآخرين {السورة ٢: ١٢٠}
الكعبة {السورة ٢: ١٢٧}
إيمان إبراهيم، إسماعيل، إسحاق داود وسيدنا عيسى {السورة ٢: ١٣٥-١٣٦}
تحويل القبلة {السورة ٢:١٤٢}
رمضان {السورة ٢: ١٨٥}
الجهاد في سبيل الله {السورة ٢: ١٩٠-١٩٣}
الحج {السورة ٢: ١٩٦-٢٠٣}
الطهارة {السورة ٢: ٢٢٢}
الطلاق والزواج {السورة ٢: ٢٢١-٢٤١}
لا إكراه في الدين {السورة ٢: ٢٥٦}

البعث {السورة ٢: ٢٥٩}
أعمال الخير والذنب {السورة ٢: ٢٧١}
فرض الربا على الديون {السورة ٢: ٢٧٥}
الجزاء الروحي {السورة ٢: ٢٨١}

الفصل الثالث ٤٧
سورة آل عمران

الكتب والمعاني {السورة ٣: ٧}
جهنم والعقاب {السورة ٣: ١٠}
الثروة الروحية أو الثروة المادية؟ {السورة ٣: ١٤}
الدين والصداقة {السورة ٣: ٢٨}
الشر الكامن {السورة ٣: ٣٠}
سيدنا عيسى في القرآن {السورة ٣: ٣٣-٥٩}
ذنب الشرك {السورة ٣: ٨٠}
طريق الضلال {السورة ٣: ١٠٠}
أعداء مُؤْذون {السورة ٣: ١١١}
من هو المحسن {السورة ٣: ١٣٣-١٣٤}
ما محمد إلا رسول {السورة ٣: ١٤٤}
معركة أحد {السورة ٣: ١٣٠-١٨٠}

الفصل الرابع ٦٩
سورة النساء ٤

الرفق بالمحتاج {السورة ٤: ٩-١٠}
معاقبة مرتكب الفاحشة {السورة ٤: ١٥-١٦}
كيف يعامل الأزواج الزوجات {السورة ٤: ٣٤}
شراء الضلالة {السورة ٤: ٤٤}
الذنب الذي لا يغتفر {السورة ٤: ٤٨}
الشفاعة {السورة ٤: ٦٤}
الامتناع عن القتال {السورة ٤: ٧٤-٧٨}
إبراهيم خليل الله {السورة ٤: ١٢٥}
اليهود لم يقتلوا سيدنا عيسى {السورة ٤: ١٥٣-١٦١}
لا تقولوا ثلاثة {السورة ٤: ١٧١}

الفصل الخامس ٨٣
سورة المائدة

الحرام والحلال {سورة٥: ١-٥}
الغسل {السورة ٥: ٦}
الله هو المسيح {السورة ٥: ١٧-١٨}
أبناء الله { السورة ٥: ١٨}
الموت من أجل إبن آخر {السورة ٥: ٢٩}
متى يكون القتل مباحاً ؟ {السورة ٥: ٣٢-٣٣}
التحريف أو الثقة؟ {السورة ٥: ٤٧-٤٨}
الصداقة مع اليهود والنصارى {السورة ٥: ٥٢}
نفس الآية {السورة ٥: ٦٩}
خبز الحياة {السورة ٥: ٦٨-١٢٠}

الفصل السادس ٩٣
من سورة الأنعام

الحكم على الكفر {السورة ٦: ١-١٥}
البرهان؟ {السورة ٦: ١٩}
الموت في البحر {السورة ٦: ٦٣-٦٤}
لا تقتلوا أبناءكم {السورة ٦: ١٥١}
لماذا أنزل القرآن؟ {السورة ٦: ١٥٥-١٥٦}

الفصل السابع ٩٩
سورة الأعراف

موازين الخير والشر {السورة ٧: ٨-٩}
سَمّ الخياط {السورة ٧: ٤٠}
الله يزور الأرض {السورة ٧: ١٤٣}
حكم الوصايا العشر {السورة ٧: ١٤٥}
هل تنبأ التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل بمحمد؟ {ال سورة٧: ١٥٧}
أسماء جميلة لي لله {السورة ٧: ١٨٠}

الفصل الثامن ١٠٩
السورة ٨: الأنفال

أي نوع من الحرب {السورة ٨}

الفصل التاسع ١١٣
السورة ٩: التوبة

حكم العهود مع غير المؤمنين {السورة ٩: ١-٢٩}
لماذا قتال اليهود والنصارى؟ {السورة ٩: ٣٠-٣١}
مؤمنون مزيفون {السورة ٩: ٥٦}
ظهور عدو جديد {السورة ٩: ٧٣}
اتباع القائد {السورة ٩: ٨٦-٨٨}
المساجد الزائفة {السورة ٩: ١٠٧-١١٠}
ما مدى لطف الله؟ {السورة ٩: ١١٣}

الفصل العاشر ١٢٣
السورة ١٠: يونس

الطريق المستقيم {السورة ١٠ :٢٥}
كتب الأنبياء {السورة ١٠: ٣٧-٤٠}
سفينة نوح {السورة ١٠: ٧٣}
اسأل أهل الكتاب {السورة ١٠: ٩٤}

الفصل الحادي عشر ١٢٩
السورة ١١: هود

ما هو الفضل {السورة ١١: ٣}
ضحكة سارة {السورة ١١: ٧١}

الفصل الثاني عشر ١٣١
السورة ١٢: يوسف

قصص للعبرة {السورة ١٢}

الفصل الثالث عشر ١٣٣
السورة ١٣: الرعد

في البداية {السورة ١٣: ١٦}
مزيدا من الأحكام {السورة ١٣}

الفصل الرابع عشر ١٣٧
السورة ١٤: إبراهيم

رسول يتكلم العربية {السورة ١٤: ٤}
الجوهر الحقيقي للإنسانية {السورة ١٤: ٣٤}

الفصل الخامس عشر ١٤١
السورة ١٥: الحجر

الله يحفظ رسالته {السورة ١٥: ٩}
مهاجمة القرآن {السورة ١٥: ٩١}

الفصل السادس عشر ١٤٣
السورة ١٦: النحل

خلق على صورة الله {السورة ١٦: ١٧}
البعث الأخير {السورة ١٦: ٣٨}
اسأل مسيحيا {السورة ١٦: ٤٣}
لا تتخذ إلهين {السورة ١٦: ٥١}
لا أحد خير {السورة ١٦: ٦١}
العبودية {السورة ١٦: ٧١-٧٦}
لكل أمة شهيد {السورة ١٦: ٨٩}
تغيير الاعتقاد {السورة ١٦: ١٠٦-١٠٧}
أنشر الإسلام {السورة ١٦: ١٢٥}

الفصل السابع عشر ١٥١
السورة ١٧: الإسراء أو بنو إسرائيل

زيارة القدس {السورة ١٧:١}

الفصل الثامن عشر ١٥٣
السورة ١٨: الكهف

النائمون في الكهف {السورة ١٨: ٩-٢٦}
لا مبدل لكلماته {السورة ١٨: ٢٧}
الحصول على رضا الله {السورة ١٨: ٤٦-٥٣}
هل كان إبليس ملاكا أم جنيا؟ {السورة ١٨: ٥٠}
ذو القرنين {السورة ١٨: ٨٣-٩٩}
أين تغرب الشمس؟ {السورة ١٨: ٨٦}

الفصل التاسع عشر ١٥٩
السورة ١٩: مريم

يحيى النبي {السورة ١٩: ١-١٥}
موت سيدنا عيسى {السورة ١٩: ٣٣}

الفصل العشرون ١٦٣
السورة ٢٠: طه

موسى والنار

إحساس آدم بالعار {السورة ٢٠: ١١٥-١٢٣}

الفصل الواحد والعشرون ١٦٥
السورة ٢١: الأنبياء

أسماء محمد {السورة ٢١: ١٠٧}

الفصل الثاني والعشرون ١٦٧
السورة ٢٢: الحج

الجدال بغير علم {السورة ٢٢: ٨}
جهنم {السورة ٢٢: ١٩-٢٢}
القدرة على الخلق {السورة ٢٢: ٧٣}

الفصل الثالث والعشرون ١٧١
السورة ٢٣: المؤمنون

خلق البشر {السورة ٢٣: ١٢-١٤}

الفصل الرابع والعشرون ١٧٣
السورة ٢٤: النور

قوانين تنظم الجنس {السورة ٢٤: ٢-٣٣}

الفصل الخامس والعشرون ١٧٧
السورة ٢٥: الفرقان

هل تسمية الله محب كفر؟ {السورة ٢٥: ٦٠}

الفصل السادس والعشرون ١٧٩
السورة ٢٦: الشعراء

الفصل السابع والعشرون ١٨١
السورة ٢٧: النمل

الفصل الثامن والعشرون ١٨٣
السورة ٢٨: القصص

الفصل التاسع والعشرون ١٨٥
السورة ٢٩: العنكبوت
كيف يمكننا أن نفعل شيئا صالحا؟ {السورة ٢٩: ٧}
نفس الإله؟ {السورة ٢٩: ٤٦}

الفصل الثلاثون ١٨٩
السورة ٣٠: الروم
الطوائف الإسلامية {السورة ٣٠: ٣٢}

الفصل الواحد والثلاثون ١٩١
السورة ٣١: لقمان
ملء الأرض بالكلمات {السورة ٣١: ٢٧}

الفصل الثاني والثلاثون ١٩٣
السورة ٣٢: السجدة
مصيرهم جهنم {السورة ٣٢: ١٣}

الفصل الثالث والثلاثون ١٩٥
السورة ٣٣: الأحزاب
حياة محمد {السورة ٣٣}

الفصل الرابع والثلاثون ١٩٧
السورة ٣٤: سبأ
تحذيرات أكثر {السورة ٣٤}

الفصل الخامس والثلاثون ١٩٩
السورة ٣٥: فاطر
ما ترك على ظهرها من دابة {السورة ٣٥: ٤٥}

الفصل السادس والثلاثون ٢٠١
السورة ٣٦: ياسين
مدان {السورة ٣٦: ٦}

الفصل السابع والثلاثون ٢٠٣
السورة ٣٧: الصافات
التضحية والفداء العظيم {السورة ٣٧: ١٠٢-١٠٧}

الفصل الثامن والثلاثون ٢٠٧
السورة ٣٨: ص
معلومات أكثر حول الجنة {السورة ٣٨: ٤٩-٥٣}

الفصل التاسع والثلاثون ٢٠٩
السورة ٣٩: الزمر
السورة ٤٠: غافر
أو المؤمنين
مزيدا من الجزاء والحساب {السورة ٣٩ و٤٠}

الفصل الأربعون ٢١٣
السورة ٤١: فصلت
لماذا يوجد الشر؟ {السورة ٤١: ٤٩}

الفصل الواحد وأربعون ٢١٧
السورة ٤٢: الشورى
هل يتكلم الله مع الناس؟ {السورة ٤٢: ٥١}

الفصل الثاني وأربعون ٢١٩
السورة ٤٣: الزخرف
كتاب بالعربية {السورة ٤٣: ٣}
عودة سيدنا عيسى المسيح {السورة ٤٣: ٦١}

الفصل الثالث وأربعون ٢٢١
السورة ٤٤: الدخان
السورة ٤٥: الجاثية
المزيد من الصور الدرامية {السورة ٤٤: ٤٣-٤٨}

الفصل الرابع وأربعون ٢٢٣
السورة ٤٦: الأحقاف
القرآن يؤكد صحة الإنجيل {السورة ٤٦: ١٠}

الفصل الخامس وأربعون ٢٢٥
السورة ٤٧: محمد أو القتال
أن تكون مرتاحاً أو لا تكون {السورة٤٧ : ٢٠}

الفصل السادس وأربعون ٢٢٧
السورة ٤٨: الفتح
الفتح {السورة ٤٨}

الفصل السابع وأربعون ٢٢٩
السورة ٤٩: الحجرات
الشك {السورة ٤٩: ١٥}

الفصل الثامن وأربعون ٢٣١
السورة ٥٠: ق
أقرب من حبل الوريد {السورة ٥٠: ١٦-١٧}

الفصل التاسع وأربعون ٢٣٣
السورة ٥١ : الذاريات
الغفران {السورة ٥١: ١٨}
مغفور وغافر

الفصل الخمسون ٢٣٧
السور ٥٢-٦١
السور الأقل طولاً
المياه المالحة والعذبة {السورة ٥٥: ١٩}

الفصل الواحد وخمسون ٢٣٩
السور ٦٢-٧٠
صلاة الجمعة ليست اختيارية {السورة ٦٢: ٩-١١}
المنافقون {السورة ٦٣}
روح الله نفخت في مريم {السورة ٦٦: ١٢}

الفصل الثاني و الخمسون ٢٤١
السور ٧١-٧٨
اقرأ القرآن {السورة ٧٣: ٢٠}
مزيدا من الجزاء والعقاب {السور ٧٣-٧٨}

الفصل الثالث والخمسون **٢٤٣**
السور ٧٩-٨٧

رجل أعمى {السورة ٨٠: ١-٢}
في لوح {السورة ٨٥: ٢٠-٢١}

الفصل الرابع والخمسون **٢٤٥**
السور ٨٨-١١٤

ما هي مشكلتنا {السورة ٩٨: ٥}
الله لم يولد {السورة ١١٢}
عقيدة مجمع خلقيدونية
الكاتب

شكر وتقدير

مرة أخرى وفي الوقت الذي أحرث فيه أخاديد طويلة وصلبة من خلال الكتابة أريد أن أقدم شكراً خاصاً لزوجتي فكانت دائماً تقول أنها تتمنى لو كانت تزوجت فلاحاً أنا لست فلاحاً وهي لم تتزوج فلاحاً بالمعنى الحرفي للكلمة، لكن سواء جلس الإنسان خلف لوحة المفاتيح أو مقود جرار، فإنه في كلتا الحالتين يقوم بعمل هائل بمحاولته إعداد الأرض حتى تتمكن البذور من تكوين الجذور والنمو والإنتاج، ففي الوقت الذي كانت تنتظرني فيه بصبر خلال لحظات أوقات الحرث الطويلة، هى لم تقدم لي التشجيع فقط بل إنها كانت تفعل ذلك دائماً بتوهجها الفريد الذي يمنح اللون و الطعم للحياة.

وأود أيضاً أن أشكر العديد من الأصدقاء اللذين أعطوا الكثير من الوقت والمجهود في المراجعة والتدقيق فيما يقدمه الكتاب حتى يصل إلى جودة جيدة فقد اقترحوا الكثير من الآراء، فقد اقترحوا بعض التغييرات في أسلوب الإلقاء التي جعلت قراءته أفضل وأسهل ولكنني ما كنت أستطيع أن أقوم بذلك بمفردي.

القراءة في شهر رمضان

جاء شهر رمضان مرة أخرى ثانية وقررت أن أقرأ القرآن، وسبق لي أن درست القرآن في الماضي لكن أردت هذه المرة أن أقرأ كل القرآن قراءة متأنية جدا.

فأنا من أتباع سيدنا عيسى المسيح. وأحياناً ينادني بعض من الناس بالمسيحي، رغم أنني اكتشفت أن الناس لا يفهمون حقاً ما تعنيه هذه الكلمة وأحياناً يكوّنون أفكاراً خاطئة وأحياناً غريبة عن المسيحيين. أنا أعيش في أسيا ولا يهم أي مكان سوف أكون في الأماكن أقوم التي بزيارتها، فقد أكون في موسكو في الشمال الأقصى أو الغابات المليئة بالضباب في المشبعة بالبخار بتايلاند فالكثير من الناس يعتقدون أن كلمة المسيحي تعني الأوروبي أو الأمريكي أو شيء آخر. أو إنه شخص يشرب الخمر ويأكل لحم الخنزير ويطارد بنات الهوى بالشارع العام بل هناك أيضاً من يعتقد أن بعض المسيحيات عاهرات !!

يغذي التلفزيون والأفلام هذه الأفكار الخاطئة، أليست الكنيسة هذه البناية الجميلة القديمة حيث يُقدم إليها المذنبون لكي يعترفوا بذنوبهم وتكون للقسيس؟ لكن بعد الاعتراف تعود الحياة إلى طبيعتها ويعود المسيحي إلى شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ومطاردة النساء فتبدو لي هذه الصورة كلها مقززة حقاً وإذا كان هذا هو دين المسيحية فأنا أقول فلنرمي كل شيء في عمق البحر.

أنا لست من هذا النوع من المسيحيين، وهل هؤلاء الناس حقاً مسيحيون؟ سنرى في هذا الكتاب أن هذا ليس طريق الله، إن شرب الخمر هو بكل تأكيد فعل سيء ويمكن أن يتسبب في مشاكل كثيرة لمن يشربها، ولا أعتقد أن أكل لحم الخنزير هو في حد ذاته خطأ بالضرورة لكنني أحترم الناس الذين يمتنعون عن أكله، غير أنك لن تراني أبداً آكل قطاً أو كلباً وأيضاً أؤمن بالزواج بين الرجل والمرأة وأرفض كما يعلمنا الله الانحراف الجنسي لأنه يبخس قيمة الحياة ويحطمها لأن الله خلقنا من أجل الحب الذي يدوم وليس من أجل لذة زائلة.

إن ابن مريم له اسم خاص هو المسيح كما أن أتباعه يسمون المسيحيين وإنهم يحبونه ويثقون به ويتبعون نهجه في إطار حياة مقدسة مختلفة تماماً عن حياة العالم.

في شهر رمضان يصوم جيراني فى النهار بكل صدق وبعد ذلك يجئ الغروب ويحمل معه ضوء الشمس على المساجد وصوت دوي مدفع الإفطار وأيضاً يجئ معه حبة التمر

وكوب من الماء، وبعد أن يملئون معدتهم يجلسون ليتمتعوا بلحظات بعد الإفطار وبعدها يشربون كثيراً من الشاي والقهوة.

يعتبر الصيف وقتاً صعباً لصيام رمضان نظراً لطول نهاره والطقس الحار، أيضاً يُحرم على المسلم شرب الماء والتدخين وبلع الريق. ورغم ذلك فالمسلمون يصومون كل سنة على أمل أن يكونوا عباداً مخلصين لله.

يعيش الملايين من المسلمين في مجتمعات أغلبيتها مسلمة عبر العالم ويتطلع البعض منهم إلى لقاء غير المسلمين ويسألونني «ما هو رأيك في النبي محمد؟». عندما أقول لهم بأنني قرأت القرآن، يسألونني عن الأثر الذي تركته في تلك القراءة، وعن رأيي في القرآن.

إن أجدادي ليسوا عرباً ويبقى هذا احتمال وليس امراً اكيداً، فقد هاجر أجدادي من مناطق بعيدة في الماضي وتؤكد التحاليل الجينية أن آباء أجدادي عاشوا في اسبانيا، ايرلندا النرويج وحتى في القوقاز، لكنني أعرف أن كل البشر ينحدرون من آدم وحواء، أنا أيضاً أتكلم التركية والإنجليزية والكازاخستانية وبعض الروسية، لكنني متعلم مبتدئ للغة العربية.

يريدني العديد من أصدقائي المسلمين أن أقرأ القرآن لأنهم يعتقدون بأنه أهم كتاب في هذا العالم

يقول العديد من المسلمين أنه لكي تفهم القرآن يجب أن تتعلم لغة القرآن غير أن نسبة قليلة فقط من الناس في العالم يتكلمون ويقرؤون اللغة العربية العصرية وهذه أقل سهولة من لغة القرآن، بالإضافة إلى أن نسخ القرآن الأولى استعملت لغة عربية بدون تشكيل اللغة، حيث لا أحد اليوم يعرف كيف كان المسلمون الأولون ينطقون تلك الكلمات الغير مُشكّلة.

لي علاقة جيدة باللغة العربية لكننا لسنا أصدقاء فا العلاقة ليست حميمية، أقرأ لغة القرآن بمساعدة التأويلات والكتابة الصوتية للغة العربية عبر اللغة اللاتينية يقول العلماء المسلمون بأن لغة القرآن هي لغة إلهية ولا يمكن ترجمتها، فقد قام مصطفى كمال أتاتورك بفرض اللغة التركية كلغة للأذان لكن تم اعتبار ذلك فيما بعد غير مقبول لأن عندما يُقرأ القرآن يجب أن يُقرأ باللغة العربية الأصلية وحتى عندما يكون بعض المستمعين من غير العرب لا يفهمون المعنى بكل تدقيق.

لكي أدرس القرآن قمت بشراء نسخة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية تسمى: -

اشتريت لدراسة القرآن ترجمة انجليزية للقرآن (*The meaning of the Holy Qur'an*)، معنى القرآن المقدس، للكاتب عبد الله يوسف علي.

لقد استعملت الكثير من الترجمات على الإنترنت وأحيانا تكون الترجمات مشابهة لبعضها البعض لكن أحيانا يكون هناك اختلاف. ما من وسيلة من هذه الوسائل تقوم مقام تعلم اللغة العربية، لكن عمر الإنسان لا يسعفه لاستكمال هذه المهمة الكبيرة.

لمذا يقرأ مسيحي القرآن الكريم؟ من أجل انتقاده؟ أم من أجل تغيير دينه للإسلام؟ يريدني العديد من أصدقائي المسلمين أن أقرأ القرآن لأنهم يعتقدون بأنه أهم كتاب في هذا العالم.

لا أريد أن أنتقد القرآن لكن أريد فقط التفكير فيه وأسعى للحكمة والتواضع والعبادة والتعبد، هل أريد أن أكون مسلماً؟ أريد أن أعرف الحقيقة وأتبعها أينما وجدتها لا أريد أن يُحدَّد مصيري بالعرق ولا بالثقافة ولا بالآباء بالسلالة أو بالقدر ماذا لو كان بإمكاني أن أختار؟ إذا كان بإمكاني اختيار الحقيقة فإنني أريد أن آخذ القرار بنفسي بعد البحث عنها بكل قلبي.

أهدف كذلك أيضاً إلى كسب الاحترام لأن غالباً ما يعيش المسلمون والمسيحيون في عوالم متشابهة فقد تساعد قراءة القرآن على بناء جسور من الاحترام في ما بينهم، يقول القرآن : «ولا تجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن». {سورة ٢٦ :٤٦}، عندما يتكلم القرآن على الكتب السابقة يذكر التوراة وكتب الأنبياء و الزبور والإنجيل لقد درست التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل، وكلي شوق لمعرفة سبب حديث القرآن عن هذه المواضيع المهمة «خالق الخير والشر، الملائكة والشياطين، الجنة والنار، الأنبياء و التوراة، الزبور والإنجيل وسيدنا عيسى المسيح» هذه الأشياء هي ذات أهمية لي وللمسلمين كذلك.

الفصل الأول

السورة الأولى: الفاتحة

من أين نبدأ؟ القرآن ليس كتاباً صغيراً وليس بالسهل أيضاً اللغة فيه معقدة وكذلك المضمون هناك ٦٠٠٠ آية في ١١٤ سورة.

كتب المسلمين النسخة الأولى كاملة للقرآن في سنة ال ٦٥٠ ميلادية وبعد ذلك كُتبت نسخ عديدة إلى اليوم وبمساعدة الطباعة العصرية والتكنولوجيا الرقمية هناك الآن مليارات النسخ للقرآن في العالم و يزداد العدد سنة بعد سنة مع انتشار الإسلام تُطبع نسخ القرآن بواسطة الحبر والورق، غير أن العديد من المسلمين يعتقدون أنه مقدس ما دام القرآن هو كلام الله الذى أنزله جبرائِيل على النبي محمد (ص)، فإنه يجب التعامل مع هذا الكتاب باحترام ويعتقد بعض الناس أن الله أنزل القرآن في حين آخرين يعتقدون أنه قديم وغير محدث ولأن القرآن مقدس يعتقد المسلمون أنه يجب التعامل باحترام مع الحبر والورق المقوى الذي يتكون منها الغلاف والتي استعملت كلها لطباعة القرآن وعدم احترام الكتاب في شكله المادي هو عدم احترام لله وأيضاً محرم على أي مسلم بأن يلقي بالقرآن على الأرض.

ممكن أن أحاول قراءة القرآن بإحدى الطرق الثلاث التالية «الطريقة الأولى هي قراءته بطريقة خطية من البداية حتى النهاية الطريقة الثانية هي قراءته حسب المواضيع التي تناولها كالجنة والنار أو الأنبياء والملائكة والطريقة الثالثة هي قراءته بطريقة زمنية بدءاً بالسور التي أُنزلت في البداية {المكية} وانتهاء بالسور التي أنزلت بعد ذلك إلى آخر حياة النبي {مدنية}» لكن الطريقة الأخيرة هي الأكثر تعقيداً لكن أبسط طريقة لقراءة القرآن هي البدء من أول سورة حسب ترتيب السور.

السورة الأولى: الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

تقرأ سورة الفاتحة ملايين المرات يومياً من العديد من المسلمين حول العالم على سبيل المثال: بسم الله الرحمن الرحيم تبدو هذه الكلمات قديمة لكنها مألوفة، وبالرجوع إلى ٢٠٠ سنة قبل النبي محمد اكتشفت أن هذه الكلمات مذكورة في التوراة، إن اللغة العبرية في التوراة هي قريبة جداً من اللغة العربية القرآنية وعلى كل حال في اللغتين هما لغة أبناء سيدنا إبراهيم.

أنظر فقط إلى هذه الكلمات:

رحمن (רָחַם) / الرَّحمنِ

حنون (חַנּוּן)

رحوم (רַחוּם) / الرَّحيمِ

ليست هذه الآيات هي الوحيدة التي تسمي الله بالرحمن الرحيم فقد ذكرت كلمة رحيم في التوراة والزبور وكتب الأنبياء الأوائل ٤٧ مرة والرحمن ٤٤ مرة و حنون (חַנּוּן) {مرادف للرحمن في العبرية} ١٣ مرة، كان الأنبياء الأوائل يرددون هذه الكلمات مراراً وتكراراً كما أن القرآن يتضمن ١٢٣ آية ذُكر الله فيها باسم الرحيم و٦٢ آية ذُكر فيها اسمه باسم الرحمن.

السورة الأولى {الفاتحة} هي تبجيل لله وتتضمن دعاء: «اهدنا الصراط المستقيم» يطرح هذا بعض الأسئلة إذا كنا نحتاج مساعدة الله ليهدينا إلى الصراط المستقيم فأين هي طرق الضلال؟ وكم عددها؟ وما هو أصلها؟ وما هو مصيرها وهل تؤدي إلى جهنم؟

صعب إذن أن تجد الطريق المستقيم ولو كان الوصول إليه سهلا لما احتجنا إلى مساعدة الله لإيجاده! وإذا تُرك الناس لأنفسهم فالأمل ضئيل في أن يتجنبوا من تلقاء أنفسهم الطريق الذى يؤدي إلى الخراب وهناك يوجد شيء ما يسبب مشاكل كبيرة للناس.

تقر السورة الأولى بأن الطرق ليست كلها متشابهة! إذن كيف نتعرف على الطريق المستقيم؟ يجب أن يكون هذا السؤال إحدى الأسئلة التي تواجهنا.

الفصل الثاني

السورة الثانية: سورة البقرة

أسابيع بعد شهر رمضان ذبح جيراني عجلاً ضخماً خلف المنزل حيث إنه عيد الأضحى ورُفعت فيه الأدعية إلى السماء وجرى الدم بالشوارع من عدد لا يحصى من الذبائح.

تسمى السورة الثانية بكل بساطة «البقرة». كنت أفكر في العجل الذي ذبحه جيراني وأنا أقرأ سورة البقرة تحتوي هذه السورة على ٢٨٦ آية الأمر الذي يجعل منها أطول سورة في القرآن ولأن هذه السورة طويلة لم أتمكن من تدبر كل آية على حدة ويتطلب ذلك قراءة متأنية!

دليل نبوة الرسول {السورة ٢: ٢٣ ـ ٢٤}

تقدم الآيتان ٢٣ و٢٤ ما يعتبر دليلاً قاطعاً على نبوة الرسول ويُعتقد أن تمكنه من اللغة العربية الشفهية هو أعلى من تمكن أي إنسان آخر وكانت مهاراته الشفهية الجيدة والمدهشة أحسن من مهارات أي إنسان آخر وكان يبدو أن هذا دليل على أن الرسالة التي بُلّغها للناس هي من وحي الله.

صعود وسقوط بني البشر {السورة ٢: ٣٠ ـ ٣٤}

تشرح البقرة خلق الإنسان من الآية ٣٠ إلى ٣٤، تقول تلك السورة في هذا المقطع بأن الملائكة تنبأوا بمشكلة كبيرة بأن الإنسان سوف يتمرد ويفسد.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

رغم هذا التنبؤ بتمرد الإنسان تقول الآية ٣٤ بأن الله لم يقرر فقط خلق الإنسان بل أمر الملائكة بالسجود له، حيث يقول النبى داود: وبغرابة يتفق الزبور مع هذا و يقول النبي داود في المزامير مع الفكرة القائلة إن يخلق الله مخلوقات متدنية مثل الإنسان.

«فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانِ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ»

(مزمور ٨ من ٤-٧)

عندما خلق الله آدم وزوجته حواء سكنوا جنة كبيرة حيث أُمروا بأن يتمتعوا بأكل جميع أنواع ثمار الأشجار باستثناء واحدة، لكن الشيطان تمكن من إغوائهما وأكلوا الثمرة المحرمة من قبل الله، يقول القرآن

«فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ» ﴿٣٦﴾

كيف كانت حياتهم قبل أن يأكلوا من الثمرة المحرمة؟ ألم تكن حياتهم بريئة خالية من الذنب والشعور بالعار أو الإدانة؟ عندما فقدوا براءتهم أمرهم الله بمغادرة الجنة.

الله يعّد بالمساعدة.

يحتاج آدم وحواء وأبناءهم توجيها من الله لكن هناك مشكلة أخرى، ماذا عن الذنب؟ تخيل أن أحداً سرق ١٠٠٠٠٠ دولار من بنك وتمكنت الشرطة في النهاية من القبض على السارق، سوف يقول لهم السارق بأنه وجد الطريق المستقيم وأنه سيمنح ٥٠٠٠٠ دولار لدار للأيتام ويعدهم بأنه لن يسرق مرة أخرى أبداً! هل تكفي أعمال الخير التي قام بها وندمه لمسح آثار خطئه؟ ماذا لو أنه قد قُتل حارس البنك عند قيامه بالسرقة؟

فقد ألبسهم الله جلد الحيوانات... قدم لهم الله فقط التضحية المناسبة لستر عورتهم

تصف التوراة تحذير الله لآدم وحواء من أكل الثمرة المحرمة فقال لهم الله بأنهم إذا أكلوا الثمرة المحرمة فإنهم سوف يموتون.

الشيطان كذاب. كذب على حواء وقال إنهما لن يموتا إن هما أكلا الثمرة المحرمة. لكنها ماتا. أولا، شاخا في الأخير ومرضا وماتا موتًا جسديًا. ثانيا، وهو الأخطر، ماتت علاقتها مع الله. لقد خجلا من معصيتهما وحاولا الاختباء من الله.

غير أن شيئا مدهشاً حدث: أولاً وعد الله بإرسال شخص مميز سماه «الرب». وحذر الله الشيطان قائلاً

«وَأَضِعُ عِدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ».

(التكوين ٣: ١٥)

ثانياً: قدم أول تضحية في تاريخ البشرية عوض أن يترك آدم وحواء في حالة العري المخجلة فقد ألبسهم الله جلد الحيوانات من أين أتت جلود الحيوانات؟ هل قتل الله بعض الحيوانات ليوفر لهم هذه الجلود؟ كلا فقد قدم لهم الله فقط التضحية المناسبة لستر عورتهم ؟

الحقيقة والكذب {السورة ٢: ٤٢}

ذات مرة سأل الحاكم الروماني سيدنا عيسى المسيح «ما الحقيقة؟». كما يحذر القرآن من إلباس الحق بالباطل فالحقيقة تمنح الحرية، يتحتم على الإنسان إذا اكتشف أن صماماً بقلبه قد فسد وينبغي القيام بإجراء عملية جراحية عاجلة لمعرفة هذه الحقيقة و إن إجراء العملية تمكنه من أن يعيش حياة أطول وأسعد.

كيف نعرف الحقيقة؟

يقدم العلم والتكنولوجيا أشياء مذهلة مثل يمكن للطائرات أن تطير حول العالم لساعات وربط الكمبيوتر بين الناس ويمكّن من ترجمة اللغات في لحظات يمكّن الطب واللقاح من أن يعيش الناس حياة أطول، لكن هذه الأشياء لا تقول حقيقة الله، إنه يوجد استقلال عن عالمنا المادي.

يقول الإنجيل:

«امتحنوا كل شيء يمسكوا بالحسن»

(رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي ٥: ٢١)

في وقتنا المعاصر نسمي هذا «التفكير النقدي» يمكننا أن نكتشف الحقيقة إذا ما وضعنا السؤال.

حول حقيقة شيء ما يجب البحث عن أدلة متعددة للوصول إلى الحقيقة لقد وضع بنى سيدنا عيسى المسيح «مبدأين أو ثلاثة مبادئ» يقول بأن كل حقيقة تحتاج لتأكيدها إلى اثنين أو ثلاثة شهود و هذا المبادئ ضروري لتحديد الحقيقة الطبيعية والروحية.

يقول المثل «عدة أعين ترى أحسن من واحدة» غير أن ذلك صحيح فقط إذا فتح الناس

أعينهم قد لا ترى عدة أعين أحسن من واحدة ولا تُدرك الحقيقة إلا من طرف هؤلاء الذين يبحثون ويسألون ويسمعون.

بنو إسرائيل {السورة ٢: ٤٠}

من هم بنو إسرائيل؟ أين كانوا يسكنون حين كان محمد على قيد الحياة؟ ما هو الميثاق الذي عقدوه مع الله؟ عادة يعني الميثاق وجود اتفاق وهو أعمق من العقد حيث يسلم الناس أنفسهم لبعضهم البعض مثلاً: يعقد الزوج والزوجة في بعض الثقافات ميثاقاً أن يحبوا بعضهم البعض مدى الحياة.

في الكتاب الأول من التوراة والذي يُسمى التكوين نقرأ بأن الله عقد ميثاقاً مع إبراهيم {٢} ووعده بأن يجعل من أبناءه أمة مباركة تعم بركتها جميع الأمم.

نفذ إبراهيم الجزء المتعلق به من الميثاق عندما غادر بيت أبيه وهجر عبادة الأوثان، هل نفذ الله الجزء الذي يخصه من هذا الميثاق؟ إذا كان قد فعل فمتى وكيف؟ يذكرنا القرآن كيف خلص الله بني اسرائيل من العبودية في مصر، وشق لهم البحر الأحمر وأغرق فرعون وجيوشه وقادهم بعد ذلك عبر صحراء سيناء.

الوصايا العشر {السورة ٢: ٥٣}

تقول الآية ٥٣

«وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»

ما هو هذا {الكتاب} المقياس؟ أظن أنه الوصايا العشر لا يقدم القرآن هذه الوصايا لكننا نجدها

كاملة في التوراة.

١. أنا الرب إلهك
٢. لا تصنع لك تمثالاً
٣. لا تنطق باسم الرب باطلًا
٤. قدس يوم السبت
٥. إكرام أباك وأمك
٦. لا تقتل
٧. لا تزنى
٨. لا تسرق

٩. لا تشهد بالزور
١٠. لا تشته

لماذا نحتاج هذه الوصايا العشر؟ تأمل معي حكاية بائع ألبسة غني كان الكل يعرف جودة ألبسته الحريرية والصوفية والقطنية فكان الملوك والملكات يأتون اليه لشراء ألبستهم الملكية لكن ما أن بدأ يكبر في السن حتى أصبح مخادعاً حيث بدأ يعرض الألبسة داخل محله تحت أضواء الشموع بدل عرضها في ضوء الشمس، كلفه ذلك غالياً حيث اكتشف أحد الأمراء بقعاً على اللباس الذي اشتراه منه فأمر بتوقيفه وإيداعه السجن!

إن الوصايا العشر كضوء الشمس الساطع عندما يقارن أي إنسان سلوكه بهذه الوصايا سيرى الأوساخ التي عليه ويحس بالذنب، بعض الناس يشبهون بائع الألبسة من حيث أنهم يفضلون فحص أنفسهم في الظلام بدل نور الشمس لكي لا يشعرون بأي ذنب!

الكتب المحرفة {السورة ٢: ٥٩}

«كتابكم كله مُحرّف لن أقرأه قطعاً»، هذا ما قاله جاري وهو يُرجع لي نسخة من الإنجيل وتصرف وكأن الكتاب عبارة عن حية ستقوم بلدغه! وقال «هذا الكتاب يستحق الحرق أنه مُحرّف». فقلت

«تمهل كيف عرفت ذلك؟».

فقال «لقد فقدت النسخ الأصلية للتوراة والزبور والإنجيل، الكتاب الوحيد الذي بين أيديكم هو كتاب مُحرّف».

يقول لي أصدقائي المسلمون دائماً أحياناً بأدب ومرة أخرى بدونه بأنني لا يمكنني أن أثق بأي شيء كتب قبل القرآن ويقولون بأن اليهود غيروا التوراة والزبور فأرسل الله الإنجيل لكن المسيحيين حرفوا الإنجيل فأرسل الله القرآن، لكن ما هو مصدر هذه الفكرة؟

تقول الآية ٥٢ {السورة ٢}:

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

ماذا ذا تعني عبارة «بدلوا كلام الله»؟ هل تعني أنهم عصوا الله؟ تحكي التوراة مثلا كيف أنه عندما احتاج بنو إسرائيل الماء أمر الله موسى بالتكلم مع صخرة لتعطيهم الماء لكن موسى عصى أمر ربه وبدل كلامه قام بالضرب على الصخر بعصاه وهو في حالة غضب.

تخيلوا معي أنني أقول لأبني: «اعتن بلعبك ورتب غرفتك». بعد ساعة، أذهب لغرفته

لأجده يلعب بلعبه وغرفته مازالت لم ترتب بعد فأقول له: «لقد بدلت كلامي فعوض أن تضع لعبك جانباً فأنت ما زلت تلعب». كلامي الأصلي لم يتغير، وكذلك كلام الله لم يتغير.

المسلمون واليهود والمسيحيون وآخرون {السورة ٢: ٦٢}

تبدو هذه الآية مسالمة متسامحة وشاملة لكل الشعوب والديانات:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

هل هذا يعني أن التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل نصوص صحيحة؟ بدون الكتب المنزلة لم يكن بإمكان اليهود والمسيحيين معرفة الله واليوم الآخر، هل سيكون مصير كل الناس الذين يؤمنون بهذه الديانات الصادقة الجنة؟ إذا كان مصيرهم الجنة لتعلّقهم بكتبهم المُنزلة فما الفائدة من تنزيل القرآن بعد الإنجيل؟ ولنفس السبب فلماذا تم تنزيل الإنجيل بعد التوراة والزبور؟

هناك أيضاً سؤال أخر أن الناس الذين ليسوا مسلمين ويهود ومسيحيين، هل بإمكان أحد أن يؤمن بالله واليوم الآخر دون معرفته بالقرآن والزبور والتوراة والإنجيل؟ لماذا يجازي الله الناس لإيمانهم به وباليوم الآخر؟ يؤمن الشيطان بالله من حيث أنه يدرك بأن الله موجود، هل الملحدون هم من سيكون مصيرهم النار؟ هل بإمكان ملحد يفعل الخير بقلب صادق ولكنه لا يؤمن بخالق وأن يكون مصيره الجنة رغم ذلك؟ لماذا يطلب الله أن يؤمن الناس بوجوده رغم أنه يمكن للملحدين أن يعيشوا حياة كلها خير؟ أو لماذا لم يخلق الله البشر وهم مؤمنون أصلا بوجوده؟ ربما فعل الله ذلك! تُبيّن الأبحاث التي تمت في مختلف بقاع العالم أنه في كل المجتمعات البشرية يعتقد أغلب الناس في وجود قوة خالقة عليا فربما يحتاج المرء لمجهود كبير لإقناع نفسه بعدم وجود الله.

موسى والأضحية {السورة ٦٧:٢-٧٣}

ربما يتذكر القارئ أن أول أضحية في تاريخ البشرية قدمت من طرف الله ليستر عورة آدم وحواء بجلود الحيوان بعد هذه الأضحية الأولى ذكرت مرات أخرى عديدة بعد ذلك فقد قدم هابيل قايين قرابين، قدم قايين خضراوات من حقله لكن هابيل قدم أضحية فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان قايين! ربما كان قلب قايين فيه أنانية وكفر وعلى أية حال بعد ذلك فقد قتل قايين هابيل في لحظة حسد وغضب.

ما هو معنى الأضحية؟ يبين النص أن الأضحية يمكن أن تكون رمزاً، أمر الله موسى بأن يأخذ جزءاً من جسد الطير المذبوح ويضرب به جسد رجل ميت فعندما لامس هذا الجزء جسد الرجل الميت عاد الرجل للحياة، تشير الرموز إلى شيء آخر فقد استعملت هذه

الأضحية كرمز على قدرة الله على إحياء الموتى.

علم الكتاب {السورة ٢: ٧٨}

يشبه العيش في الجهل كا العيش في كهف مظلم وهذا ما تحذر منه الآية ٧٨

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ

يشبه الكهف كذلك غرفة بها صدى صوت فهي غرفة مغلقة لا يمكننا سماع صوت آخر غير صوتنا وهناك مثل يقول إن الناس تؤمن بما تسمع {من الأذن إلى الأذن أو الكلام الشفهي}. لم يحاول الناس أبداً البحث عن الحقيقة ولو أن جيرانهم أذاعوا أن القمر مصنوع من الجبن فكانوا سيصدقون ذلك بكل فرح! إنهم يصدقون ما يسمعون أي ما ينقل من أذن إلى أذن أخرى كالفراشة تهوى القفز بين أوراق النبات.

ليس واضحاً في هذه الآية {٧٨} معنى كلمة «كتاب». لكن المغزى من الآية هو أنه يجب على الناس ألا يحكموا على شيء ما حتى يتعرفوا عليه ويصبح مألوفا لديهم، أنا أسير الآن في طريق القرآن ولن أكون جاهلاً بما يقول لكن كم عدد الناس الذين يخصصون وقتاً لقراءته؟ كم عدد منهم يجلسون ويقرؤون لأنفسهم ولا يكتفون بما يقوله الناس؟

تأكيد الكتب السابقة {السورة ٢: ٩٧}

هنا نجد مثلا على ضرورة عدم تصديق الإشاعات وأقوال الناس. تقول الآية ٩٧: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

تقول الإشاعات بأن التوراة والزبور والإنجيل هي كتب محرفة، لكن هذه الآية تؤكد صحتهم فعندما سمع العرب القرآن ولأول مرة كيف كان بإمكانهم معرفة ما إذا كان القرآن يصدق الكتب السابقة لو لم تكن لهم نسخ معتمدة؟ تفترض هذه الآية بأن اليهود والنصارى والمسلمين كانوا يجلسون معاً ويقارنون كتبهم المقدسة.

تقول الإشاعات بأن التوراة والزبور والإنجيل هي كتب محرفة، لكن هذه الآية تؤكد صحتهم

نسخ الآيات {السورة ٢: ١٠٦}

ماذا يحدث عندما يكتشف شخص ما يبدو تناقضاً في القرآن؟ إنه يُفسر غالباً كنَسخ. تقول الآية ١٠٦ {السورة ٢}:

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

يشكل هذا الموضوع مصدر خلاف. يعلق أحد الكتاب المسلمين:

تم ابتكار هذا المفهوم من طرف هؤلاء الباحثين ويعني أن هناك آيات في القرآن قد تم نسخها وإبطال حكمها من طرف آيات أخرى

تسمى الآية التي تَنسخ {الناسخ} والآية التي تُنسخ {المنسوخ}

رغم أن هذا المفهوم تم ابتكاره من طرف علماء مسلمين كنتيجة لفهم سيء للقرآن فقد تم استعماله من طرف كتاب غير مسلمين للمس بكمال القرآن وطبيعته الإلهية.

أكتب كمسيحي من خارج هذا النقاش غير أنني بمجرد قراءة الآية ١٠٦ فيبدو لي أنها تقول بأنه لا يجب أن يكون هناك تناقض في الوحي الإلهي، إذا قال الله كلاماً في مكان ما في القرآن فيجب ألا يتعارض مع كلام آخر في مكان آخر منه، يمكن أن يوحي الله شيئا في عبارات مختلفة، لكن يجب على الوحي الذي يأتي بعد ذلك أن يحسن من المعنى الأول ألا يعارضه، وهناك رأي آخر يقول بأن الله يمكن أن ينسخ أي شيء يريده رغم أنه يمكن ألا نرى سبباً لذلك ويعتقد الناس في صحة هذا الأمر ويستعملون مبدأ النسخ لتفسير التعارض الذي قد يحدث بين آية وأخرى.

الدعاء للغرباء والأعداء {سورة ٢: ١٠٥}

مع فجر كل يوم تندلع خلافات جديدة في بين الناس، حيث تقول السورة ١٠٥

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

جعلتني قراءة هذه الآية أشعر بالحزن! هل كان اليهود والنصارى والوثنيون يعادون المسلمين؟ كلا فقد علّم سيدنا عيسى المسيح أتباعه أن يحبوا كل الناس ويدعوا لهم سواء كان الناس لطفاء معهم أم لا وإذا كنت من أتباع المسيح فسوف أقول أحسن الكلام لجيراني وأصدقائي المسلمين حول العالم حيث لا أفرح لحدوث شر ما ولا العنهم فيجب أن تكون صلواتي دائماً من أجل أن تعم الحياة والحق والسلام والفرح الدائم لجميع الهندوس والبوذيين والمسلمين وغيرهم إذا كان هناك شخص ما لا يحب الخير للمسلمين، فكيف يمكن أن يكون هذا الشخص من أتباع المسيح؟

سرقة إيمان الناس {السورة ٢: ١٠٩}

يشهد التاريخ بأن المسلمين الأوائل كانوا يعبدون الأوثان قبل إسلامهم فكان محمد يدعو الوثنيين إلى عبادة الله في مكة لكن بعد أن قاوموه ورفضوه غادر مكة وتوجه إلى للمدينة حيث كانت دعوته أكثر نجاحاً فتمكن من إبعادهم عن عبادة الأوثان وعبادة آلهة متعددة وإقناعهم بعبادة خالق واحد فهذا يجعل من الآية التالية أمراً محيراً !

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

إذا كان أهل الكتاب يحاولون رد المسلمين عن الكفر، ألا يعني ذلك أنهم كانوا يريدون ردهم عن عبادة الأوثان؟ إذا كانوا يحاولون ردهم إلى المسيحية واليهودية، كيف يمكن اعتبار ذلك شركا؟ رأينا سابقا في الآية ٦٢ بأن أهل الكتاب الذين آمنوا حقاً لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا يحزنون.

يخاف العديد من الناس اليوم من التكلم مع يهودي أو مسيحي لاعتقادهم بأن هذا الشخص يمكن أن يقودهم إلى الشرك ولكن هذا غير صحيح لأن أهل الكتاب يؤمنون بالله الواحد وأيضاً يرفض اليهود والمسيحيون والمسلمون تعدد الآلهة إنهم جميعاً يرفضون الوثنية وتعدد الآلهة.

هل يقرأ اليهود والنصارى نفس الكتاب؟ {السورة ٢السورة ٢: ١١٣}

ما هو الكتاب أو الكتب التي يقرأها اليهود والنصارى؟

لا يؤمن اليهود والنصارى بنفس المعتقدات حول الله ويظهر هذا في اختلاف تسمياتهم، تقول الآية ١١٣:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

يتفق اليهود والنصارى على بعض المعتقدات ويختلفون حول أخرى فما هو كتاب اليهود؟ كان اليهود يقرؤون التوراة وكتب الأنبياء بما في ذلك الزبور، التوراة هي الكتب الخمسة لموسى، وهي متبوعة بكتب تاريخ زعماء بني إسرائيل ويسمى كتاب مزامير داود بالزبور ويتبع هذا كتب أنبياء آخرين ويتضمن كتاب اليهود ٣٩ سفرا كلها مُجمعة في كتاب واحد {٣}.

ومنذ زمن سيدنا عيسى المسيح والى الآن مازال أتباع المسيح يعتبرون كل هذه الأسفار ٣٩ هي كلام الله ويعتقد المسيحيون بأن الله تكلم مع أنبيائه وأنهم كتبوا وبلغوا كلماته التي شملت أخباراً عن التاريخ وشرائع وتعاليم ونبوءات حول المستقبل.

تعني كلمة «انجيل» «الخبر السار» {٤} هناك فقط إنجيل واحد وليس اثنان أو خمسة أو عشرون ولا يوجد أبداً أكثر من إنجيل واحد أو خبر مفرح واحد يمكن أن نسميه «أحسن خبر مفرح» يتضمن الإنجيل ٢٧ كتاباً مجمعة في كتاب واحد وكل كتاب يتكون من آيات وأصحاحات.

كان بطرس ويوحنا وبولس ومتى جميعهم أتباع سيدنا عيسى المسيح من اليهود آمنوا بالتوراة وكتب الأنبياء وكانوا يعتقدون بأن التوراة وكتب الأنبياء قد تكلمت عن المسيح وتنبأت بقدومه، ولأن المسيح حقق النبوءات السابقة فقد آمنوا به كمسيح حقيقي.

بالإضافة إلى ذلك، فعندما ألهم الله أتباع المسيح لكتابة الإنجيل فقد دفعهم لاستعمال بعض الاقتباسات من التوراة وكتب الأنبياء فيما يقارب من ٢٥ في المائة من الإنجيل هي اقتباسات مباشرة من الكتب السابقة أو إحالة عليه، فكلمات التوراة وكتب الأنبياء قد نسجت داخل آيات الإنجيل كما يُنسج الحرير داخل آلة النسيج.

لكن رغم ذلك لم يقبل كل اليهود نبوة سيدنا عيسى ففي الوقت الذي كان فيه الأتباع الأوائل لسيدنا عيسى من اليهود كان هناك عدد من اليهود الآخرين يرفضونه وفي نهاية المطاف انتشرت رسالة المسيح عبر حوض المتوسط وفي أوروبا حيث كان الناس وثنيين. جاء الوثنيون تباعا عند المسيح بعد أن دمروا أصنامهم وبدأوا في التجمع تحت اسمه بالمقارنة مع عدد هؤلاء المؤمنين الجدد فقد تقلص تدريجياً عدد أتباع المسيح من اليهود عندما بعُث محمد كان اليهود مازالوا يعيشون بالجزيرة العربية والأراضي المجاورة وكانوا يؤمنون بالتوراة وكتب الأنبياء لكنهم كانوا يرفضون نبوءة المسيح.

كان هذا سبب الخصام بين اليهود والنصارى فيقول اليهود بأن سيدنا عيسى ابن مريم لم يكن المسيح الموعود في حين أن المسيحيين يدعون بأنه كذلك، لم يتخاصموا في الأصل حول التوراة وكتب الأنبياء بالأحرى، إما أن اليهود لم يكونوا يقرأوا الإنجيل أو أنهم كانوا يرفضونه، ولسوء الحظ مازال بعض الناس حتى اليوم يرفضون قراءة كل الكتب التي تتحدث عن الله مثل التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل والقرآن. (رغم وصية القرآن لهم في صورة النساء ١٣٦)

الله لم يلد ولدا {السورة ٢: ١١٦-١١٧}

تتضمن سورة البقرة العديد من الآيات المهمة لكنها ليست كلها بنفس أهمية الآيتين ١١٦-١١٧:

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

ليس سراً أن الإنجيل يسمي سيدنا عيسى المسيح عدة مرات ب «ابن الله» كما يسميه أيضاً ب «ابن الإنسان». يقول الإنجيل أيضاً «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. {يوحنا ٣: ١٦} حتى في زمن محمد كان الناس في إفريقيا والشرق الأوسط يعرفون أن الإنجيل يسمي سيدنا عيسى ابن الله ولم يكن ذلك سراً على الإطلاق.

رغم أن هذه الآية لا تسمي المسيحيين وتحيل عليهم فقط بواو الجمع في «قالوا»، فإننا نفهم أن المقصود احتمالا هم المسيحيون أو النصارى بلغة القرآن كأحد أتباع المسيح ويمكنني قراءة الآيتين ١١٦ و١١٧ دون أي رد فعل سلبي، لماذا؟ لأنني مقتنع تماماً بأن الإنجيل والقرآن لا يتكلمان عن نفس الشيء هنا.

تأمل الآية ١١٦ من السورة ٥:

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا سيدنا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

هذه الآية قوية الإدانة للشرك ألا تعبد آلهة أخرى غير الله قد يتفق اليهودي والمسيحي على هذا الأمر ويعقبوا عليه بآمين إذن أين تكمن المشكلة؟ قد يكون مصدر هذا الخلط تقليد مسيحي قديم حيث كان المسيحيون يشعلون الشموع أمام صورة مريم وهي تحمل ابنها سيدنا عيسى، هل كان هؤلاء الناس يعبدون مريم وسيدنا عيسى كآلهة؟ أحياناً قد يبدو الأمر كذلك حتى بالنسبة لي.

لم أصل أبداً لصورة أو قديس أو أي شيء غير الله الخالق الأحد، لذلك لا يمكنني أن أتكلم عن كل التقاليد الموجودة في العالم لكن من خلال تجربتي فحتى هؤلاء الذين يشعلون الشموع أمام صورة مريم قد يقولوا احتمالاً بأنهم لا يعتبرون مريم إلها إنها كانت بشراً يخبرنا الإنجيل والقرآن بأنها كانت عذراء وحملها بسيدنا عيسى كان معجزة. لم يكن لها زوج ولم يكن لسيدنا عيسى أب من بني الإنسان.

ورغم ذلك فالمسيحيون يعتبرون المسيح هو ابن الله الوحيد. يبدو هذا الأمر سيئاً جداً وقد يعتبره البعض خروجا عن الدين، هو شرك أن يكون لله ولد.

ربما نجد جوابا إذا ما فكرنا في كلمة «وُلد» بطريقة أخرى. متى ولد سيدنا عيسى؟ هل وُلد في الزمن أم في الأزل؟ يقول القرآن بأن الله خلق سيدنا عيسى بقوله «كُن». من المنظور البشري من الواضح أن المسيح حبل به في رحم مريم في لحظة معينة من الزمان. ولكن متى وجدت روح سيدنا عيسى؟ يخبرنا الإنجيل بشيء غير عادي، أنه حتى قبل خلق الزمان والمكان، وُلد سيدنا عيسى روحيا وأبديا من قلب الله فلهذا يسمى روح الله وكلمة الله ويستعمل القرآن هاتين التسميتين الخاصتين لسيدنا عيسى لكن عندما يستعمل الإنجيل كلمة «وُلد» فأنها لا تعني ولادة مولود بشري من أبيه ولكنها تعني أنه مستمد من مادة وشخص الله كما لو أن الله حول نفسه إلى مخلوق بشري وسيدنا عيسى المسيح لهذا السبب يُعتبر سيدنا عيسى انه ابن لله وكإبن للإنسان.

بالإضافة إلى ذلك فالإنجيل يسمي الله أبانا الذي في السماء ليس لأنه اتخذ زوجة وأنجب أبناء {حاشي لله فالمسيحيون يعتبرون ذلك شركا} ولكن لأنه الأول والأعلى والذي يتصرف بهدف مطلق كمثال على ذلك فالأتراك يسمون مصطفى كمال أتاتورك لأنه كان الأول والأعلى ومؤسس تركيا لكنه شخصياً لم يكن من صلبه أي أبناء.

هذا هو السؤال الذي يطرح نفسه باستمرار، من هو سيدنا عيسى المسيح؟

إتباع أهواء الآخرين {السورة ٢: ١٢٠}

ليست كل الأهواء الإنسانية خيرة يمكن غالباً أن يضل القلب عن الطريق الآمن كما قد يفعل ذلك خروف صعب المراس ويحذر القرآن من إتباع أهواء ضالة.

تقول الآية ١٢٠ {السورة ٢}: وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

إن جوابي كما هو جواب كثيرين غيري سيكون بالتأكيد: «نعم يجب ألا نتبع أهواءنا بل يجب أن نتبع هداية الله». إن قلب الإنسان هو بوصلة غير جديرة بالثقة فالقلب بكل صدق هو نافورة للشر تنهمر منها الأفكار الشريرة والجرائم والخيانات والفحشاء، السرقات، شهادات الزور والكفر أن أملنا الوحيد هو أن نتبع هداية الله المتمثلة في كلامه وليس أهواءنا!

كما رأينا في الآية ٦٢ من السورة ٢، يقول القرآن بأنه كان بإمكان اليهود والنصارى أن يحصلوا على جزاء كبير من الله فكيف كان بإمكانهم الحصول على هذا الجزاء؟ باتباع كلامه المنزل في التوراة وكتاب الأنبياء والإنجيل إذن لا يمكن للآية ١٢٠ أن تعني أن اليهود

والنصارى ضيعوا الحقيقة بل تعني فقط بأن بعضهم ترك كلام الله وهل هذا هو ما تعنيه الآية

١٢١: ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

الكعبة {السورة ٢: ١٢٧}

لنعد الآن إلى موضوع الكعبة توجد الكعبة في قلب مكة ويصل علو هذا المكعب الكبير ١٣,١ متراً ويصل مقياس الجوانب إلى ١١,٠٣ مترا في١٢,٨٦ مترا وتُغطَّى الكعبة بثوب مطرز بالذهب وهناك يوجد حجر كبير ربما نيزك موضوع باستمرار في الجانب الشرقي للكعبة في موسم الحج السنوي ويدور عدد كثير من الحجاج حول الكعبة ويحاولون الاقتراب من هذا الحجر وتقبيله.

تقدم الآية ١٢٧ قصة تربط بين إبراهيم والكعبة ومكة:

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٠

كمسيحي يقرأ القرآن أجد هذا كلاماً جميلاً من حياة إبراهيم وأنالم أجد في التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل قصة مطابقة تقدم التوراة كلاماً مفصلا عن مناداة إبراهيم في أرض أور وانتقاله لحاران ومكوثه في الأرض الموعودة كنعان ورحلته لمصر وأخيرا وفاته بأرض الميعاد.

حتى قبل خلق الزمان والمكان، وُلد سيدنا عيسى روحيا وأبديا من قلب الله... لهذا السبب يُعتبر سيدنا عيسى انه ابن لله وكإبن للإنسان

أريد فعلا أن أعرف لماذا لم تذكر التوراة زيارة إبراهيم للكعبة؟ قد يعني هذا أن موسى حذف جزءاً من قصة إبراهيم عندما أوحى له الله بأن يكتب هذه القصة وقد يكون إبراهيم قد سافر جنوباً نحو الجزيرة العربية وزار مكة خلال جولاته وسفره إلى مصر وربما قد يكون زار كعبة بمدينة أخرى! لكن ذلك يطرح سؤالا آخر، ما الذي قد يكون دفع إبراهيم لبناء بيت بمكة بمساعدة إسماعيل؟

لماذا يبدو هذا الأمر محيراً؟ أولا لأن الله وعد إبراهيم بأن يعطيه أرضاً بين البحر الأبيض المتوسط وفوق نهر الأردن وتوجد مكة مئات الأميال جنوب المنطقة التي وعد الله إبراهيم وعائلته. ثانياً: كيف دخل إسماعيل قصة إرث إبراهيم لأرض الميعاد؟ أصبحت زوجة إبراهيم سارة تحس بالغيرة من خادمتها هاجر وابنها إسماعيل فألحت على إبراهيم

أن يبعدهم عن الديار فذهبوا إلى الصحراء وتكفل الله بهم غير أنه بسبب كون هاجر جارية لسارة فإن إسماعيل لم يكن مساوياً لإسحاق رغم أن إبراهيم والله أحبا إسماعيل لكن إسحاق كان الابن الذي سيرث الوعد أي وريث إبراهيم الذي ولد له من سارة التي حبلت به بعد أن بلغ إبراهيم من السن عتياً وكان ذلك نتيجة معجزة ربانية.

بعد مئات السنين على موت إبراهيم أمر الله سليمان ابن داود أن يبني الهيكل المقدس في القدس ويوجد في هذا الهيكل مكان خاص بتابوت العهد الذي يتضمن الوصايا العشر لقد صمد هذا الهيكل لمئات السنين قبل أن يتم تحطيمه من طرف الجيش الروماني في السنة ٧٠ م. كان هذا الهيكل يسمى قبل مجيء المسيح بهيكل الله غير أن الإنجيل يقدم تصريحاً ثوريا: «الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، هذا إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي» {أعمال الرسل ١٧:٢٤}. بدَّل الله الهيكل المقدس بقلوب الناس الحية والتي تستقبله بكل فرح.

إيمان إبراهيم، إسماعيل، إسحاق داود وسيدنا عيسى {السورة ٢: ١٣٥-١٣٦}

يدعوا القرآن مرة أخرى إلى الإيمان بأنبياء الله السابقين:

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَسيدنا عيسىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾.

يبدو أن بعض الناس تقربوا من محمد أو أتباعه وطلبوا منهم أن يصبحوا إما يهودا أو نصارى وأعتقد أن هذا يعني أن النصارى كانوا يريدون أن يصبح المسلمون نصارى واليهود كانوا يريدونهم أن يصبحوا يهودا وليس العكس لكن محمد أمرهم أن يكون جوابهم هو «لا». عوض أن يصبحوا يهودا أو نصارى يجب عليهم أن يؤمنوا فقط بالوحي الذي نُزّل على الرسل والأنبياء السابقين.

السؤال يطرح نفسه. إذا كان اليهودي يؤمن بما أُنزل على إبراهيم وموسى وإذا كان المسيحي يؤمن بالتوراة وكتب الأنبياء والإنجيل، يصبح صعباً فهم الآية ١٣٥ و١٣٦ كآيتين غير متعارضتين فيبدو الأمر كما لو أن الآية ١٣٥ تطلب من المسلمين أن لا يصبحوا لا نصارى ولا يهودا في حين أن الآية ١٣٦ تأمرهم بالإيمان بما آمن به اليهود والنصارى!

يمكن أن يحتج أحدهم ويقول بأن إبراهيم لم يشرك مع الله أحداً ربما أشرك اليهود والنصارى زمن بعثة النبي محمد غير أن اليهودي مؤمن قد ينتفض غضباً في وجه من يقول

له أنه يشرك بالله، على أية حال فاليهودي يقرأ دائماً في صلاته بأن الله واحد لا شريك له والإنجيل يقر بذلك فالمسيح علّم أتباعه: «إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» {مرقس ١٢:٢٩} لا يمكن أن يكون هذا الأمر أكثر وضوحا لأن يرفض اليهود والنصارى بطريقة مطلقة الشرك ويعتقدون بأن الله واحد.

تحويل القبلة {السورة ٢:١٤٢}

في وقت ما خلال حياة الرسول تم تغيير القبلة من مدينة أخرى إلى مكة، تقول الآية ١٤٢:

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وبعد ذلك تقول الآية ١٤٤:

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ .

يرفض اليهود والنصارى بطريقة مطلقة الشرك ويعتقدون بأن الله واحد

ماذا حدث؟ يبدو أن المسلمين ومحمد لم يصلوا في اتجاه مكة لمدة من الزمن فكانوا يصلون في اتجاه مدينة مقدسة أخرى ويعتقد معظم الناس أن المسلمين الأوائل صلوا في اتجاه القدس كما كان يفعل اليهود الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية ولا يوجد هناك تفسير لذلك سوى أن المسلمين كانوا يحاولون إقناع اليهود بالدخول إلى الإسلام وربما كان المقصود من ذلك هو إقناع اليهود بالإيمان بمحمد كنبي جديد في سلسلة الأنبياء لكن اليهود لم يتحولوا إلى مسلمين وقاوموه، في لحظة ما من انتشار الإسلام طلب النبي محمد من المسلمين التوجه في صلاتهم نحو الكعبة بمكة. ظن الناس أن ذلك غريباً وكأن الله لم يستطع أن يقرر! سمى النبي محمد هؤلاء الناس بالسفهاء لأنهم تساءلوا حول تغيير القبلة من القدس إلى مكة!

يذكرني تغيير القبلة بقصة أخرى حول الأماكن المقدسة، كان المسيح في سفر في أحد الأيام وتوقف ليشرب من بئر في منطقة السامرة بالقرب من القدس حين جلس بالقرب من البئر التقى امرأة من السامرة سبق لها أن تزوجت ليس أقل من خمس مرات فحياة العار التي عاشتها جعلتها مرفوضة من مجتمع الناس المحترمين بسبب خجلها كانت تأتي إلى البئر في وقت من النهار تكون فيه لوحدها لكن سيدنا عيسى المسيح لم يدنها بل أعطاها عوضاً عن ذلك «ماءً حياً» ليطهرها من ذنبها ويغير حياتها فكانت متشككة وقالت بأن قومها يصلون في جبلهم المقدس السامرة في حين أن اليهود كانوا يصلون نحو أورشليم ولم يكن سيدنا عيسى مهتماً بالجبال ولا بالمعابد فأجابها: «يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب وأضاف و لكن تأتي الساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون

يسجدون للأب بالروح والحق لأن الأب طالب لمثل هؤلاء الساجدين له» {يوحنا ٤: ٢٣-٢٤}

كل الأرض هي لله والسموات هي عرشه، يمكن أن يكون جيداً أن نمجد بعض الأماكن التاريخية لكن الله يهتم أكثر بما يجري في القلوب البشرية.

رمضان {السورة ٢: ١٨٥}

تقدم لنا الآية ١٨٥ شهر الصيام فلنقرأ الآية بتمعن:

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

يقدم رمضان جواً احتفالياً للجيران عندما يجتمعون على الإفطار بعد يوم شاق من الصيام.

«هل يصوم المسيحيون؟». سألني أحد الجيران وكان ينتظر جوابي وعيناه تحدقان بي!

سألته: «هل سمعت بالصوم الأعظم؟»، «إنها قصة ملك عظيم تخلى عن جميع ممتلكاته ليتحدى الشيطان».

أجابني «لا، لا أعرف تلك القصة».

يتحدث الإنجيل عن الصوم الأعظم فيها امتنع المسيح عن الطعام لمدة أربعين نهاراً وليلة لكن لا يستطيع جسد الإنسان أن يصمد بدون ماء لأكثر من ٣ أو ٤ أيام، لذا فإننا نعلم أنه شرب شيئا ما لكن جوعه كان شديداً فحاول الشيطان أن يغريه في أضعف حالاته بتحويل الحجر إلى خبز! فأجابه المسيح

«مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ يَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ».

(متى ٤:٤)

ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، ٩وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي».

١٠حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».

(متى ٤: ٨-١٠)

لقد ربح المسيح المعركة وهرب الشيطان في انتظار فرصة أخرى.

هل يصوم المسيحيون. نعم ولكن ليس بالضرورة في وقت محدد فنحن نصوم حسب حاجتنا للصلاة فيساعدنا الصيام على التركيز على الله وليس على الطعام إنه يطهر قلوبنا وأجسادنا لتبحث بكل قوة عن الله نعتقد كذلك بأن المسيح ربح العديد من المعارك ويشارك انتصاراته معنا، إن الصوم جيد لكن ما فعله سيدنا عيسى في الصحراء لمدة ٤٠ يوما من الصيام هو أحسن.

الجهاد في سبيل الله {السورة ٢: ١٩٠-١٩٣}

في الآيات التي تلي آية الصيام يتحدث القرآن عن الجهاد في سبيل الله. تحدد الآيات ١٩٠-١٩٣ طبيعة هذا القتال:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾

صحح لي صديق مسلم: «إنك لم تفهم».

سألته «عما تتحدث؟». اختلط الأمر علي.

«أنت لا تفهم الجهاد، إنه يعني الجهاد الداخلي فعلى كل مسلم أن يجاهد في قلبه حتى يعيش حسب تعاليم الله».

كنا نتكلم عن القرآن. «أنا لا أخالفك الرأي في أنه يوجد جهاد داخلي، لكن ليس هذا ما تعنيه الآية ١٩٠. فالآية تتحدث عن جهاد جسدي وليس عن جهاد داخل النفس».

نظر إلى القرآن بتمعن.

واصلت الكلام: «أنظر، هنا يأمر الله المسلمين بقتل الأعداء وإخراجهم من ديارهم ويأمرهم بقتالهم ولو في المسجد الحرام، الهدف من القتال حسب الآيات هو إنهاء الفتنة ونشر الإسلام».

«أفهم ذلك». قال ثم سلمني المصحف بهدوء.

هناك عدة أسئلة حول هذه الآيات، ما مدى توسع هذا القتال لمناطق أخرى؟ في الجزيرة العربية؟ الشرق الأوسط؟ كل العالم؟ لا يحدد النص مجال هذا التوسع! هل ما زالت الحرب جارية حتى اليوم؟ هل ينبغي على المسلمين القيام بحملات عسكرية لنشر العدل والإسلام؟

في الآية ١٩٥ نتعرف على أنه ليس فقط مطلوباً من المسلم أن يشارك فعلياً في المعارك بل كذلك المساهمة بماله في تمويل الحرب:

«وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» .

تؤنب الآية ٢١٦ المتقاعسين عن الجهاد الذي يخافون القتال في سبيل الله:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

كما أن الله يجازي من يقاتلون في سبيله بإخلاص {الآية ٢١٨}:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ ۚ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

تعتبر هذه الآية مهمة لأنها تقدم لأول مرة كلمة «جاهدوا» يبدوا واضحاً من الآيات السابقة ومن سياق النص أن المقصود بالجهاد ليس جهاداً داخلياً بل فعلاً مادياً جسدياً، هل تم نسخ هذه الآيات بآيات أخرى؟ هناك سور أخرى تدعونا للتأمل في موضوع الجهاد؟

الحج {السورة ٢: ١٩٦-٢٠٣}

يُعلّم القرآن المسلمين مناسك الحج في الآيات ١٩٦-٢٠٣. يذكر التاريخ أنه قبل ميلاد محمد كان سكان مكة يمارسون الحج حول الكعبة وبعد أن فتح محمد مكة حافظ على الحج لكنه عدله ليمحو منه كل مظاهر الوثنية فبقي الحجر في الكعبة وبقي الناس يقومون بالحج للشكر والحمد.

تقدم الآية ١٩٣ تعاليم خاصة للناس الذين لا يسكنون بالقرب من مكة فبإمكانهم تقديم قربان والصيام للتعويض عن عدم قدرتهم على السفر إلى مكة.

وبالرجوع إلى التوراة والإنجيل فنجد أن اليهود كانوا يحجون إلى القدس كل سنة بمناسبة عيد الفصح كان كل الرجال اليهود وعائلاتهم يسافرون إلى القدس لتقديم القرابين والاحتفال بتخلصهم من العبودية في مصر.

قام سيدنا عيسى المسيح هو أيضاً بزيارة القدس مع والديه عندما كان سنه ١٢ وناقش التوراة مع كهنة الهيكل الذين أدهشتهم أجوبته، فعندما أدرك أبويه أنه لم يكن معهم في رحلة العودة فعادوا إلى القدس ووجدوه هناك وسألوه كنا قلقين جداً عليك فأجابهم: «ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي؟». {لوقا ٢: ٤٩}.

الطهارة {السورة ٢: ٢٢٢}

في الآية ٢٢٢ {السورة ٢}، يتحدث القرآن عن الطهارة خصوصاً فيما يتعلق بالعلاقة بين الرجل والمرأة، الطهارة الجسدية هي مهمة في الإسلام

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ».

إذا عدنا لزمن موسى سنكتشف عدة شرائع حول الطهارة الشخصية والاجتماعية كان لليهود شرائع تخص غسل اليدين والتعامل مع رجل مريض وكيفية دفن الميت بطريقة صحيحة.

الحفاظ على الجسد من النجاسة أم الحفاظ على القلب من الذنب؟

الطهارة صحية، لكن عند ظهور المسيح بدعوته تصرف القادة اليهود كشرطة دينية للقبض على كل من خالف قوانينهم فكانوا يصيحون «حرام» ليزرعوا الرعب في قلوب الناس ولم يكتفوا بتطبيق شرائع التوراة بل صنعوا شرائع وتقاليد جديدة إذا لم يلتزم أحد بشرائعهم وكان الناس يرمونه بالعار ويحذرونه أصبح الناس مضغوطين تحت وطأة الشرائع والعار والخوف.

كان المسيح يدرك جيداً نفاق الزعماء الدينيين:

> ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لإنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثماً.

(متى ٢٣: ٢٧-٢٨)

نظر المسيح إلى قلوبهم وعرف أنهم رغم أنهم يدعون الطهارة بشرائعهم فإن قلوبهم بعيدة عن الله و ما هو الأمر الأسهل؟ الحفاظ على الجسد من النجاسة أم الحفاظ على القلب من الذنب؟

الطلاق والزواج {السورة ٢: ٢٢١-٢٤١}

تقدم هذه الآيات قوانين مفصلة عن الطلاق وإعادة الزواج. تقول الآية ٢٣٠ مثلا:

«فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»

لا يشجع القرآن الطلاق لكنه يضمن الشروط العادلة في الطلاق، تأمر الآية ٢٣٣ المسلم بأن يتكفل بالنفقة من مأكل وملبس وهذا يعني أن المسلم إذا طلق زوجته وكان لها أولاد، فليس له الحق في أن يتركهم دون مساعدة.

قال النبي ملاخي كليمات قوية عن الطلاق في ملاخى ٢:١٦

لأَنَّهُ يَكْرَهُ الطَّلاَقَ، قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، وَأَنْ يُغَطِّيَ أَحَدٌ الظُّلْمَ بِثَوْبِهِ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَاحْذَرُوا لِرُوحِكُمْ لِئَلاَّ تَغْدُرُوا.

في محاولة لهم لاختبار سيدنا عيسى، سأل قادة اليهود سيدنا عيسى عما إذا كان الله يسمح بالطلاق، فأجاب:

> أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى؟ وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحدا. إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه الإنسان
>
> (متى ٤:١٩-٦)

لا إكراه في الدين {السورة ٢: ٢٥٦}

قال لي صديقي مبتسماً «إن الإسلام دين مسالم». لا أشك في أنه صادق فيما يقول كان نفسه إنساناً صادقاً ومسالماً وأضاف أن القرآن يقول:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ.

أجبته «شكراً على المشاركة» كانت هذه إحدى الآيات الثلاث التي يستشهد بها المسلمون في حديثهم معي وعليه فقد سمعتها مئات المرات.

«الدراسة، التساؤل، الاستماع والملاحظة»

إن الإيمان بالله هو في الحقيقة مسألة قلوب، قصة بسيطة توضح معنى هذه الآية في أحد الأيام طلبت الأم من صغيرها الجلوس على كرسي لانتظار العشاء وكان الطفل مشاغباً ولم يطع أمه فأمرته أمه ثانية بأن يجلس على الكرسي فرفض مرة أخرى وفي نهاية الأمر قالت له بأنها ستصفعه إن لم يمتثل لأمرها، وأخيراً جلس وقال لها «يمكن أن أكون جالساً من الخارج لكن من الداخل أنا مازلت واقفا».

على شاكلة هذه القصة، فالإيمان الروحاني الحقيقي لا يمكن أن يفرض بالقوة هل يغير شخص دينه مقابل ١٠٠ دولار؟ وهل يغيرون دينهم فعلا لتجنب دفع ضرائب أو الدخول إلى السجن؟ إن الإيمان الذي يباع ويشترى هو إيمان مصطنع يرفض الإيمان الحقيقي أن يتغير مهما كان الثمن لأنه مقتنع بالحقيقة.

عندما يصبح مسيحي مسلماً لم يقرر بأن المسيحية خطأ والإسلام صحيح؟ وبنفس الطريقة يمكن أن يصبح هندوسي ملحداً لأنه قرر بأن الهندوسية خطأ والإلحاد صحيح يمكن أن يغير الناس معتقداتهم لأنهم اقتنعوا بأفكار معينة وليس لأنهم تحت التهديد أو يطمحون في كسب المال.

ماذا تعني الحقيقة؟ تعني التطابق مع الواقع، كيف نكتشف الحقيقة؟ فقد تقول الآية ٢٥٦ بأن الرشد قد تبين من الغي، أحياناً يكون الأمر واضحاً وأحياناً أخرى لا يكون كذلك.

هناك قصة أخرى تساعدنا على فهم هذا الأمر، يعتمد الطيار على الآلات الموجودة في المقصورة بشكل كبير لان هناك آلة تحدد ارتفاع الطيارة عن الأرض إذا ما انقلبت الطيارة رأساً على عقب يمكن أن يشعر بأنه مازال يطير بطريقة عادية يمكن أن يكذب جسده عليه لكن الآلة لا تكذب وتبين له بأن الطيارة توجد في وضعية مقلوبة يجب عليه أن يثق بالآلات التي أمامه وإن لم يفعل فقد يموت.

سنوات مضت كان طيار يطير فوق سلسة جبلية، لكن فجأة اختلط عليه الأمر فكانت الآلات تبين بأن الطيارة تطير مباشرة فوق جانب الجبال وفي حين أنه عينيه أوهمتاه بأنه يطير في الاتجاه الأعلى الى السماء وثق في عينه ولم يثق في الآلة المحددة للارتفاع فسقطت

الطائرة ومات على الفور.

يمكننا أن نتذكر لحظات كان ممكنا لنا أن نميز بين الحقيقة والخطأ ومن السهل أن نتعرف على صديق صادق ويمكن كذلك أن نتعرف بسهولة على دجال لكن أحياناً أخرى يصعب علينا أن نميز بين ما هو صحيح وما هو خطأ، يمكن إن نتفق جميعاً على أنه لا إكراه في الدين لكن كيف نعرف الحقيقة؟ قدم سيدنا عيسى هذا المقترح التشجيعي:

«اسألوا تعطوا اطلبوا يجدوا اقرعوا يفتح لكم».

(متى ٧:٧)

هل تتذكروا الطيار الذي قضى في الحادثة؟ كان بإمكانه البحث عن الحقيقة بالاتصال ببرج مراقبة أو بفحص الآلات التي كانت أمامه لكن الذعر أصابه وفقد التحكم ووثق في مشاعره عوض الثقة في الآلات وفى البحث عن الحقيقة يعني «الدراسة، التساؤل، الاستماع والملاحظة» لهذا السبب فإنني أتقدم عبر القرآن خطوة خطوة. أريد أن أعرف الحقيقة.

البعث {السورة ٢: ٢٥٩}

يشهد القرآن على قدرة الله على إحياء الموتى:

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ.

يتكرر موضوع البعث عدة مرات في القرآن، إنه كذلك موضوع أساسي في التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل من منظور طبيعي، فالبعث بعد الموت هو أمر مستحيل من الناحية المادية لأن عندما يموت الجسد، فتلك هي النهاية لا محالة لكن رغم ذلك هناك أمل ضعيف بأن يُحيي الله الموتى، يمكن لله أن يفعل المستحيل وما هو مستحيل بالنسبة للبشر هو ممكن بالنسبة لله.

أعمال الخير والذنب {السورة ٢: ٢٧١}

تضم الوضعية الإنسانية الضعف والذنب من منا لا يتصارع مع الذنب والعار؟ تقول الآية ٢٧١:

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

تثير هذه الآية انتباهي إلى شيئين:

أولاً: تحذر الآية من عمل فعل الخير لإرضاء ناس آخرين، يقول سيدنا عيسى شيئا مشابها:

«اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. ٢فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! ٣وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالُكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، ٤لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً».

(أنجيل متى ٦: ١-٤)

ثانياً: يَعِد القرآن بأن الحسنات يذهبن السيئات، كمسيحي أرى هذا الأمر مهم جداً إن فهمنا كله لرسالة الإنجيل كخبر مفرح هو أن الله قدم طريقة للتخلص من وسخ ذنوبنا تقول السورة ٢٧١ بأن عمل الخير يكفر عن بعض سيئاتنا، هذا يطرح سؤالا وهو كيف نكفر عن باقي السيئات ونزيلها. إذا سرق رجل ضيعة جاره وأعطى بقرة ليتيم هل هذا كاف لإزالة هذا الذنب؟ ماذا يجب أن نفعل لنزيل كل الذنوب؟

فرض الربا على الديون {السورة ٢: ٢٧٥}

يتكلم القرآن عن المال في العديد من المقاطع وتساهم التعاليم حول المال في تكوين الشريعة الإسلامية: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا». يقر المفكرون الإسلاميون بأن الربا أصبحت أساساً للمعاملات البنكية الدولية تفرض الفوائد على الديون بكل أنواعها، ديون العقار والسيارات والدراسة وغيرها ويجب على الناس أن يؤدوا أموالا أكثر مما اقترضوا، إنه نظام متطور جداً ومستعمل عبر العالم.

بالرجوع إلى القرآن يرفض المسلمون التعامل مع البنوك التي تتعامل بنظام الربا وفي بعض الدول الإسلامية تم تطوير أنظمة بنكية تمكن من إعطاء قروض على العقار وشراء السيارات والمشاريع وغيرها من الحاجيات، لكن رد الدين لا يشتمل على فوائد مثلاً قد يصبح البنك شريكاً في مشروع ساهم في إنشائه حتى يضمن شيئا من الأرباح.

لم تقل الكتب السابقة شيئاً كثيراً حول موضوع الربا بل تكتفي بذم الطمع على باعتباره ذنباً ومدح الكرم باعتباره فضيلة.

الجزاء الروحي {السورة ٢: ٢٨١}

هل يعطي الله جزاء روحيا؟ تقول الآية ٢٨١:

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

تقود مسألة الجزاء الروحي دائماً إلى البحث في عمق الطبيعة البشرية هل الإنسان بطبعه خيِّرا أو شريراً أو كليهما لماذا يفعل الناس الشريرون أفعال الخير؟ هل يمكن للناس أن يحصلوا على الجزاء الكافي للتكفير عن أفعال الشر التي يرتكبونها؟ الإنسان هو خليط معقد ومتناقض من الخير والشر.

الإنسان كقيثارة بدون أوتار فقد القدرة على إصدار لحن جميل.

بما أن الله خير ومحب للآخرين، فيمكن للإنسان أن يكون كذلك وإذا كان لله لا يقترف الذنوب، فلماذا يقترفها الإنسان، يقول سيدنا عيسى: «إذ الجميع اخطئوا وأعوزهم مجد الله» {رومية ٣:٢٣}. الإنسان كقيثارة بدون أوتار فقد القدرة على إصدار لحن جميل.

النتيجة؟ هناك جزاء روحي:

«لان أجرة الخطيئة هي الموت».

هل هناك طريق صحيح للإفلات من هذا الموت؟ أملنا الوحيد هو أن يمحو الله ذنوبنا كما تقول الآية ٢٨٦:

ج

وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا .

ماذا يحتاج الله ليمحو ذنوبنا إذا كانت أعمال الخير التي نقوم بها غير كافية.

الفصل الثالث
سورة آل عمران

الكتب والمعاني {السورة ٣: ٧}

أنهينا رحلتنا عبر سورة البقرة التي تعتبر أطول سورة في القرآن، السورة ٣ لها تقريباً نفس الطول، أنا مسيحي درس التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل لعدة سنوات لقد درستهم بعدة لغات بما في ذلك اللغات الأصلية: العبرية، اليونانية والآرامية منذ أن التقيت بصديقي المسلم الأول بالكلية قمت بآلاف المحادثات مع المسلمين.

كما أنني درست القرآن لعدة سنوات لكنني قررت هذه المرة أن أكتب ردة فعلي وأنا أقرأ آية بخلاف العرب، لم يسبق لي أن تعلمت اللغة العربية في الطفولة، لكني أحاول قدر المستطاع الوصول إلى المعنى المقصود من القرآن.

تصف الآية ٧ نوعين من الآيات في القرآن:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ .

لكن كيف يمكننا معرفة الفرق بين الآيات المحكمات والآيات المتشابهات؟ القرآن هو الذي عادة ما يخبرنا عندما تكون الآية تشبيها. تبين الآية ٧ بعد ذلك

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ .

ما هو مصدر هذا الفهم؟ هل هو من الله؟

جهنم والعقاب {السورة ٣: ١٠}

يقدم القرآن أوصافا واضحة للعذاب الذي سيصيب من يرفض الإيمان بالإسلام. تقول الآية ١٠:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ.

النار؟ ذكرت النار في القرآن ١٤٥ مرة ولها أسماء أخرى كذلك من بينها جهنم، سقر، سعير، اللظى والهاوية.

في الإنجيل جهنم هي مكان العذاب الذي ينتظر كل من عصى الله وفي اللغة العبرية، تحيل كلمة جهنم على وادي أو فج عميق خارج مدينة القدس يستعمل كمكان لرمي النفايات ولا تهدأ النار أبدا في الوادي فكانت مكانا للضياع التام والدمار.

لماذا يرسل الله الناس إلى جهنم؟ من سيذهب هناك؟ كيف ستكون حقيقة؟ تتطرق التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل والقرآن لهذه الأسئلة وبالتالي فالأجوبة ستكون ذات أهمية.

الثروة الروحية أو الثروة المادية؟ {السورة ٣: ١٤}

يدعو القرآن الناس إلى التفكير في أي ثروة أحسن، الروحية أو المادية:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ

هذا سؤال للقلب: هل يسعى القلب فعلا إلى الحصول على المتعة من الملذات المادية لهذا العالم أم يجد ذلك في الإيمان بالله.

منذ زمن طويل كان رجل غني جدا يملك منزلاً به حقل خصب فكان أنتاج هذا الحقل أكثر من أي حقل آخر الأمر الذي جعله يزداد غنى وذات مساء جميل وقف على سطح بيته ينظر إلى أشجار الزيتون الكثيرة وأشجار الفاكهة والقمح، وقال لنفسه: «هذا أمر عجيب لم يبق لدي مكان لأخزن فيه كل هذا المحصول! هذا ما سأفعله سأهدم هذه المخازن وأبني أكبر منها لكل هذا المحصول والثروة، نعم أنا أستحق بعد كل هذه السنين من العمل أن أستريح وأستمتع بثروتي في السنوات القادمة سأنظم حفلات، أستريح، آكل وأشرب واستمتع بالحياة».

بعد أن غربت شمس ذلك اليوم، قال الله لذلك الرجل: «أيها الأبله، اليوم سأقبض روحك من سيستمتع بكل هذه الثروة التي جمعتها لنفسك؟». هذه هي حياة من يقضي عمره يجمع ثروة لنفسه ويغفل عن الله.

يقول النبي داود:

خِوْفِ الرَّبِّ نَقِيٌّ ثَابِتٌ إِلَى الأَبَدِ. أَحْكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادِلٌ كُلُّهَا. أَشْهَى
مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ الْكَثِيرِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقِطْرِ الشُّهَادِ.
(مزامير ١٩:٩-١٠)

هل الذهب شيء سيء؟ لا ولكن كلام الله أحسن. هل الثروة خطأ؟ لا ولكن العبادة أحسن، أحياناً يجعل الله إنساناً صالحاً غنياً وله موارد حتى يتمكن من مشاركة ما يملك مع الناس المحتاجين. غير أن من يجعل من الثروة هدفاً لحياته فسوف يصاب بخيبة أمل للأبد.

الدين والصداقة {السورة ٣: ٢٨}

أهل الكتاب هو موضوع مألوف للنقاش في القرآن. عبر محمد عدة مرات عن رغبته في أن يعتنق اليهود والنصارى الإسلام. كان يريد منهم أن يضعوه في نفس فئة الرسل المميزين كإبراهيم وموسى وداود، يقر القرآن بألوهية الكتب السابقة على القرآن ويضع التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل في مرتبة عليا لا يعطي القرآن أية إشارة على أنه قد تم إفساد هذه الكتب. تم تحريف بعض المعاني أو تأويلها بطريقة خاطئة ولكن لم يتم إفسادها كان العرب يعرفون اليهود والنصارى الذين بقوا مخلصين لعقيدتهم ولكتبهم هل كان هذا جيدا أم سيئا؟ هل يمكن أن يحصل يهودي أو نصراني أخلص الدين لله وتبع تعاليمه على جزاء؟ هل لليهود والنصارى تأثير حسن أو سيء على المسلمين؟ ما هي طبيعة العلاقة التي يجب على المسلم أن يقيمها مع غير المسلمين؟

تقول الآية ٢٨:

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى
اللَّهِ الْمَصِيرُ

نجد في السورة ٥ آية مشابهة تدعو المسلمين إلى تجنب إقامة علاقة حميمة مع اليهود والنصارى.

تتحقق الصداقة في مستويات: عادية، في العمل، في أوقات الفراغ، قريبة وحميمة، لا

تميز الآية ٢٨ بين مختلف أنواع الصداقة فيعتقد بعض المسلمين أن هذا يعني أن الأصدقاء الحقيقيين والصادقين لا يمكن أن يكونوا إلا من المسلمين الآخرين فقط. يبدو أن لهذا معنى، فالطيور على أشكالها تقع والناس تميل إلى إقامة علاقات مع الناس الذين يشتركون معهم في كثير من الأشياء.

في أيام سيدنا عيسى المسيح رفض اليهود أن يصاحبوا السامريين لأنهم كانوا يعتبرونهم كفاراً من دين آخر وأمة أخرى فكان اليهود يحتقرونهم.

وكان لله رأي آخر في الصداقة في ذات صباح جمع تاجر يهودي بضائعه وبدأ رحلة طويلة وخطيرة من القدس إلى أريحا في منتصف النهار مر بوادي عميق وهاجمه فجأة لصوص ضربوه واستولوا على كل بضائعه وتركوه يصارع الموت.

مر حبر يهودي بالصدفة من تلك الطريق لكنه عندما لا حظ الجدران الحادة للوادي، والظل المظلم والذباب المتصاعد من الجسد المجروح، مر إلى الجانب الآخر من الطريق وذهب لحاله ونفس الشيء حدث مع حبر يهودي آخر عندما وصل للوادي الضيق الصخري نظر إلى ابن بلدته وتابع طريقه دون أن يفعل أي شيء لإنقاذه.

ربما سمع الرجل المشرف على الموت صوت خطواتهم من بعيد وربما استسلم للموت لكن سامرياً كان مسافرا على هذا الطريق رأى الجسد المجروح عندما مر من هناك فأسرع نحوه وفحص جروحه لقد أظهر هذا السامري طيبة وحساسية نحو هذا الرجل فضمد جراحه وصب عليه زيتاً وخمرا وأركبه فوق دابته وبعد ذلك فعل شيئا رائعا ذهب بالتاجر إلى نزل واعتنى به في اليوم التالي عندما كانا سيفترقان أعطى السامري لصاحب الفندق نقودا وقال له:

«اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ».
(لوقا ١٠: ٣٠-٣٦)

فكر في الأمر: قال سيدنا عيسى هذه الحكاية لليهود وكانوا يعتبرون أنفسهم أعلى مقاماً من الكفار السامريين، غير أن بطل قصته كان نفس الشخص الذي كانوا يحتقرونه.

التفت سيدنا عيسى إلى الناس وقال لهم: «فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص». فأجابه أحد الأحبار اليهود: «الذي صنع معه الرحمة». قال له المسيح «اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا»، ألا يجب على الصداقة أن تتجاوز حدود الدين والعرق والجنسية؟

الشر الكامن {السورة ٣: ٣٠}

يناقش القرآن ثانية المأزق الإنساني العميق والعام: الشر الكامن مثل باقي الكتب السماوية

يعلمنا القرآن بأن يوم الحساب قادم:

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾.

كلمة أساسية هي كلمة «كل» وهذا يعني أنه لا توجد نفس بدون ذنوب رغم أن كل الأنفس خلقت على صورة الله وقادرة على فعل الخير، والصلاة والاعتقاد في الله واليوم الآخر فإنها تفسد بسبب الشر الذي بداخلها فقد تتألم الروح وترغب في الافتراق عن الشر لكن كيف؟ هذا هو السؤال الكبير للكتب المقدسة، ما هو الشيء القوي بقدر كاف لدفع الشر؟

يقدم القرآن جوابه عن هذا السؤال في الآية التالية:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أسأل نفسي سؤالين. هل يمكنني أن أحب الله بقدر كاف بالنسبة له حتى يغفر لي؟ ثانياً؟ إذا كانت ذنوبي تستحق عقوبة الموت فمن سيعاقبه الله في مكاني؟ إذا غفر لي ذنبي هل سيتحمل نفسه دَيْني الروحي والأخلاقي؟

تبين قصة بسيطة هذه المسألة. ذات يوم أرسل ملك جنوده إلى المعركة وفي المساء اكتشف الحراس أن أحد الجنود المحليين قد هرب بطريقة سرية من المعركة لقد غادر هذا الجندي مكانه كحامل للدرع الذي يحمي الأمير وعندما تم القبض عليه اعتذر الرجل من الملك متوسلاً باكياً وطالباً المغفرة فكان الملك رحيماً وعفاً عنه بالرغم أن ابن الملك أصابه سهم ومات في تلك المعركة في ذلك اليوم، لو أن هذا الجندي بقي في مكانه حاملاً الدرع الذي يحمي الأمير، يمكن أن يكون الأمير قد بقي حياً لكن الملك عفا عنه وتحمل هو العقوبة لقد فقد ابنه لأن ليس هناك عفو دون أن يتحمل أحد العقوبة.

سيدنا عيسى في القرآن {السورة ٣: ٣٣-٥٩}

ألَّف العديد من الكُتاب كتباً قوية حول سيدنا عيسى المسيح في القرآن. يسرع أصدقائي المسلمين دائما إلى قول: «نحب ونحترم سيدنا عيسى. إذا لم نفعل فنحن لسنا بمسلمين». تتحدث العديد من السور عن أصله وولادته وحياته وحتى مماته. تُصوِّر لنا الآيات ٣٣-٥٩ المسيح كإنسان متميز عن باقي البشر. إنه الشخص الوحيد الذي ولد بدون أب من البشر.

يناقش اليهود والمسيحيون والمسلمون حول هوية المسيح لما يزيد عن ٢٠٠٠ سنة رفضه العديد من اليهود التقليديين كمسيح اتهموه بخلق معجزات مستخدماً قوة الشياطين أدانوه كنبي مزيف نعتوه بالكذاب والخارج عن الدين قام أحبار اليهود بتهييج الناس ضده

إذا كانت ذنوبي تستحق عقوبة الموت فمن سيعاقبه الله في مكاني؟ إذا غفر لي ذنبي هل سيتحمل نفسه دَيْنِي الروحي والأخلاقي؟

وطلبوا من الحاكم الروماني أن يصلب سيدنا عيسى طلبوا من الحاكم الروماني صلب المسيح لأن الشريعة اليهودية تمنع اليهود من قتل أي كان من المفيد ذكير بأن فلسطين كانت تحت حكم لإمبراطورية الرومانية القوية لمئات السنين.

لم يرفض جميع اليهود سيدنا عيسى المسيح. كان أتباعه من رجال ونساء اليهود كانت مريم وإخوتها يهوداً ويقول الإنجيل بأن آلاف اليهود من القدس أصبحوا أخيرا من أتباعه المخلصين.

يمكننا أن نفهم الآيات أحسن إذا قسمناها إلى خمسة أجزاء:

١. دعاء مريم ٣٣-٤٤
٢. معجزة ميلاد المسيح ٥٤-٧٤
٣. سيدنا عيسى المسيح كنبي
٤. المؤامرة ضد سيدنا عيسى المسيح
٥. آدم وسيدنا عيسى المسيح

يعتبر دعاء مريم قصة جميلة لاستجابة الله للدعاء، وللهداية والعطاء والحماية. كيف كانت مريم متميزة؟

تقول الآية ٤٢:

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.

ياله من شرف كبير لقد فضلها الله حتى على حواء، أول امرأة خلقها الله وفضلها على أمة الله أم إبراهيم وعلى سارة زوجة إبراهيم وأم إسحاق وعلى هاجر أم إسماعيل وعلى أم داود وعلى كل أمهات العالم، لماذا تم تشريف مريم بكل هذا الشرف؟ هل كانت هي الأتقى في التاريخ والأقرب إلى الله؟

لا إنها كانت بشراً كباقي أبناء آدم وحواء. فضلها الله وشرفها لأنه تم إختيارها لمهمة جديرة بالاحترام. تقول الآية ٤٥:

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ سيدنا عيسى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

كيف كانت ولادة مريم لسيدنا عيسى أنبل الولادات في هذا العالم؟ الولادة من أم عذراء هي المعجزة وأكثر من ذلك لقد كانت مدخل أرضى للرجل السماوي.

في عالمنا المادي نجد العديد من المواد الفريدة «التراب، الماء، الهواء والنار ومن النار تخلق النار، ومن التراب يأتي التراب، والهواء يولد الهواء، ومن الماء يُخلق الماء»، الله روح وجوهره روحاني، هل يصدر شيء عن الله؟ بالتأكيد هذه أمور غامضة جداً. لكن هل الله يريدنا أن نبقى في ظلام الجهل فقط لأن الأمر غامض جدا؟ يصعب تفسير النور لكننا لا نتردد في استعماله لمعرفة طريقنا في منتصف الليل، بالتأكيد الله يفهم ويرى نفسه وهو كامل الوعي بذاته ولا شيء يخفى عليه:

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. {السورة ٥:٣}

الله ليس الكون وليس الكون هو الله تقول الآية ٢{السورة ٣}:

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

سأتفق مع هذه الآية كما قد يتفق معها اليهود والمسيحيون. ليس لله بداية ولا نهاية الزمان والمكان لهما بداية وإذا أراد الله سوف تكون لهما نهاية يوماً ما خلق الله النار والهواء والماء والتراب من لا شيء.

يقول الانجيل،

لإِنٍ هذا يخفَى عِليْهِمْ بإرَادِتِهِـمْ: أَنٍ السَّماوَاتِ كَانِتِ مِنذِ القِدِيمِ، وَالإرْضِ بِكِلِمِةِ اللهِ قِائِمِةٍ مِنَ المِاءِ وَبِالمِاءِ، اللِوَابي بِهِنَّ العِالِمُ الكِائِنُ حِينئِذٍ فِاضِ عِليْهِ المِاءُ فِهِلِكِ.

(رِسَالَةُ بُطْرُسَ الرَّسُولِ الثَّانِيَةُ ٣: ٥)

تقول الكلمات الولى من التورات،

في البَدءِ خِلِقِ اللهِ السَّماوَاتِ وَالإرْضِ.

(التكوين ١:١)

لم يخلق الكون بالتأكيد من مادة اسمها الله لأنه خلق من طرف الله وله بداية ويعتمد الكون في وجوده على الله لكن الله لا يعتمد في وجوده على الكون.

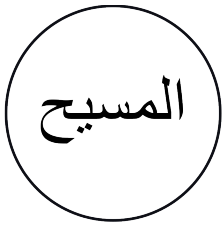

تُسمي الآية ٤٥ {السورة ٣} سيدنا عيسى بكلمة الله، هل كلمة الله مخلوقة أم صدرت عن الطبيعة الروحية لله ؟ تعتبر هذه المسألة خلافية لأن المعتقدات تفترق حولها. يقول البعض بأن كلمة الله تعني أن الله أرسل سيدنا عيسى المسيح كمعجزة وليس أكثر من ذلك، ويعتقد آخرون بأن سيدنا عيسى سُمي بكلمة الله لأنه بلّغ رسالة من الله.

ليست الآية ٤٥ المرة الأولى التي سمي فيها سيدنا عيسى المسيح بكلمة الله ٥٠٠ سنة قبل نزول القرآن ألهم الله صديق المسيح وأحد حوارييه، يوحنا، ليكتب ما يلي:

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضئ في الظلمة، والظلمة لم تدركه».

(يوحنا ١: ١-٥)

لقد كتب يوحنا إنجيله في الأصل باللغة اليونانية وكان سيدنا عيسى يسمى في اللغة الإغريقية باللوغوس، يكتب يوحنا عن الكلمة في الآية ١٤:

وَالْكَلِمَةِ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا

(يوحنا ١: ١٤)

إذا كنتم تقرأون هذا الكتاب يجب أن تتقدموا في قراءته بكل تمعن وحكمة، ما هو هذا اللوغوس، الكلمة؟ هذه إحدى الأشياء الغامضة جداً تصدر عن الله كلمة شخصية. إنها قريبة منه لدرجة أنه لا يمكن التفريق بينهما. طبيعة الله وطبيعة الكلام واحدة. الكلمة أبدية وكاملة، إنه الخالق، النور والحياة وقاهر الظلام.

بعد ذلك في الآية ٥٩ يساوي الله بين آدم وسيدنا عيسى. قال الله «كن»، فكان سيدنا عيسى جنينا في رحم مريم. في بداية العالم قال الله لآدم «كن» فكان آدم جسدا من تراب نفخ الله فيه من روحه.

يتفق المسيحيون على أن آدم وسيدنا عيسى متشابهان، في الحقيقة فإن الإنجيل يسمي سيدنا عيسى آدم الثاني لكن «مشابه» لا تعني «مطابق». مثلا خُلق آدم من تراب لكن سيدنا عيسى وُلد بنفس الطريقة التي يولد بها مليارات الأطفال لسنا متأكدين تماماً إذا ما كان آدم قد عاش مرحلة الطفولة ،

لكن سيدنا عيسى كان رضيعاً طبيعياً رضع من حليب أمه مريم ولقد لعب سيدنا عيسى كطفل صغير وكبر ليصبح رجلا بالغاً، لقد تزوج آدم حواء وكان لهم عدة أبناء لكن سيدنا عيسى لم يتزوج أبداً ولم يكن له أبناء لأنه أرسل لتنفيذ مهمة خاصة.

إذن كيف كان سيدنا عيسى وآدم متشابهين، لم يكن المسيحيون يعتقدون بأن جسد سيدنا عيسى كان شيئا آخر غير جسد بشري عادي يتدفق الدم في عروقه، مثل آدم وذريته وكان آدم وسيدنا عيسى بشراً كاملي البشرية من حيث المادة التي تتكون منها أجسادهم.

هنا حيث يمكن أن نفترق ونختلف، هل هناك شيء آخر في الإنسان أكثر من الجسد المادي الذي يتكون منه؟ منذ زمن شارل داروين أصبح متداولاً أن كل المخلوقات بما في ذلك البشر قد تطورت ببطء من حيوانات بدائية فحسب هذه النظرية فالقرود والبشر لهم أصل واحد، كما هو الشأن بالنسبة للعناكب والسباع، في العالم الحديث يعتقد الناس أنه مادام البشر لا يختلفون جوهرياً عن باقي الحيوانات والمخلوقات، فإن حياتنا ستنتهي عند الموت وستتحول أجسادنا إلى تراب، وسيلفها النسيان للأبد.

يؤمن المسلمون واليهود والنصارى بالله واليوم الآخر والجنة والنار ونؤمن كذلك أنه حتى بعد الموت فإن الروح البشرية تستمر في الحياة هناك سؤال حول ما سيقع عندما يبعث الجسد من جديد بعد الموت، لكننا نعتقد بأن الأمر يتعلق أكثر بالجسد من المواد الكيميائية التي يتكون منها. نحن أرواح حقيقية خلقها الله وهذه الأرواح تعيش بالجسد أو بدونه.

الروح والجسد. هذا هو سبب غموض تسمية سيدنا عيسى بابن الإنسان وابن الله. عندما قال الله «كن»، تكوّن جسد سيدنا عيسى في رحم أمه لكن من أين أتت روحه؟ هل خلقت روحه كما خلقت روح آدم، أم أنها غير مخلوقة؟ هل روح سيدنا عيسى هي صادرة من جوهر الله ككلمة الله؟

يُعْرف المهندس التركي العظيم سنان ميمار ببناياته العجيبة فقد صمدت هذه البنايات لمئات السنين، أي وقتاً كثيرا بعد مماته ويمكن أن نقول بأن هذا المهندس العظيم مازال يعيش في أعماله لقد صدرت كل هذه الأعمال التي نفذها من داخل فكره وعقله قبل أن تصدر عنه أي كلمة أو قبل أن يرسم التصاميم، كانت القدرة على التفكير والتخيل كامنة وفاعلة في جوهره والقدرة على حكي القصص والتخطيط للمستقبل هما بعض الأشياء الأساسية التي تجعل منا بشراً.

كان سنان ميمار فقط إنساناً رغم أنه إنسان متميز بذكائه ولم يستطع في الحقيقة أن ينسج نفسه {كلمته} داخل بناياته واليوم وبفضل التكنولوجيا الحديثة بدأ العلماء في تجريب فكرة تحويل العقل البشري إلى كمبيوتر، وكذلك وبطريقة عجيبة، تحويل الروح إلى روبوت أو إنسان آخر، يفكر العلماء المثاليون في إمكانية تحقيق الخلود للبشر.

إذا كان البشر يستطيعون أن يتخيلوا أخذ العقل البشري {كلام} وتنزيله في آلة أو حتى في عقل بشري آخر، هل يبدو لا معقولا أن نتساءل إذا ما كان الله له الرغبة في أن يفعل نفس

الشيء؟

قال صديقي: «مستحيل»، ووضع كأس الشاي بعناية على المائدة. «لماذا قد يريد الله فعل ذلك الأمر؟ لا يحتاج الله أبدا أن يضع نفسه في جسد إنسان جديد حتى يضمن الخلود مادام الله خالداً! لا يحتاج الله أبدا أن يحول نفسه إلى شيء مخلوق حتى يكسب قوة أكثر لأنه هو الأقوى على الإطلاق، إنه لأمر مقزز تخيل هذه الأشياء. أحس بالاشمئزاز لمجرد المحاولة لأن ليس لله حاجات والله واحد».

يوجد جواب على هذا السؤال الغريب والمحير في الإنجيل:

لإنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الإبدية.

(يوحنا ٣: ١٦)

يمكن للحب أن يدفع الناس لفعل أشياء غريبة ومحيرة لكن يدفع حب الوطن الناس إلى الموت وحيدين في ساحة المعركة ويدفع حب الزوجة والأبناء الرجل إلى المعاناة بالعمل في ظروف قاسية لتوفير السكن والغذاء ويدفع حب رجل المرأة إلى خلق رغبة فيه لقطع البحار وتسلق الجبال ليثبت لها هذا الحب.

كانت المحبة دافعاً لسيدنا عيسى. لكن ماذا فعل سيدنا عيسى في مهمته كرسول على الأرض؟ نجد في الآية ٤٩ {السورة ٣} أن سيدنا عيسى يحيي الموتى ويبرئ الأبرص والأبكم إنه يفعل هذه الأشياء بقدرة من الله، ماذا كان بإمكانه أن يفعل أيضاً؟ الله هو الوحيد الذي بإمكانه فعل المستحيل، وسيدنا عيسى هو كلمة الله، أينما حلت كلمة الله تحققت المعجزات واستمرت الحياة.

يؤكد القرآن في الآية ٥٤ بأن أعداء الله تآمروا على سيدنا عيسى. يؤكد الإنجيل بأن هؤلاء الأعداء أرادوا قتله بصلبه. لكن هل يستمكنوا من ذلك؟ كيف يمكنهم محاربة الله والفوز؟ تقول الآية ٥٥:

إِذْ قَالَ اللّهُ يَا سيدنا عيسىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمّ إِلَيّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

ارتبك جاري وقال: «سيدنا عيسى لم يمت».

من الواضح أنه لم يقرأ أبدا الآية ٥٥، سألته: «أريد أن أعرف إن كانت هناك آية في

القرآن تقول بأن سيدنا عيسى لم يمت؟ مكث صامتاً!

كانت المحبة دافعاً لسيدنا عيسى.

أكملت كلامي: «أنا أعرف الآية ١٥٧ من السورة ٤ ولكن حتى تلك الآية لم تقل بأن سيدنا عيسى مات بل تقول فقط بأن اليهود لم يقتلوه». كما ذكرت سابقاً فالقرآن يتحدث ليس فقط عن ميلاد المسيح ولكن أيضا عن مماته. يعتقد الكثير من الناس بأن الله أنقذ سيدنا عيسى من الموت على الصليب، واضعاً إنسانا آخر مكانه ولكن لماذا تقول الآية بأن الله توفاه ورفعه إليه: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ».

سألني صديق آخر مرة: «هل يقول الإنجيل بأن المسيح مات فعلاً؟».

قلت له «نعم. يقول الإنجيل ذلك في عدة أماكن».

أولاً: تنبأ سيدنا عيسى بموته مصلوباً قال لحوارييه ذات مساء:

«إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ. وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ».

(مرقس ٩: ٣١)

بعد قتل المسيح، أمر الحاكم الروماني بيلاطس نفسه الجنود بالتأكد من موت المسيح:

فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعًا. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ: «هَلْ لَهُ زَمَانٍ قَدْ مَاتَ؟» وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ، وَهَبَ الْجَسَدَ لِيُوسُفَ. فَاشْتَرَى كَتَّانًا، فَأَنْزَلَهُ وَكَفَّنَهُ بِالْكَتَّانِ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرٍ كَانَ مَنْحُوتًا فِي صَخْرَةٍ، وَدَحْرَجَ حَجَرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ.

(مرقس ١٥: ٤٤-٤٦)

كما تحدث يوحنا عن موت المسيح:

وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ.

(يوحنا ١٩: ٣٣)

بعد أسابيع قليلة من الصلب والقيامة، خاطب بطرس والحواريين الآخرين جماعة كبيرة من أتباع إبراهيم وقدموا أمامهم شهادتهم،

وَلكِنْ أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ، وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ. وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ.

(أعمال ٣ : ١٤-١٥)

يقول الإنجيل:

أَنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ.
(رومية ٥: ٨)

ويقول

وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا.
(رومية ٥: ٦)

كما هو الشأن بالنسبة لجميع الكتب المقدسة لفهم الآية ٥٥ من السورة ٣، يجب أن نرجع للغة الأصلية وبمساعدة محركات البحث على الإنترنت، يمكن أن نترجم كلمة «متوفيك» إلى أي لغة نريد، سواء بالروسية أو التركية أو الأوزبكية أو أي لغة أخرى، فالمقابل الذي نحصل عليه دائما هو «مت» أو «جعلوني ميتاً».

وعد الله ألا يترك سيدنا عيسى في القبر:

أَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِيَ فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا.
(مزمور ١٦: ١٠)

عندما جاءت بعض النساء من أتباع سيدنا عيسى لمسح جسده الميت بزيت رفيع، اكتشفوا أن قبره كان فارغاً ظهر لهم ملاك وقال لهم

لماذا تبحثون عن الحي بين الإموات.

إن كلمة «متوفيك» في الآية ٥٥ تعني «رفع» عندما كان في قبره كان جسده ملفوفاً في الكفن حسب التقاليد بدون حراك كالموت نفسه فكانت جثة سيدنا عيسى تنتظر معجزة أخرى من الله كان هذا الوضع فرصة لله ليبرز قوته على الشيطان والذنب والموت.

لم يكن إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً

في عمق جذور الأمم نجد أن إبراهيم كان اسمه يعني أباً للكثير أنه إنسان لم يكن ممكناً له أن

يلد أبناء مثلاً أب للملايين فقد اختير إبراهيم من طرف الله كإنسان فريد ليتلقى وعده.

كيف يصبح الإنسان يهوديا؟ بتعبير بسيط، إن اليهود هم أبناء يهودا، ويهودا كان من سلالة إبراهيم، وكانت قبيلته هي التي انحدر منها ملوك بنو إسرائيل.

بعد ذلك في الإنجيل، كانت كلمة يهودي تعني كل شخص يثق فعلا في الله ليتحرر من الذنب، يقول الإنجيل:

بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخِفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانٌ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ

(رومية ٢: ٢٩)

هذا يتماشى وأحد تعاليم المسيح القائلة بأن النفاق كقبر مطلي بالجير الأبيض، جميل من الخارج لكنه مليء بالموت. الحياة الحقيقية تبدأ من الداخل وتشتغل نحو الخارج.

نعم لم يكن إبراهيم بمعنى ما، يهودياً لأنه هو أب اليهود والعديد من الشعوب لكنه بمعنى أن قلبه قد تم تطهيره من طرف الله، فإنه يمثل المعنى العميق للإسم.

في حديث مشوق مع القادة اليهود، قال سيدنا عيسى:

«أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ»

(يوحنا ٨: ٥٦)

هل تنبأ إبراهيم بقدوم سيدنا عيسى؟ نعم! لأنه كان نبياً مختارا من الله. آلاف السنين قبل قدوم سيدنا عيسى، وعد الله إبراهيم بأنه سيرسل المسيح من ذريته رغم أن سيدنا عيسى لم يكن له أب من البشر، فإن أمه مريم هي من ذرية إبراهيم لم يكن إبراهيم يعرف تفاصيل قدوم المسيح، لكنه فرح لفكرة قدوم ذلك اليوم.

ذنب الشرك {السورة ٣: ٨٠}

يحذر القران باستمرار من الشرك. تقول الآية ٨٠:

وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

يبين تاريخ اليهود كما هو مسجل في العهد القديم على أن اليهود ابتعدوا مراراً عن عبادة الله الواحد وخلقوا أصناما وعبدوها وكانوا أحياناً يعبدون أوثاناً من دول مجاورة وغالباً ما

كانوا يعبدون إلها اسمه «بعل» تحد النبي إلياس كهنة البعل ودعاهم إلى امتحان ليروا من هو الإله الحقيقي، بعل أم الله فقد طلب منهم أن يذبحوا عجلًا ويضعوه فوق المذبح ويُصلّوا لبعل ليطلبوا منه إرسال النار وفعل الكهنة ذلك كما قيل لهم وصلوا وانتظروا لكن النار لم تأتى إليهم فقد انتحبوا وبكوا وقطعوا أنفسهم حتى سالت دماءهم حتى يستجيب لهم البعل لكن لم يكن هناك نار في المساء بنى إليا النبي مذبحاً من عشرة أحجار وحفر حفرة حول قاعدة المذبح وسكب ماء على العجل حتى امتلأت الحفرة و رفع إلياس صوته ودعا: «استجب يا رب، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله، وأنك أنت حولت قلوبهم رجوعاً» (الملوك ١ ١٨: ٣٧) وقبل الله دعاءه. ونزلت النار من السماء على أضحيته وحرقت كل شيء بما في ذلك الماء الذي كان في الحفرة وتبدد كل الشك. كشف الله عن نفسه وندم الناس على شركهم به.

طريق الضلال {السورة ٣: ١٠٠}

فقدان الإيمان هو شيء مخيف، يؤمن العديد من الناس في العالم اليوم بوجود خالق. كان اليهود يسمون الخالق باسمه الرائع يهوه يهوه (יהוה)، في حين أن الإغريق استعملوا كلمة ثيؤس ثيوس (θεός). أما المسيحيون العرب فقد استعملوا كلمة الله ويستعمل الفرس كلمة كودا للإحالة على الخالق.

كما ذكرنا سابقاً فإن القرآن يقول بأن هناك جزاء للناس الذين يؤمنون بإله واحد، الخالق وإله الجميع.

هل يكفي أن نؤمن بالله الواحد والحقيقي لننال الجزاء بدخول الجنة؟ وما أهمية أن نؤمن بالله ونخاف منه؟ تقول الآية ١٠٠ من السورة ٣:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ.

من يكون هذا الفريق من أهل الكتاب؟ كيف كانوا يردون المسلمين عن دينهم؟ لماذا كانوا يهاجمون إيمانهم بالله؟

يصعب على أن أتخيل الكيفية التي كانوا يردون بها المسلمين عن دينهم، كما هو معروف فاليهود يؤمنون بخالق واحد، الله. كتب موسى بتفصيل عن خلق الله للسموات وللأرض، وبعد ذلك عن خلق آدم وحواء على صورته و كان اليهود يؤمنون بالله الواحد، وكذلك فعل المسيحيون لم يؤمنوا بأن المسيح هو إله ثان ومريم إله ثالث ويعتبر المسيحيون، كما يفعل ذلك المسلمون، بأن ذلك شرك.

هل تعني الآية ١٠٠ بأن بعض أهل الكتاب كانوا مشركين وحاولوا أن يردوا المسلمين عن إيمانهم بالله والسقوط في الشرك؟ لا يمكن أن نجزم، لكننا متأكدين بأن الوصايا العشر تمنع الشرك بوضوح فقد أدان موسى الشرك عندما صام لمدة ٤٠ يوما في الصحراء.

كما نعرف أن القرآن يحترم بعض أهل الكتاب. تقول الآية ١١٠:

وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ.

كما تقر الآية ٧٥ بأن بعض أهل الكتاب هم ناس تقاة:

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ

قد أسلم بعض اليهود والنصارى لكن هل كان هناك تقاة بين من لم يسلموا؟

من الممكن أن يكون بعض أهل الكتاب قد تخلوا عن تعاليم الكتب الأولى لكن هؤلاء الناس ليسوا بمؤمنين فكيف يمكن لإنسان آمن بالتوراة والإنجيل أن يطلب من الناس أن يصبحوا مشركين؟

أعداء مُؤْذون {السورة ٣: ١١١}

يتوعد القرآن أهل الكتاب الذين رفضوا الإيمان وخانوا مواثيق الله بالعقاب. ما هي درجة خطورتهم؟ تشير الآية ١١١ بأنهم ليسوا خطيرين، على الأقل ليس لكل الوقت:

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ .

هذا يتعارض مع ما هو سائد في الرأي الشعبي اليوم تكثر نظريات المؤامرة ضد بعض الأقليات الدينية فقد استهدف النازيون الألمان تحت حكم هتلر اليهود والمسيحيين وبعض الأقليات الأخرى في أوروبا لأنهم يمثلون في رأيهم تهديداً قاتلا للحضارة كما طرد قيصر روسيا مائة سنة قبل ذلك الفلاحين اليهود خارج روسيا، لكن هذه الآية تعتبر اليهود غير مؤذين ولا يجب الخوف منهم.

من هو المحسن {السورة ٣: ١٣٣-١٣٤}

كلنا نعجب بشخص عظيم ما، فعشاق كرة القدم يعجبون بلاعب ما ويعتبرونه الأحسن فهو نموذج للاعب الجيد وتفتن الفتيات بفيديوهات مغنيهم المفضلين ويمكن أن يغنوا ويرقصوا على إيقاع الموسيقى وقد يقلد الفتيات كل شيء يتعلق بالنجم ويعتبرونه مقياساً للسلوك ومصدراً للجاذبية.

تتحدث الآيتين ١٣٣-١٣٤ عن الجزاء وعن طرق الحصول عليه إنهما تصفان الإنسان المسلم المثالي:

«وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِين ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴿١٣٤﴾»

يوصف العالم الآخر كجنة عرضها السموات والأرض، أي أكبر من الكون، سيكون هذا العالم كبيراً جداً لأنه من المعروف أن الكون واسع جدا لدرجة أنه يمكن أن تسافر عبره لملايين السنين من جهة إلى جهة أخرى. كانت الإنسانية تحن عبر التاريخ إلى استرجاع ذلك العالم المثالي المفقود والمتمثل في جنة عدن.

مقارنة مع مفهوم الخير الإلهي، فانا نجم سقط على الأرض.

لكن اليوم ونحن نشاهد العالم من حولنا نتساءل، من منا محسن كفاية ليستحق الجنة؟ عندما أنظر بداخلي، أكتشف رغبة لفعل الخير وليس القوة لفعل ذلك. عندما أنظر حولي أرى الحروب، والشائعات والخيانة والطمع والأنانية. عندما أرفع أحداً إلى منصة المجد كنموذج لفعل الخير، سرعان ما يهوي نجمه.

يشخص الإنجيل، كطبيب بارع، الوضعية الحقيقية للقلب الإنساني:

فماذا إذا؟ أنحن أفضل؟ كلا البتة. لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطبة، كما هو مكتوب:

فَمَاذَا إِذًا؟ أَلَحُنُ أَفْضَلُ؟ كَلاَّ الْبَتَّةَ! لأَنَّنَا قَدْ شَكَوْنَا أَنَّ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، «كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ».
(مزمور ٥:٩) وأيضاً (رومية ٣: ٩-١١)

وحتى أنا يا إلهي؟ ألن أصل أبداً إلى ذلك النموذج المثالي؟ أنظر إلى نفسي في المرآة وأقول «وهو كذلك». وهذه هي المشكلة الله يحب أن يرى الكرم والانضباط والرحمة في حياتي غير أنني أعترف أنني أناني، متمرد وغير رحيم. بالمقارنة مع جاري، ربما أنا كا النجم الساطع، لكن مقارنة مع مفهوم الخير الإلهي، فانا نجم سقط على الأرض.

ما محمد إلا رسول {السورة ٣: ١٤٤}

هل هناك فرق بين نبي ورسول؟ ما معنى نبي بالنسبة لليهود والنصارى والمسلمين؟ وكيف يحدد كل منهم معنى «رسول»؟ الكل يتفق على أن الله يختار أن يرسل رسائل للبشرية عبر أفراد، من بين مهام النبي في التوراة هو تنبأ الأحداث المستقبلية بدقة :

وَإِنْ قُلْتِ فِي قَلْبِكِ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلاَمَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ؟ فَمِا

تِكَلَّمِ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحِدْثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ، بَلْ بِطِغْيَانٍ تِكَلَّمِ بِهِ النَّبِيُّ، فَلاَ تَخَفْ مِنْهُ.
(التثنية ١٨ :٢١-٢٢)

بالإضافة إلى ذلك تصدر التوراة تحذيراً صارماً ضد الأنبياء المزيفين. ماذا سيقع لو أن نبيا أتى إليهم وقال:

فَلاَ تَسْمَعْ لِكَلاَمِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوِ الْحَالِمِ ذَلِكَ الْحُلْمَ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يُمَتِّحِنُكُمْ لِكَيْ يَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ.
(التثنية ١٣: ٢-٣)

تنبأ الأنبياء في الكتاب المقدس بعدة أشياء. تنبأوا بالحروب، بالمجاعات وبالأوقات الصعبة، تولي الملوك وتنحيهم، وكذلك حياة المسيح. مثلا تنبأ دانيال تولي الملك ألكسندر وقيام الإمبراطورية الرومانية كما تنبأ بعد ذلك بالحرب الأخيرة قبل يوم القيامة وتنبأ ببعث الموتى.

تنبأ النبي ميخا أن سيدنا عيسى المسيح سيولد ببيت لحم كما تنبأ النبي أشياء بأنه سيتم القبض على سيدنا عيسى:

كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.
(أشعياء ٥٣: ٧)

تنبأ موسى لقومه بأن نبياً عظيماً سيظهر ذات يوم:

«يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ.
(التثنية ١٨: ١٥)

بعد ألف عام وقف أحد أتباع المسيح، بطرس، أمام قادة اليهود وقال لهم إن نبوءة موسى قد تحققت في سيدنا عيسى المسيح

يقول القرآن في الآية:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ.

كل الرسل فانون. مات آدم وكذلك موسى سأل القرآن المسلمين إن كانوا سينقلبون على أعقابهم بعد موت محمد حسب كتب التاريخ فقد توفي محمد يوم ٨ يونيو ٦٣٢ فقد مات كما يموت كل الرجال والنساء دفن بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة بالسعودية.

لا يعطي القرآن للرسل أي وضع متسامي أو إلهي وإن لهم مهمة خاصة يقومون بها لكنهم بشر كباقي البشر، عاشوا العمر المخصص لهم وماتوا ودفنوا حيث تبقى جثثهم هناك إلى يوم البعث.

معركة أحد {السورة ٣: ١٣٠-١٨٠}

الآيات من ١٣٠ حتى ١٨٠ تخص معركة بدر، يحكي التاريخ الإسلامي أن محمد قد جُرح وأن جنود المسلمين تجمعوا ليحموه غير أنه لم يكن كل المسلمين مخلصين في هذه المعركة الآية ١٦٧ تبين أن بعضهم كانوا منافقين ورفضوا أن يحاربوا:

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ

لماذا لم يحاربوا في سبيل الله. أهو الخوف أم الكسل أم الكفر؟

لقد وعد الله الجنود الآخرين الأجر في الدار الآخرة إن جرحوا أو قتلوا،

تقول السورة ١٧٢:

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ.

وكذلك في السورة ١٦٩:

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ.

ماذا كان هدف معركة أحد؟ من الواضح أن المعركة كانت بين المسلمين وغير المسلمين

ليقرروا من سيهيمن على الجزيرة العربية وغالبا ما كان الانتصار في المعركة يفسر كعلامة على مباركة الله للجنود المسلمين.

تقول ال آية١٦٠:

نْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.

تبعا لذلك كان كل انتصار في معركة دليلا على أن المسلمين كانوا فعلا يجاهدون في سبيل الله وان الله كان بجانبهم رغم أن العديد من المسلمين قتلوا في معركة أحد، لكن المسلمين انتصروا عدة مرات بعد أحد في معارك كثيرة في الجزيرة العربية وشمال إفريقيا وأوروبا.

التخلي عن السيف

حارب أبناء إبراهيم الأوائل من أجل الأرض الموجودة في بلاد كنعان ووعد الله إبراهيم بأن يمنحه أرضا جديدة:

«اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ»

(تكوين ١٢: ١)

كانت الرحلة طويلة وصعبة بالنسبة لإبراهيم ولقومه فقد قادهم الله إلى كنعان، ولكن مجاعة دفعت أبناء يعقوب إلى الذهاب إلى مصر وكان ابنه يوسف قائداً عظيماً لكن بعد موته أصبح الفراعنة قاسين واستعبدوا أبناء إبراهيم. انتظروا لمدة ٤٠٠ سنة كلها كرب أن يرسل لهم الله مخلصاً وظهر موسى أخيراً وقال لفرعون:

الله يقول، اترك قومي يذهبوا حتى يتمكنوا من عبادتي
ورفض فرعون فسلط الله عليهم ١٠ كوارث حتى لم يعد بمقدور فرعون المقاومة.

فر أبناء إبراهيم عبر البحر الأحمر إلى الصحراء لكنهم أكثروا الشكوى وتمردوا ولم يذهبوا مباشرة لأرض كنعان التي وعد الله بها إبراهيم.

أين كانت هذه الأرض؟ تعطي التوراة الموقع بالتدقيق:

وَأَجْعَلُ تُخُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَى بَحْرِ فِلِسْطِينَ، وَمِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَى النَّهْرِ.
(خروج ٢٣: ٣٠-٣١)

بعد موت موسى قاد يشوع أبناء إبراهيم إلى الأرض الموعودة لاحتلالها والسكن بها واجهوا الجدران العالية لأريحا لكنهم لم يهاجموها بل الله تكفل بهدم جدرانها وتلت بعد ذلك عدة معارك وأعطى الله بذلك وتدريجياً أرض الميعاد وفي الأجيال التي تلت أرسل لهم الله أنبياء وقضاة مثل صموئيل وشمشون وحكموا أبناء إبراهيم حسب تعاليم التوراة. لكن بنو اسرائيل طالبوا بملك رغم أن الله حذرهم من أن الملوك سيجعلون حياتهم صعبة فقد ألحوا على ذلك وكان الملك الأول هو شاول ثم تلاه داود وسليمان وتلاهم بعد ذلك العديد من الملوك.

في الفترة السابقة على ظهور سيدنا عيسى المسيح عرفت أرض الميعاد عدة حروب أحياناً طلب الله منهم القتال بالسيوف وأحياناً أخرى هزم الله أعداءهم.

تحت حكم سليمان اكتمل وعد الله حيث تمكن أبناء إبراهيم من العيش في سلام وازدهار داخل الحدود التي حددها الله لأرض الميعاد. لم تخرج الحروب خارج هذه الحدود.

مع قدوم سيدنا عيسى المسيح أمتد الوعد ليشمل أُناساً من غير ذرية إبراهيم. لم يعد هدف الله هو إقامة أرض الميعاد بل أصبح له هدف أكبر وهو منح الغفران لكافة الناس من كل الأعراق واللغات والبلدان.

إن مملكة الله هي مملكة روحية قال سيدنا عيسى:

«مِمْلِكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مِمْلِكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مِمْلِكَتِي مِنْ هُنَا».

(يوحنا ١٨: ٣٦)

حسب الإنجيل فمملكة الله ليست لها حدود جغرافية وسياسية وليس لها جنود ولا أسلحة. ليست لها أرض ميعاد في مكان ما في هذا العالم وصفها سيدنا عيسى بقوله لكم:

«هُوَذَا هَهُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لأَنَّ هَا مَلَكُوتَ اللهِ دَاخِلَكُمْ».

(لوقا ١٧:٢١)

صدمت فكرة سيدنا عيسى الجذرية القادة اليهود فظلوا لمئات السنين يتخيلون فقط أرض الميعاد من البحر الأبيض المتوسط إلى الصحراء كان بعضهم مستعدا للدفاع عنها بالسيف، وكان البعض الأخر متطرفين يسعون إلى طرد الرومان بأي وسيلة بما في ذلك الهجمات الإرهابية.

ليس هناك أي نص في الإنجيل يحث المسيحيين على حمل السيف ومحاربة الآخرين باسم الصليب.

ليس هناك أي دليل في الإنجيل على أن سيدنا عيسى كان يحاول أن يسقط حكم اليهود أو الرومان وعلى العكس من ذلك فعندما سُئل المسيح عما إذا كان يجب على اليهود أن يؤدوا الضرائب، أجاب بسؤال: «لمن هذه الصورة والكتابة» {على الدينار}، فأجابوه: «لقيصر». فقال لهم:

«أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلهِ لِلهِ».

(متى ٢٢: ٢١)

في الليلة التي قبض فيها على سيدنا عيسى، حاول بطرس صديق سيدنا عيسى الدفاع عنه بقوة مستعملاً سيفه ليقطع أذن أحد الرجال فا أعاد سيدنا عيسى إلصاق الأذن بمعجزة، وقال يسوع لبطرس: «ضع السيف جانباً». كان نقطة اللا عودة. بعد لوم سيدنا عيسى لبطرس، لم يحاول أي من أتباع المسيح حماية إيمانه مستعملاً العنف.

وماذا عن الحروب الصليبية؟

أولاً : بعد ألف سنة على زيارة المسيح للأرض، ظهر نظام للسياسة الدينية يسمى البابوية أصبح البابا الكاثوليكي الروماني رئيسا لمجموعة عالمية لقد أضاف هذا النظام إلى تلقين تعاليم الإنجيل السامية والتقاليد الإنسانية عندما بدأ الإسلام في الانتشار عبر شمال إفريقيا وفلسطين والشرق الأوسط، أحس الأوروبيون بالقلق ماذا سيحدث لو أن الجيوش الإسلامية تحت سلطة الخليفة في الشرق الأوسط بدأت تهدد قلب الأراضي الخاضعة للكاثوليكية الرومانية؟ بالإضافة إلى ذلك كان البابا ومساعديه يريدون أن تبقى القدس مفتوحة للحجاج المسيحيين. بدأت السلطات السياسية والدينية في ذلك الوقت تبدوا كإعصار سيدمر كل شيء في طريقه.

أكتب كتابع للمسيح والإنجيل وليس لأي بابا أو حكومة دينية. عوض أن أنتقد دوافع وسلوك الكاثوليك والمسلمين الذين حاربوا بعضهم بعضا ما بين ١٠٩٥-١٢٩١، أريد أن أركز على حقيقة واحدة. ليس هناك أي نص في الإنجيل يحث المسيحيين على حمل السيف ومحاربة الآخرين باسم الصليب. إذا كان للحكومات الحق والمسؤولية عن دفع الشر عن مواطنيها، فإن مملكة الله تتعالى على كل الحدود الوطنية. الخبر المفرح للإنجيل يتدفق من شخص لآخر من خلال الكلمة والمحبة.

ثانياً: في الوقت الذي اعتبر فيه الصليبيون الدفاع عن القدس كمدينة مقدسة للحجاج أمرا مهماً، فإن سيدنا عيسى رفض هذه الفكرة كما رأينا سابقاً، قال سيدنا عيسى بأن العبادة الروحية الحقيقية ليست مرتبطة بمدينة أو جبل.

للأسف، لم يدمر الصليبيون الناس والمدن فقط، لكنهم لطخوا سمعة المسيح بين المسلمين وجلبوا العار للكنيسة.

لم يسقط كل المسيحيين في الخطأ لقد سافر فرانسيس الأسيزى إلى مصر حيث التقى بخليفة المسلمين على أمل إجراء محادثات سلام عوض المواجهات العنيفة في ساحة المعركة.

في القرن السادس عشر كتب مارتن لوثر: «لو كنت جنديا ورأيت في ساحة المعركة راية أو صليب قسيس، لهربت بعيدا وكأن الشيطان يطاردني». اعتبر الحروب الصليبية كفرا في حق الله. كان يعتقد بأن الجنود كان لهم الحق في رفض القتال في هذه الحروب لأنها خليط زائف بين الديني والدنيوي.*

حتى أكون عادلاً، يجب أن أذكر أنه في ال قرن٢١ لقد أعتذر البابا جون بول ٢ عن كل العنف الذي تم اقترافه باسم الكنيسة. {٥} فقال له :-

نغفر ونطلب المغفرة و نطلب العفو عن الانقسامات بين المسيحيين، عن استعمال العنف الذي اقترفه البعض لخدمة أغراضهم، وعن مواقف عدم الثقة والعداء التي اتخذها المسيحيون تجاه أتباع الديانات الأخرى.**

* Martin Luther, On War Against the Turk, 1528.

** https://w2.vatican.va/content/john-paul-ii/en/homilies/2000/documents/hf_jp-ii_hom_20000312_pardon.html

الفصل الرابع
سورة النساء ٤

يتامى وزوجات سورة ٤:٣

ليس الجنود هم ضحايا الحرب الوحيدين. يترك الآباء والأزواج الذين يقتلون في المعركة أبناءً وأزواجاً بالإضافة إلى ذلك يأخذ المنتصرون النساء والأطفال من أعدائهم المقبوض عليهم أو المقتولين. يعطي القرآن حله بالنسبة للكيفية التي يتم بها التعامل مع هؤلاء الناس:

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا

يحدد القرآن تعدد الزوجات في أربع زوجات شريطة العدل بينهم لكن مازالت هناك عدة أسئلة تتعلق بإمكانية الرجل المسلم أن تكون له خليلات كما أن هناك أسئلة أخرى تتعلق بالعبودية.

ينجذب الرجل والمرأة لبعضهما البعض بطريقة طبيعية وذلك منذ بداية الوجود الإنساني، أمر الله بأول زواج بجنة عدن وفق تعليمات محددة:

لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا.
وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ.
(تكوين ٢ : ٢٤-٢٥)

الشيء الجميل في زمن البراءة هذا هو أن آدم وحواء كانا بإمكانهما النظر إلى بعضهما

البعض بحميمية دون أن يخجلا.

كان آدم وحواء لا يمارسان التعدد فكان لهما العديد من الأطفال ولم تتحدث التوراة عن كون آدم له زوجات أو خليلات أخريات، يمكن أن يقول البعض بأن النساء التي كانت تعيش حوله كلها بناته، لكن تعليمات الله لآدم وحواء تتحدث عن زوج واحد وزوجة واحدة.

كان زواج آدم وحواء نموذجاً للزيجات التي تلت فكان لنوح زوجة واحدة وهي التي حملها معه في الفلك وأحب إبراهيم زوجته سارة حتى بلغا من سن عتيا وماتا بعد ذلك وبدأ هذا النموذج يتغير مع ذرية ابراهيم حيث انخدع يعقوب وأخذ ليئة بالخطأ كزوجة له فكان تعيساً لكنه بعد ذلك تزوج أختها راحيل التي أحبها في الأول وكان فعلا يريد الزواج منها بعد ذلك تم رمي ابنه يوسف من طرف إخوته في البئر وبيع كعبد في مصر وقد بارك الله يوسف وأصبح من أكبر رجال الدولة عند فرعون، تقول التوراة بأن يوسف تزوج امرأة من مصر.

إن أكبر تغيير حدث من الزواج بالمرأة الواحدة إلى تعدد الزوجات كان مع الملك سليمان فقد تزوج سبعمائة من النساء واتخذ ثلاثمائة خليلة من شعبه ومن الدول المجاورة. ربما قد يكون استمتع ببعض الوقت معهم لكن ذلك أبعده من الله.

بعد سليمان اتخذ العديد من ملوك بنو إسرائيل أكثر من زوجة في النهاية هاجمتهم قوى أجنبية واحتلت أرضهم. حين ولد سيدنا عيسى في بيت لحم، كان الرومان يسيطرون تقريبا على كل الأراضي المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط. انتهت فترة السلالات الملكية العظيمة وانتهى معها تعدد الزوجات.

كان القادة اليهود يريدون أن يعرفوا رأي سيدنا عيسى في الزواج فسألوه:

«هل يحل للمرء أن يطلق زوجته لكل سبب؟».

(متى ١٩: ٣)

كان هؤلاء القادة اليهود يُعدُّون شركاً لسيدنا عيسى. فلو قال بأن الطلاق قانوني فسوف يتهمونه بتشجيع الطلاق، ولو قال إنه ليس بقانوني فسوف يتهمونه بمعارضة موسى. لم يكن هدفهم هو معرفة الحقيقة بل فقط إحراج سيدنا عيسى وإلصاق العار به في أعين الناس.

حاول سيدنا عيسى تفادي السقوط في الخطأ، فأجاب:

«أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ».

(متى ١٩: ٤-٦)

نلاحظ أن سيدنا عيسى أعاد نموذج الزواج الأصلي الذي أمر الله به آدم وحواء في البداية امرأة واحدة لرجل واحد، أعاد سيدنا عيسى طرح سؤال الزواج والطلاق؟ ليس بالأمر الجيد تعدد الزوجات؟ لا يوجد في النموذج الأصلي. شخصان يجتمعوا ليكونوا وحدة واحدة. يا لها من صورة جميلة ولا عجب إن كانت الملايين تصرف المال على أغاني الحب والأفلام الرومانسية والكتب وبطبيعة الحال على الزواج بين المرأة والرجل.

الرفق بالمحتاج {السورة ٤: ٩-١٠}

يهتم القرآن بصفة خاصة باحتياجات اليتيم، تقول الآيتين ٩-١٠:

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

في الفترة الأولى من حياة المسلمين بالمدينة المنورة، بقي العديد من الزوجات والأطفال بلا مُعيل بسب موت الأزواج والآباء في المعارك، ماذا كان سيحدث لهؤلاء النساء والأطفال؟ يؤسس القرآن لقواعد التعامل معهم، عوض تركهم يموتون جوعاً، على الأُمّة أن تعاملهم بكل عدل، بأن يسمحوا لهم بالإرث من آبائهم البيولوجيين. لكن الإسلام لم يسمح أبدا بتبني الأيتام حتى عندما تتبنى أسرة يتيما ما فإن هذا الطفل يبقى ضيفاً خاصاً ولا يمكن إعطائه صفة الولد الشرعي.

معاقبة مرتكب الفاحشة {السورة ٤: ١٥-١٦}

يحاول القرآن في عدة مقاطع سن شريعة للمجتمع الإسلامي. تعطي الآيتين ١٥-١٦ تعليمات واضحة في كيفية التعامل مع الانحراف الجنسي:

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾

عندما كنت أعيش بآسيا، عرفت أن العديد من الناس يعتبرون الثقافة الغربية خليعة ومتساهلة فيما يخص الجنس والتدني الأخلاق يمكن أن أفهم جيدا السبب فقد كسّرت الثورة الجنسية كل الضوابط الأخلاقية بالسماح للأفراد بفعل ما يحلو لهم فقد أزالت طرق منع الحمل

والإجهاض خطر الحمل اللاشرعي ويشجع التلفاز والأفلام والموسيقى كل الأفعال الوضيعة وتعظمها وتحتفي أفلام هوليود بالمثلية الجنسية والخيانة والجنس قبل الزواج والانحلال الجنسي والسكْر كيف هو من المفروض أن يفكر الإنسان الخلوق في الغرب إذا ما شاهد هذه الثقافة المُنحلة أخلاقياً؟ يستنكر أصدقائي المسلمون غياب الضوابط الأخلاقية في ثقافة من المفروض أنها تاريخيا محددة كثقافة مسيحية.

مع تسرب اللباس والتسلية والسلوكيات من الغرب إلى العالم الإسلامي يصاب الناس المتدينين بالذهول يبدو أن الانحلال الجنسي أصبح سرطانا قاتلاً ينتشر في كل مكان ويؤثر في الجميع ويبعدهم أكثر فأكثر عن الله.

في هذين الآيتين يتكلم القرآن عن معاقبة الانحلال الجنسي ولكنه لا يتحدث عن كيفية وشكل العقاب وبالرجوع إلى التوراة نجد العقوبة القديمة:

وَإِذَا زِنَى رَجُلٍ مِعَ امرَأَةٍ، فَإِذَا زِنَى مِعَ امرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقتَلِ الزَّانِي وَالزَّانِيَةِ.

(لاويين ٢٠: ١٠)

الخيانة تستحق القتل، تدخل كل الإنحرافات الجنسية في خانة الذنوب المُؤْذية جدا يمكنها أن تدمر عائلات وأجيالاً قادمة. غير أن هناك من الناس من يجدون أنفسهم عبيداً لرغبات عابرة ويدمرون بذلك عقوداً من الحياة من أجل لحظات متعة زائلة.

هل هناك أمل؟ لم تتغير الطبيعة البشرية منذ زمن التوراة والقرآن. مازالت البشرية تسقط على نحو بائس حتى في القرن الواحد والعشرين.

ماذا يقول الإنجيل؟ نجد هنا قصة بين أروع القصص التي سجلت في ذات صباح ذهب المسيح إلى المعبد ليعلم الناس كالعادة وفي هذا الصباح بالذات جاء قادة اليهود وحاولوا إيقاع سيدنا عيسى في الفخ فقد جاءوا بامرأة زانية إلى ساحة المعبد وعرضوها على سيدنا عيسى أمام أعين الناس جميعاً.

يمكننا أن نتخيل المشهد بسهولة. وقف الرجال الملتحون حولها وأعينهم تشتط غضباً وكلهم عداء وتعطشا للدم جلست المرأة على ركبتيها خائفة من رفع عينها وعيناها الخائفتان تنظران إلى التراب فقد اجتمع الناس في صمت ينتظرون ما سيقوله سيدنا عيسى.

«لقد ضبطناها متلبسة ويأمرنا قانون موسى برجمها».

بقي سيدنا عيسى بلا حراك وبدأ يكتب شيئا بأصبعه على الأرض. انتظر الجمع وانتظرت المرأة.

غير أن القادة اليهود نسوا شخصاً مهماً فأن الخيانة تستوجب شخصين لكن أين هو الرجل؟ ألم يأمر قانون موسى معاقبة المذنبين معاً؟ يبدو أن شخصا ما غفل عن هذه الحقيقة.

بعد لحظات، نظر سيدنا عيسى إلى المتهمين وقال لهم:

«مِنْ كَانِ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!».

(يوحنا ٨: ٧)

انسحب اليهود واحداً تلو الآخر، مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين سألها المسيح وقال :-

«يَاامْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكِونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ:«وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا».

(يوحنا ٨: ١٠-١١)

في العديد من المحادثات مع أصدقائي المسلمين، أسأل غالباً هذا السؤال:

«أليست المسيحية دين سهل جدا؟ كل ما يجب فعله هو الاعتراف بذنوبك ثم الخروج واقتراف ذنوب أخرى».

على العكس من ذلك فقد أعطي سيدنا عيسى نفسه الجواب عن هذا السؤال: «اذهبي ولا تخطئي أبدا».

هنا نصل إلى مفترق طرق، هل سيدنا عيسى يتغاضى عن الانحراف الجنسي؟ أبداً! في مناسبة أخرى يقول المسيح أن مجرد النظر بشهوة في القلب إلى شخص آخر هو ذنب يعادل الخيانة الفعلية بعبارة أخرى في نظر الخالق، الخواطر الخفية لها نفس الدرجة من الذنب كالفعل فقد أعطى سيدنا عيسى نموذجا طهوراً غير مسبوق في التاريخ.

لماذا ترك إذا المرأة تذهب لحالها دون عقوبة؟ ألم يكن بإمكانه رجمها مادام هو خال من الذنوب؟ يفسر أشعياء الحل الجذري لمعاقبة الذنب:

٥وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا.

(أشعياء ٥٣: ٥)

وكأن سيدنا عيسى المسيح، حمل الله، قد خطى إلى طريق الأحجار التي كانت ستقضي

على حياة المرأة الزانية جروحها أصبحت جروحه عقوبتها أصبحت على عاتقه، هل تؤدي هذه الطريق إلى الإباحية الجنسية؟ هل يشبه هذا شراء وثيقة تأمين جنسي حتى نتمكن من ممارسة الجنس بحرية ودون ألم أو معاناة؟ إن الأمر يشبه السماح لطفل باللعب بالنار دون أن يحترق أبدا. ألهذا أصبح الغرب المسيحي بهذا الفساد؟

«لا» إن ذنب الانحلال الجنسي له عواقب وخيمة في الحياة: أمراض جنسية، إجهاض، أطفال غير مرغوب فيهم، فقدان الثقة، وسمعة في الحضيض بالإضافة إلى ذلك فالإنجيل يحذر الناس بكل حب من أن هذه الخطيئة، ككل الخطايا، ينتج عنها في نهاية المطاف الابتعاد عن الله.

كيف يعامل الأزواج الزوجات {السورة ٤: ٣٤}

كيف يجب أن نعرف الزواج؟ أهو شراكة تجارية، مصنع لإنتاج الأطفال، أو نزل للناس للسكن معا؟ من يتحمل مسؤولية الزواج؟ تقول السورة ٣٤:

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا

تعطي الآية مكانة كبيرة لدور الرجل في الزواج. يطلب من الزوج أن يبقى الزوجة تحت طاعته وإن اقتضى الأمر لعقاب نشوزها هجرها وحتى ضربها.

أتأمل الزيجات في العالم حولي وأسأل نفسي، هل للحب علاقة بالزواج؟ يعطي الإنجيل صورة جميلة عن الزوج والزوجة. يأمر الأزواج والزوجات بالخضوع لبعضهم البعض احتراما للمسيح كما يطلب من الأزواج أن يتسموا بالشهامة والمتمثلة في التضحية بالذات من أجل الآخر، أي أن يتخلوا عن الأنانية ويقدموا حياتهم من أجل زوجاتهم ليست الحياة الزوجية هي فقط تقديم الأكل والسكن، بل الأزواج هم مطالبون بتقديم رغبات زوجاتهم على رغباتهم هم أيضاً.

أمر لا يصدق؟ غير عملي؟ ذات مرة شاهدت فيلماً حيث جمع زوج عشرون ألف دولار لشراء زورق رياضي، كان يحس بأنه يستحق ذلك لأنه اشتغل بجد وواجه المخاطر لسنين كرجل إطفاء. في نفس الوقت كان والد زوجته يحتاج سريراً طبياً يساوي ثمنه عشرون ألف دولار و كان الزوج يحلم بذلك الزورق لشهور ولم يخطر بباله أبدا بأن يستعمل مدخراته لشراء ذلك السرير. صعقت المرأة عندما رأت زوجها يفضل نفسه عليها فأخذت الزوجة في مغازلة رجل يشتغل معها وبدأت تفكر في ترك زوجها الأناني و عندما عرف بأن زواجه لم

يعد على ما يرام، ندم على فعلته و كان أول عمل قام به هو شراء السرير سراً لوالد زوجته و عندما علمت بالتضحية التي قام بها زوجها، تأثرت بذلك جداً وعاد الدفء إلى حياتهما الزوجية من جديد.

شراء الضلالة {السورة ٤: ٤٤}

في الوقت الذي كان محمد يعيش بالجزيرة العربية، كان الهندوس والبوذيون يعيشون بعيدا بآلاف الكيلومترات. كان لهم اتصال ضعيف أو تقريبا منعدم مع العرب في القرن السادس الميلادي. غير ان العديد من الناس من أهل الكتاب {يهود ونصارى} كانوا يعيشون بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا. كانت القوافل في اتصال دائم معهم حيث كانوا يعيشون متفرقين في الصحراء وعلى السواحل. يؤكد القرآن بأن بعضهم كانوا يشترون الضلالة:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ

في الحقيقة كان بعضهم يفعل ذلك! يشهد التاريخ أن بعض منهم كان ضد التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل، انحرف الكثير منهم بفعل أشياء غريبة. مثلا كان كثير منهم يخبرون الناس بأن المسيح تزوج وكان له أبناء ورفع آخرون مريم إلى مقام قديسة عظمى بدأوا في عبادتها هي وقديسين آخرين متوفين.

توجد الأخطاء فقط عندما توجد الحقيقة. لكن لا يمكن أن توجد أوراق نقدية مزورة دون وجود أوراق نقدية حقيقية. لا يمكن اعتبار ٢+٢=٥ خطأ إلا إذا كان صحيحا أن ٢+٢=٤ فأن و جود أخطاء يدل على وجود حقيقة رغم أن وجود أخطاء في حياة اليهود والمسيحيين، فمصداقية التوراة والإنجيل لا تتغير. وإلا لم يقول القرآن لأهل الكتاب بأنه يمكنهم الثقة في كتبهم.

الذنب الذي لا يغتفر {السورة ٤: ٤٨}

ما هو الذنب الذي لا يغتفر؟ ليس القتل، ولا الخيانة ولا السرقة. حسب هذه الآية فالذنب الذي لا يغتفر هو الشرك، أن تجعل مع الله إلها آخر:

ج

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا

يتفق اليهود والنصارى على ذلك. الشرك هو ذنب عظيم. من يقترف هذا الذنب الفظيع؟

نعرف بأن أهل مكة كانوا يعرفون الله قبل ميلاد محمد، فاسم أب محمد هو عبد الله. وجد

اسم الله مكتوبا في وثائق مئات السنين قبل محمد *وقد كانت كلمة الله تعني الإله و كان العرب الوثنيون يعتقدون بأن الله هو الإله الأعلى.

كان محمد يخبر الناس بأن إبراهيم وإسماعيل بنوا الكعبة في قلب مكة، التي توجد في وسط الجزيرة العربية. إذا كان الأمر كذلك فالعرب كانوا يعرفون الله مند القدم. لكنهم ملئوا الكعبة بالأصنام. إذا كانوا يعرفون الله ومع ذلك مارسوا عبادة الأوثان، هل ذلك يجعلهم مشركين؟

لنفكر في ذلك، إذا كان أهل مكة أقاموا أصناما بالموازاة مع إيمانهم بالله، كيف يمكن لله أن يغفر لهم؟ تعني الآية ربما أن الله لن يغفر لمشرك استمر في عبادة الأصنام بعد معرفته برسالة محمد. في هذه الحالة، لماذا يستمر القرآن في دعوة المشركين للتوبة إذا كانوا قد اقترفوا هذا الذنب حتى بعد توصلهم برسالة محمد؟

ماذا عن المسيحيين الذين جعلوا من سيدنا عيسى إلها ثانيا بعد الله. إذا كان صحيحا أنهم يعبدون أثنين أو ثلاثة آلهة، هل هذا يعني أنه لن يغفر لهم؟ إذا كان الأمر كذلك، لماذا يطلب منهم التوبة؟

تجعل الآية معرفة من يمكن أن يغفر له صعبة. إذا كان الإنسان قد اتخذ إلهاً مزيفاً ورفع شيئاً إلى مستوى الله أو أعلى منه، كيف يمكن أن يغفر له الله مهما حاول أن يتوب. يتفق المسيحيون على أن هناك ذنب لا يغتفر. يصف سيدنا عيسى هذا الذنب: «لذلك أقول لكم: كل خطية وتجديف يغفر للناس، وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس». كان سيدنا عيسى قد أخرج للتو جنياً من جسد رجل واتهمه القادة اليهود بأنه أخرج الجني بمساعدة الشيطان و كانوا يرفضون أن يروا روح الله تفعل المعجزات على يد سيدنا عيسى. كانوا يقاومون دعوة روح الله لهم بالثقة بسيدنا عيسى. كان سيدنا عيسى يقول لهم بأنه لا يمكن لروح الله أن تمنح البركة لناس يقاومون روحه. ينكر القلب القاسي حاجته للغفران. لا يقول قلب متواضع «لا» لله، بل يقول «نعم»

لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ خَطِيَّةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ، وَأَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَلَنْ يُغْفَرَ لِلنَّاسِ.

(متى ١٢ : ٣١)

الشفاعة {السورة ٤: ٦٤}

هل يمكن أن يطلب شخص التوبة بالنيابة عن إنسان آخر؟ يحذر القرآن من الشفاعة في أماكن عديدة لكنه في الآية ٦٤ يترك المجال مفتوحا أمام هذه الإمكانية:

* "The Arabic and Islamic Inscriptions: Examples of Arabic Epigraphy", http://www.islamic-awareness.org/history/Islam/inscriptions/, accessed 2018.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.

أي نوع من البشر يمكن أن يوجد في حضور الخالق العظيم لهذا الكون؟ من يستطيع الاقتراب من عرشه في السماوات؟ هل يمكن لشخص بريء أن يتضرع لله مكان شخص آخر؟ وماذا لو كان الشفيع نفسه مذنبا ويحتاج هو أيضا إلى شفيع؟ مثلا لو أن آدم حاول الاقتراب من الله ليطلب الغفران لقابيل الذي قتل أخاه هابيل، ماذا كان الله سيقول؟ «آدم، هل تتذكر الثمرة المحرمة؟ هل أكلتها؟»، لم يكن بإمكان آدم طلب ذلك من الله بدون خجل. يبقى الذنب لصيقا بالبشر إلى نهاية الزمان باستثناء إنسان واحد. هذا هو المشكلة مع البشر الذين يطلبون الله أن يغفر للآخرين.

الامتناع عن القتال {السورة ٤: ٧٤-٧٨}

إذا ما قرر شخص التوقف عن التدخين، فإنه سيعاني ويتألم لأن جسده يحن إلى تلك النفخة التي تعوّد عليها. يدخل هذا الإنسان في حرب مع نفسه.

يبقى الذنب لصيقا بالبشر إلى نهاية الزمان باستثناء إنسان واحد.

في بداية انتشار الإسلام، حارب المسلمون نوعا مختلفا من الحروب. حاربوا في سبيل الله عبر الصحراء القاحلة من كانوا يعتقدون أنهم حلفاء الشيطان. غير أن بعض من آمنوا في البداية كانوا يفضلون عدم التعرض للجرح والقتل. بعضهم كان يخشى الناس أكثر مما يخشى الله. يلوم القرآن هؤلاء الجبناء. يقول لهم القرآن بأنه لا ينفعهم الاختباء في البروج المشيدة وأن الله قادر على أن يأخذ أرواحهم أينما كانوا.

تضيف ال آية٩٥ بأن الله يفضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين. الذين يقاتلون لهم أجر من الله. يطلب الله من المؤمنين الاستمرار في القتال حتى عندما تشتد الظروف. تقول الآية ١٠٤:

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.

يمكن أن نعتبر هذه الآيات وصفا لصراع المدخن مع ذاته غير أنها هي في الحقيقة وصف لحرب بين جيشين.

إبراهيم خليل الله {السورة ٤: ١٢٥}

ما الذي جعل من إبراهيم شخصاً مميزاً ؟ يسميه القرآن «خليل الله». كلمه الله ووعده بعطاء خاص يقول الإنجيل

لإنه ماذا يقول الكتاب؟ فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً.

كان إبراهيم يثق بالله قبل أن يقوم بالأفعال الصالحة، ويقدم القربان ويدخل أرض الميعاد النتيجة هي أن الله جعل من إبراهيم إنساناً صالحاً وورعا. لماذا؟ لأن إبراهيم نظر بتبصّر لمستقبل بعيد في أرض الميعاد. كان ينظر للأفق ويرى سيدنا عيسى المسيح ويفرح لذلك القدوم.

اليهود لم يقتلوا سيدنا عيسى {السورة ٤: ١٥٣-١٦١}

تصف هذه الآيات أبناء إبراهيم وأفعالهم القبيحة عبر التاريخ. تقول الآيات بأنهم نقضوا عهد الله، وكفروا بآياته وقتلوا الأنبياء، نعرف من الكتب السابقة بأن أبناء إبراهيم رفضوا أحيانا الأنبياء وقتلوهم. أدان سيدنا عيسى القادة اليهود لرغبتهم في قتله كما قتلوا الأنبياء من قبله. تعتبر ال آيتان١٥٧-١٥٨ أحد التعليقات المهمة في القرآن بالنسبة للمسيحيين:

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ سيدنا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴿١٥٨﴾

لنفترض أنني أقرأ هذه الآيات للمرة الأولى دون معرفة أي تأويلات أو آراء حول الموضوع. إذا كنت سأقرأ الآيات ببراءة طفل، كيف سأفكر في الأمر؟

بالرجوع إلى الوراء نعرف بأن الإنجيل لم يقل أبدا بأن اليهود أنفسهم قتلوا سيدنا عيسى أو صلبوه الصلب كان ممارسة فالرومانية فا الرومان هم من قاموا بتنفيذ الصلب أما اليهود فقد ساوموا بأن يطلق لهم الحاكم الروماني باراباس وان يأخذوا سيدنا عيسى بدلاً عنه، أما اليهود كانوا يقتلون الناس بالرمي بالحجارة كعقوبة في عقيدتهم، فقد تنبأ داود بأن سيدنا عيسى سيموت دون أن تكسر عظمة من عظام جسده، وإن قتْل المسيح بالرمي بالحجارة كان سوف يؤدى الى كسر عظامه وذلك سوف يفند نبوءة داود، لكنه صلب دون أن تكسر عظمة من عظامه.

يقول بطرس:

هذا أخذتموه مسلما بمشورة الله المجتومة وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله باقضا أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكنا أن يمسك منه.

(سفر أعمال الرسل ٢: ٢٣-٢٤)

القادة الدينيون انفسهم لم يقتلوا سيدنا عيسى، رغم أنهم طالبوا بموته. الرومان الوثنيون هم الذين صلبوه. ويمكن في النهاية القول أن الله سمح بتسليم سيدنا عيسى إلى المذبح كبش ضحية من لدنه بلا شائبة أو عيب.

ماذا تعني عبارة «شبه لهم»؟ هل وضع الله مكانه شخصا آخر فوق الصليب؟ ألا يجعل ذلك الله كاذبا؟ من أخذ مكان سيدنا عيسى؟ هل هو يهوذا الإسخريوطي الخائن؟ شخص آخر؟ ملاك؟ جني؟ هذه مجرد تخمينات؟ سكت القرآن عن هذه التفاصيل.

يتحدث الإنجيل حيث سكت القرآن. يقول الإنجيل بأن سيدنا عيسى مات ودفنه أصدقاءه لثلاثة أيام. خلال تلك الفترة اعتقد القادة اليهود بأنهم تخلصوا من سيدنا عيسى. مات سيدنا عيسى ودفن لمدة ثلاثة أيام، لكنه لم ينتهي بعد المعاناة يأتي المجد بعد الأيام الثلاثة قام من قبره. إنه حي.

يمكننا أن نتأمل هذا الأمر من خلال ترتيب بسيط:

١. يريد القادة اليهود أن يقتلوا سيدنا عيسى.
٢. رأى الناس سيدنا عيسى يموت فوق الصليب.
٣. اعتقد اليهود بأن خطتهم نجحت.
٤. رفع الله سيدنا عيسى.

عندما نتأمل الآيات ٥٥ و١٥٦ و١٥٧، نرى بعض التوافق مع التوراة والزبور والإنجيل فيما يخص الأيام الأخيرة لسيدنا عيسى:

١. يريد القادة اليهود الحاسدين أن يقتلوا سيدنا عيسى كما قتلوا الأنبياء من قبله.
٢. كان الصلب عادة رومانية وليست يهودية.
٣. الله، وليس البشر، من يتحكم في الموت والحياة.
٤. بدا وكأن خطتهم نجحت لثلاثة أيام لكن الله بعثه من الموت
٥. بعد ٤٠ يوما رجع سيدنا عيسى إلى السماء.

لا يهمني فعلا أن أجعل القرآن أو الإنجيل يقولا شيئا لم يصرحا به. غير أن الأمر بالنسبة للإنجيل هو أقل خطورة لأن هذا الأخير تكلم بالتفصيل عن الصلب والدفن والبعث. يبين الإنجيل التفاصيل كما تفعل وثائق محاكمة في قضية قتل. بصق الحاقدون على سيدنا عيسى، نتفوا شعر لحيته وضربوا ظهره بسوط حتى ظهر لحمه وثقبوا يديه بمسامير وعلقوه

يتحدث الإنجيل حيث سكت القرآن.

على الصليب الخشبي. في فترة احتضاره كان سيدنا عيسى ضعيفا وغير قادر على التنفس واختنق ليموت مستسلما لقدره. قام جندي روماني بغرس رمح في صدره ليتأكد من موته. خرج الماء والدم من صدره ليتأكد الجميع بذلك من موته. انتهى كل شيء. لقد مات حمل الله قربانا ليكفر عن خطايا كل العالم.

تعطين الآية ١٥٧-١٥٨ نظرة مختصرة لما حدث. بعض الأسئلة بقيت معلقة، لكنها تذكرنا بكل شيء قرأناه في الإنجيل. رغم كل شيء، فالبشر لم يستطيعوا تدمير سيدنا عيسى. بدا لمدة ثلاثة أيام وكأنه فقط نبي آخر تم القضاء عليه. لكن في اليوم الثالث قام جسده من قبره غير مدمر ويحفه المجد ليؤكد حقيقة بعْثه لأتباعه ويعود من المكان التي أتى منه، إلى السماء. في انتظار أن يعود ثانية.

لا تقولوا ثلاثة {السورة ٤: ١٧١}

تحذير للمسيحيين! لا تقولوا ثلاثة. يُتهم المسيحيون بالانحراف من التوحيد إلى التثليث عندما أقرأ الآية ١٧١، أقول «آمين». أؤمن بأن سيدنا عيسى كان رسولا، وبأنه وولد من مريم وبأنه كلمة الله وبأنه روح من الله لا أنا ولا أي إنسان يؤمن بالإنجيل يعتقد بأن هناك أكثر من إله. الله واحد.

قال لي صديقي: «تمهل يا صديقي. سمعتك مرارا تقول ثلاثة».

قلت له: «نعم أعتقد أنني أفهم ما قلت. لكني لا أتكلم عن ثلاثة آلهة».

«إذن ما هو السر وراء ثلاثة. هل هو شرك؟».

لا يعتقد المسيحيون بأن الله كان له ابن بنفس الطريقة التي يلد بها رجل وامرأة ابنا لهما. هناك ثلاثة أشخاص مستقلين. مرة أخرى لا أريد أن أفرض أفكاري على الآيات، لكن عندما أقرا ثلاثة في القرآن، أتذكر كلمات الإنجيل. يُسمى سيدنا عيسى كلمة الله. تولّد المسيح من روح الله فقط ما دام لم يولد لأب من البشر. بالإضافة إلى ذلك، فإن أحد أسماء المسيح هو عمانوئيل والذي يعني «الله معنا».

يتفق المسيحيون، لا تقل ثلاثة آلهة! حرام! ماذا نقول عوضا عن ذلك؟ نعتقد بأن الله الخالق هو إله تماما، لكنه ليس كل الإله. الله هو الكلمة تماما لكنه ليس كل الإله. الله هو الروح تماما لكن ليس كل الإله. يوجد الله الخالق، الكلمة والروح في علاقة كواحد. عاش الإله الكامل والأبدي داخل نفسه في حب ووحدة. هكذا أفهم مفهوم الله كتوحيد.

قال صديقي بكل تأكيد ومحتجاً: «لا، لا، لا. أنت تحاول أن تقول لي بأن ١+١+١=١. هل هذه رياضيات مسيحية؟».

هذا التمرين الرياضي قد يتكلم عن ثلاثة أشياء مستقلة عن بعضها: تفاحة، موز وبرتقالة. لا يعتقد المسيحيون بوجود ثلاثة آلهة مستقلين وتجمعوا معا ليكونوا إلها واحدا. لكننا نقول ١*١*١=١

تأمل هذه الحكاية الرمزية. تخرج لنور الشمس، ترى النور وتحس بالدفء ويحترق جلدك بفعل هذه الأشعة غير المرئية. تعادل هذه الأشياء الثلاثة شيئا واحد في وحدة تامة.

عارضني مسلم آخر: «لكن لماذا تقول الآية ١٧٢ بأن المسيح لم يستنكف عن عبادة الله؟ ألا يعني ذلك بأنه مجرد كائن مخلوق؟». يمكن أن تقول ذلك. إذا كان الأمر كذلك فيجب على أن أعارض بكل احترام. لكن الإنجيل يشرح كيف أن سيدنا عيسى أحب الله ومجده في حين أنه رغم ذلك يعترف بأنه منبثق من الله. كيف يصح ذلك؟

يكمن أن نجيب في حقيقة بأن الله يعظم نفسه ويعليها.

يقول الزبور

عَظِّمُوا الرَّبَّ مَعِي، وَلْنُعَلِّ اسْمِهِ مَعًا.

(مزامير ٣٤: ٣)

قبل أن يخلق الله الملائكة والبشر، وقبل أن يخلق السماوات والأرض، كان الله يوجد بطريقة أبدية. كان الله عالما بذاته في كلمته وفي روحه. لم يكن محتاجا لشيء. إنه أبدي وحب كامل. يوجد الله في إرادته الداخلية بكلمته وروحه في وحدة تامة.

قال صديقي رافعاً يديه إلى أعلى: «هذا مستحيل!».

أنا لست متأكدا بأنه مستحيل يمكن أن أرى في نفسي أن عقلي {أفكاري} وقلبي {مشاعري} يشكلان شيئا واحداً، لكن هناك أوقات يشتغلان فيها بطرق مختلفة ويخدمون بعضهم البعض وبقدر عقلي عواطفي كما تخدم عواطفي عقلي. أحياناً نَصِف البشر كعقل -جسد- روح. هل ذلك يقسمني إلى ثلاثة كائنات بشرية؟ بالتأكيد لا. لكن ذلك يجعلني أكثر تعقيدا من شجرة مثلا.

ما هي الفكرة الأساسية هنا؟ لا يستطيع المسيحيون أن يتخيلوا بأنهم يتمسكون برحمة الله وبركته دون التمسك بقوة بسيدنا عيسى المسيح. إن حبنا لله ولسيدنا عيسى يتجمعان في حب واحد لإله واحد.

الفصل الخامس

سورة المائدة

الحرام والحلال {سورة٥: ١-٥}

يمكن أن نجد قوانين غذائية صارمة في التوراة والإنجيل والقرآن. مثلا تحرم التوراة أكل الخنزير. كما أن القرآن يحرم العديد من الأشياء:

الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ.

يأمر الإنجيل المسيحيين الجدد أن لا يأكلوا:

«مِمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ، وَمِنَ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ».
(أعمال الرسل ٢١: ٢٥)

بعد مرور يوم واحد بعد صعود سيدنا عيسى إلى السماء، حدثت مفاجأة كبيرة لبطرس. عندما كان بطرس يصلي، دخل بطرس في حلم ورأى رؤية مؤثرة. نزلت ملاءة عظيمة من السماء فيها كل أنواع الحيوانات. قال الله: «اذبح وكل».

رفض بطرس بقوة حيث قال: «لم يدخل إلى جوفي أي شيء غير نظيف».

حدث ذلك ثلاث مرات.

فَأَجَابَنِي صَوْتٌ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ: «مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُنَجِّسْهُ أَنْتَ».
(اعمال الرسل ١١: ٩)

يعطينا الإنجيل مبدأ أساسيا حول الأكل والشرب. يجب أن نفعل كل شيء من أجل حب

الله وحب جيراننا. (الرسالة إلى أهل رومية ١٤: ٢١).

يشمل حب الله اعتناءنا بأجسادنا، في السنة ٧٠ بعد الميلاد هدم الجنود الرومان معبد القدس كما توقع ذلك سيدنا عيسى لكن لن يسكن الله في معبد بناه البشر و إن أجسادنا هي المعبد حيث يسكن الله لأن إن أجسادنا مقدسة. لن نحطم أجسادا بسبب حبنا لله فيجب أن نتجنب النهم والسكْر والكسل والمواد غير الصحية والخطيرة مثل التبغ والمخدرات الغير قانونية و كل عمل يخرب الجسد هو خطية.

يعني حب الجيران أن تكون حساسا تُجاه حاجياتهم ومشاعرهم. أذا كان جاري غير مرتاح لشرب الخمر، فسأختار ألا أشربه.

ذات مساء أخذت زوجتي لمطعم جميل. لاحظنا أن الناس الجالسين بالقرب منا يأكلون طبقا من الخضراوات واللحم المبخر. لم نكن قد طلبنا أي أكل بعد وقد كان يبدو أكلهم لذيذا. سألت النادل: «ما هذا؟».

قال مبتسما «لحم كلاب».

شخصيا لا أرتاح لأكل لحم الكلاب، لكن الإنجيل لم يُسمّ ذلك ذنبا. كان أصدقائي الكوريون المسيحيون يعرفون أنني لا أرتاح لأكل لحم الكلاب، فاختاروا حبا في وفي زوجتي أن لا يأكلوا ذلك الطبق في حضورنا. المبدأ المُوجِّه لهذه القرارات هو المحبة.

الغسل {السورة ٥: ٦}

إن الماء هو أعظم منحة في الحياة. في أعالي الجبال يتدفق الماء البارد من بين الصخر وأن الماء نقي كندا الفجر، ينظف وينعش ويشفي.

يصف التوراة والزبور والإنجيل والقرآن مختلف أنواع الغسل. بالسفر من الشرق الأوسط إلى الهند، يمكننا أن نشاهد مئات الملايين من الحجاج الهندوس يغتسلون في نهر الكانج. إنهم يغتسلون في المياه لمحو الذنوب، والمرور من دورة الموت والولادة ثانية لكن العديد من الديانات الأخرى تستعمل طقوس الغسل للتعبير عن القداسة وتجنب الذنب.

تأمر الآية٥: ٦ المسلمين:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا

للغسل بالماء فوائد كبيرة للصحة الجسدية. اكتشف الأطباء في ٢٠٠ سنة الأخيرة فقط بأن

غسل الجسد قبل العمليات الجراحية يمنع التعفن والموت. كانت المستشفيات قبل الممارسات الطبية الحديثة أماكن متسخة وخطرة. الغسل ينقذ الحياة.

يساعد الغسل على الحفاظ على الصحة. لكن ما هي قيمته الروحية؟ ربما يستعمل الغسل في اليهودية والمسيحية والإسلام كنوع من الإشارة إلى التفريق بين الذنب الدنيوي والاستسلام لله.

نعود ثانية إلى هذا السؤال. كيف نتقرب إلى الله؟ كيف نتخلص من ذنوبنا؟

ذات يوم اقترب القادة الدينيون اليهود من سيدنا عيسى، واشتكوا منه: تلامذتك لا يغسلون أيديهم قبل أكل الخبز وهذا مخالف لتقاليد الآباء».

ذهب بسرعة إلى صلب الموضوع: قال :-

«لَيْسَ مَا يَدْخُلِ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هذَا يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ».

{متى ١٥: ١١}.

ما ذا يوجد في قلب الإنسان؟ كان سيدنا عيسى يعرف:

«لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ يَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنىً، فِسْقٌ، سَرِقَةٌ، شَهَادَةُ زُورٍ، تَجْدِيفٌ. هذِهِ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. وَأَمَّا الأَكْلُ بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ فَلاَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ».

(متى ١٥: ١٩-٢٠)

يطرح هذا الفهم شيئين :-

أولاً: هناك عدم الطهارة الروحية التي لا يمكن لأي كمية من الماء تنظيفها.

ثانياً: هذا الذنب العميق هو أكثر خطورة من مجرد عدم الامتثال لطقس ديني.

هل يعني سيدنا عيسى بأن عدم حضور طقس ديني ليس بخطيئة، وأن حضوره لا يمحي الذنوب؟

مثل الزواج والختان، الغسل المقدس في المسيح هو لحظة فرح وأمل عظيمين.

هل الإنجيل يعلم غسلاً مقدساً ؟ نعم إنه التعميد. إنه إشارة إلى الموت والدفن والقيامة من خلال التعميد يثبت المؤمن علاقة المحبة بينه وبين سيدنا عيسى.

تحدث مرة في بداية حياة الشخص مع المسيح. مثل الزواج والختان، الغسل المقدس في المسيح هو لحظة فرح وأمل عظيمين.

الله هو المسيح {السورة ٥: ١٧-١٨}

نعود مرة أخرى إلى مسألة هوية المسيح. ما هي العلاقة بين الله والمسيح؟

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقَالَتِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

هل يمكنني أن أكون نزيهاً في تفكيري؟

أولاً : يعلمنا الإنجيل بأن مريم، أم سيدنا عيسى، لم تكن شيئا آخر سوى كائن بشري. بالتأكيد كان بإمكان الله القضاء على جسدها وروحها.

ثانيا: لا يقول الإنجيل أبدا بأن الله هو المسيح، كما لو أن كل الله يسكن فقط في جسد المسيح. ما يقوله الإنجيل هو أكثر غرابة ودهشة بكثير.

تخيل جوهرة جميلة. يقطعها الجواهري إلى شكل مسطح مثل مرآة بجهة مصقولة واحدة. تخيل جوهرة أخرى. يقطعها الجواهري إلى شكل بثلاث جهات لكي يضخم الضوء. يمكن للجوهرة المسطحة أن تدور في اتجاه واحد كل مرة. أما الجوهرة الأخرى فيمكنها أن تواجه الجهات الثلاثة. يمكن لصديق أن يعجب بجهة في حين أن آخر يعجب بجهة أخرى.

هذه فقط حكاية بسيطة. لكن يمكن لهذه الجوهرة المتعددة الوجوه أن تساعدنا على فهم الله الذي يتألق في علاقاته الثلاثة، فنناديه أحيانا الأب، الابن والروح القدس.

في وصف أكثر دقة، فالمسيحيون يقولون إن سيدنا عيسى هو كجهة واحدة من تلك الجوهرة واحدة لكن جهة واحدة لا تمثل كل الجوهرة. لا يمكنني مثلا أن أشير إلى جهة واحدة وأقول: «ليست الجوهرة سوى تلك الجهة». وتبعا لذلك لا يمكنني أن أشير إلى المسيح وأقول: «الله هو المسيح وليس أي شيء آخر».

هل يمكن لله أن يهلك المسيح؟ يقول الإنجيل هذا ما وقع فعلا. لقد كانت خطة الله منذ

البداية أن يقدم سيدنا عيسى للموت كحمل الله المضحى به. لم يكن بإمكان لا اليهود ولا الرومان النيل من سيدنا عيسى دون مشيئة الله. مات ولكن ليس للأبد.

أبناء الله { السورة ٥: ١٨}

تقول الآية ١٨: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ».

من هؤلاء الناس المتبجحون؟ لا يمكن أن يكونوا من أهل الكتاب الصادقين. تعلمنا التوراة والزبور والإنجيل بأن الإنسان خلق من تراب وسيعود للتراب. هل يعتقد اليهود والنصارى بأنهم مختلفون عن باقي البشر؟ هل لهم آباء غير آدم وحواء؟

بالتأكيد لا، يقدم الإنجيل نوعاً جديدا من العلاقة الروحية مع الله. الله روح وليس له أي أبناء ماديين. يقول الإنجيل: -

> وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ.
>
> (يوحنا ١: ١٢-١٣)

يمكن لله ان يختار بشراً لتبنيهم كأبناء. إنه يعطي الحقوق الشرعية للطفولة لكل من قبل المسيح. لكنهم يبقوا بشرا خلقوا من آدم وسيعودون إلى التراب. لكن العلاقة بالله تتغير من الانكسار إلى الكمال، من خوف العداوة إلى أمان المحبة.

الموت من أجل إبن آخر {السورة ٥: ٢٩}

تفاجئني هذه الآية. هل يمكن أن يعاقب شخص من أجل ذنب ارتكبه آخرون؟ كيف تجيب الآية ٢٩؟ خطط قابيل لقتل هابيل لأنه حسده على قبول الله لقربانه. لم يُرِد هابيل أن يَرُد عليه وقال له:

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ.

تقول الآية «أن تبوء بذنبي». فهابيل يقر بذنبه وذنب قابيل. كلهم فشلوا في الحفاظ على طهارة النفس، لكن الآية تقول بأن واحدا فقط سيعذب.

يعلمنا الإنجيل بأن رجلاً مذنباً يمكن أن يعذب بذنب رجل أخر. إذا لم يعذب هابيل فليس لأن قابيل تحمل عقوبة ذنبه نيابة عنه. غير أن الإنجيل يقول بأنه يمكن لإنسان بدون ذنوب أن يُعذَّب من أجل ذنوب الآخرين. هذا يسمى التضحية المُحبة. مثل حمل الله الذي مات من أجل الآخرين بسبب من الله، يمكن لشخص غير مذنب أن يموت من أجل التكفير عن ذنوب الآخرين.

متى يكون القتل مباحاً ؟ {السورة ٥: ٣٢-٣٣}

في١١ من سبتمبر ٢٠٠١، اختطف إرهابيون أربع طائرات، اثنتان منها انفجرا في مركز التجارة العالمي في نيويورك. قُتل آلاف الناس، بما فيهم أطفال أبرياء. قال تنظيم القاعدة بأنها فعلت ذلك باسم الإسلام. أغضب هذا المسلمين حرك صديقي رأسه أسفا وغيظا وقال: «هذا ليس الإسلام. الإسلام لا يأمر بقتل الأبرياء. يقول القرآن، من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا».

ازدادت رغبتي في معرفة المزيد. يقرأ العديد من أصدقائي المسلمين الآيتين ٣٢-٣٣، وقد أصبحت مهتما بقراءتهما لنفسي:

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

يعرف العديد من الناس هذا الجزء من الآية ٣٢ لكنهم لا يعرفون أنها موجهة لليهود، أبناء إبراهيم.

تقول بأن قتل نفس واحدة كقتل الناس أجمعين. ماذا لو أن العكس صحيح. من أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا.

فجأة فكرت في قصة من الإنجيل. بما أن قادة اليهود كانوا يحقدون على المسيح فقد كانوا

يخططون لقتله. في لقاء خاص بهم تكلم زعيمهم عن موت المسيح كتضحية: «ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها». بموت المسيح، ماتت كل البشرية، وببعثه، تم إنقاذ الجميع.

تعترف الآية ٣٢ بقيمة الحياة الإنسانية، لكن الناس الأبرياء وحدهم هم من لن يشملهم العذاب. ماذا عن الناس الذين يقتلون وينشرون الفساد؟ ماذا عن الذين يحاربون الله ورسوله؟

الآية ٣٣ تصدر الأحكام في حقهم: -

«أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ».

إذا تابوا قبل أن يسيطر عليهم فقد يغفر الله لهم.

بدون تفاصيل، لا نفهم بوضوح معنى «يسعون في الأرض فسادا» و «يحاربون الله ورسوله». هل تعني فقط أعداء الإسلام الذين حاربوا الرسول في القرن السابع؟ سنعرف المزيد في الآيات التي تلي.

التحريف أو الثقة؟ {السورة ٥: ٤٧-٤٨}

يطلب القرآن من المسيحيين أن يقرؤوا القرآن ليعرفوا الحقيقة منه. لو كان الإنجيل حُرّف قبل الإسلام لما طلب القرآن من المسيحيين أن يقرأوه. لو كان الإنجيل محرفاً، كان القرآن سيقول لهم: «كتابكم محرف، لا تقرأوه لكن القرآن لم يقل ذلك. يقول للمسيحيين، وفي آيات أخرى لليهود، أن يقرأوا الكتب السماوية {التوراة، الزبور، الإنجيل} لمعرفة الحقيقة. (صورة النساء ١٣٦)

تخبرنا هذه الآية {٤٧} بأن الله أنزل الإنجيل كذلك:

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

يطابق هذا ما جاء في الآية ٦٨:

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

ليست هناك لغة أقوى من هذه اللغة. يبقى التوراة والإنجيل الأساس الذي لن يتغير، فا من

كان بإمكانه تحريف التوراة والزبور والإنجيل؟

تقول الآية ٤٨ بأنه لا يمكن تحريف الكتب السابقة لأن الله يحفظها من التحريف:

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

كيف توافق الآية ٤٨ آيات أخرى كالآية ٥٩ التي تتحدث عمن يحرفون كلام الله؟ من الواضح أنها لا تتحدث عن تغيير فعلي لكلام الله بل فقط عن تأويله. مثلا ومع كامل الاحترام، ألاحظ بأن تأويلات السُنّة هي مختلفة عن تأويلات الشيعة. تستعمل الفرقتين نفس الكتاب، لكنهم ينتجون تأويلات مختلفة. مثلا، نجد مسيحيين يستعملون نفس الإنجيل، لكن بتأويلات مختلفة. هل حرف أي واحد منهم الرسالة؟ لا. لم يغيروا ما هو مكتوب. لكن التأويل تغير.

الصداقة مع اليهود والنصارى {السورة ٥: ٥٢}

هذا تحذير آخر من الصداقة مع غير المسلمين:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾

كانت العلاقات بين الناس من مختلف الديانات دائما علاقات غير مستقرة. كان اليهود والنصارى، كما تقول الآية، أحيانا أولياء بعضهم البعض. لكن التاريخ يشهد بأنهم لم يكونوا كذلك في فترات أخرى. في ١٤٩٢ طرد مرسوم الحمراء الذي وقعه الملوك المسيحيون الأسبان كل اليهود من المملكة. هاجر بعضهم إلى تركيا طلبا للنجاة وبدعوة من السلطان أبا يزيد الثاني. في فترات أخرى فى أوربا، قام الحكام المسيحيون بقمع اليهود وتعذيبهم. في الحرب العالمية الثانية، قتل هتلر الملايين من اليهود بما فيهم الأطفال والنساء.

أما بالنسبة لليهود، فقد اكتفوا بأنفسهم خوفاً من أن يختلطوا بالآخرين ويفقدوا طهارتهم الطقسية في الوقت الحاضر، استغل بعض اليهود مواقعهم للسخرية من سيدنا عيسى المسيح. يفهم البعض هذه الآية على أنها أساسا تحذير للقادة المسلمين من أن يعقدوا أي حلف مع غير المسلمين. وهو تحذير لهم بتجنب اتخاذ غير المسلمين كأوصياء عليهم. في كلتا الحالتين، يتفق أغلب المسلمين بأنه من الأفضل للمسلمين بأن لا يعيشوا تحت سلطة غير المسلمين.

البعض الآخر يطبق الآية على المستوى الفردي ويتجنب ربط صداقات مع غير المسلمين حتى يحافظ على طهارة إيمانه.

يمكن أن تسبب الصداقة مشاكل للناس. نرى في الإنجيل كيف أن القادة اليهود انتقدوا سيدنا عيسى بسبب الناس الذين رافقهم. تذمر الفريسيون والكتبة قائلين:

«هذا يقبل خطاة ويأكل معهم»{لوقا ١٥ : ٢}.

في مناسبة أخرى نرى المسيح يمنح زانية العفو والفرصة للتوبة. في تحد للمعايير الاجتماعية، قام سيدنا عيسى بمنح المحبة والمساعدة لمن لا يتمتعون بأي تقدير اجتماعي.

نفس الآية {السورة ٥: ٦٩}

تعيد الآية ٦٩ الآية ٦٢ من السورة ٢ كلمة بكلمة. ليست هذه فقط إعادة مهمة، لكنها تعد غير المسلمين بتحريرهم من الخوف والحزن:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

الفرق الوحيد بين الآيتين هو حذف كلمة «أجر» من الآية ٦٢ السورة ٢. رغم ذلك فهذين الآيتين تطمئنان اليهود والنصارى ومؤمنين آخرين بأنه ليس هناك شيء يخافونه.

هل فعلا ليس هناك شيء يخافونه؟ عندما يسمعون هذه الرسالة، ألا يصبحوا مسلمين؟ لكن إذا كانت هذين الآيتين تتحدثان عن غير المسلمين المتقين الذين لم يسمعوا بعد عن الإسلام، لماذا لم يصرح القرآن بذلك؟ عندما يسمع غير المسلمين المتقين عن الإسلام، ألا يصبحوا مدانين إن لم يؤمنوا به؟ يبقى السؤال مفتوحاً.

خبز الحياة {السورة ٥: ٦٨-١٢٠}

يتحدث ما تبقى من السورة ٥ في معظمه عن سيدنا عيسى المسيح. كان يشفي الناس، يحيي الموتى، يحكى أنه خلق طيرا من التراب وأنزل أكلا من السماء. تقول الآية ١١١ بأن حواريه كانوا يسمون أنفسهم مسلمين.

يبقى الطبق الذي نزل من السماء مثيرا للاهتمام. في مناسبات عديدة أعطى المسيح الأكل للناس حبا وخدمة لهم. ذات مرة، قام بفعل معجزة بمضاعفة خمسة أرغفة لإطعام ٥٠٠٠ شخص ومرة أخرى ضاعف سبعة أرغفة لإطعام أربعة آلاف شخص. قبل عودته إلى السماء، قام بشواء السمك على الشاطئ لأتباعه. تبين كل أفعال العطاء هذه حب الله. لكن المائدة التي نزلت من السماء المذكورة في الآية ١١٢{٥} تتناسق أحسن مع معنى وجبة

أخرى.

كان أبناء إبراهيم يحتفلون كل سنة بتحررهم من العبودية وذلك بإقامة وجبة عيد الفصح. حتى ذلك الوقت كل شيء كان يمر حسب التقاليد. لكن سيدنا عيسى فعل شيئا عجيبا. أخذ الخبر وقال:

> وَأَخِذَ خُبزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعطَاهُمْ قَائِلاً: «هذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنكُمْ. اِصنَعُوا هذَا لِذِكْرِي». وَكَذلِكَ الكَأسَ أَيْضًا بَعْدَ العَشَاءِ قَائِلاً: «هذِهِ الكَأسُ هِيَ العَهْدُ الجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنكُمْ».
> (لوقا ٢٢: ١٩-٢٠)

أتمنى لو كنا نقدر أن نتخيل النظرة التي بدت على وجوه حوارييه. لم يكن سيدنا عيسى يقدم لهم حيوانا للأضحية. قدم لهم نفسه حمل الله.

الفصل السادس

من سورة الأنعام

الحكم على الكفر {السورة ٦: ١-١٥}

الهلاك، الحساب والعقاب. يحذر القرآن من عواقب الكفر. السبيل الوحيد للنجاة من عذاب الله هو رحمة الله. يقول القرآن بأن الله هو من سيقرر مصير الناس سواء بالنعيم في الجنة أو العذاب في جهنم.

يقول الإنجيل بأن الهلاك هو أبدي. عندما يواجه الناس الحساب الأخير دون أن يكونوا في علاقة سلام مع الله من خلال المسيح، فإنهم يمروا إلى الظلام الأبدي. ما أن يفترق الإنسان عن الله بعد الحساب، لا يبقى هناك أي أمل للخلاص. لا يخبرنا الإنجيل عن «المَطْهَر» (البرزخ)، وهو مكان مؤقت يبقى فيه الناس ليحاسبوا على ذنوبهم قبل المرور إلى الجنة. يقدم الله لكل الناس طريقا للخلاص عبر المسيح قبل أن يواجهوا يوم الحساب.

البرهان؟ {السورة ٦: ١٩}

تخيل جارا يتهم جاره في المحكمة من أجل السرقة. يقول القاضي «أين الدليل؟». يقول الرجل: «سرق الذهب الذي كنت أملكه وأنا لم أكن أثق أبدا في هذا الجار». يجيب القاضي: «عدم ثقتك بجارك ليس بدليل على اقتراف جارك لهذا الفعل ولا حتى سرقة ذهبك هو بدليل. ربما فقدته أو أخذه شخص آخر، أو ربما لم تكن تملك ذهبا في الأصل وكذبت على هذا الرجل لتسبب له مشاكل» تعتمد المحاكم والعلم على الدليل والبرهان. لذلك فالناس يعتمدون كذلك على الدليل في حياتهم اليومية. لن يقود أحد سيارته فوق قنطرة إلا إذا كان متأكدا بأنها لن تتهدم وتسقط في البحر.

تأتي كل رسالة من الله بدليل. تقول الآية ١٩:

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا

«الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُلْ لَا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ».

البحث عن الدليل هو أمر جيد. كما أن توفر الإنسان على عدد من الشهود هو كذلك جيد. يجب أن نفهم هذا الأمر حتى نتمكن من تصحيح خطأ شائع. يعتقد عدد من الناس بأن للمسيحيين عدة أناجيل يجب أن نصحح هذا الاعتقاد للمسيحيين إنجيل واحد.

لنفترض أن شخصا ما أراد تأليف كتاب حول الزعيم التركي أتاتورك. يتحدث الكتاب عن تأثير حياته من الولادة حتى الموت. لنتخيل أن عددا من الكتاب ألفوا كتابا حوله من منظورات مختلفة. ستمكننا قراءة عدد من هذه الشروح الصادقة لحياته صورة أحسن من قراءة كتاب واحد.

تعدد الشهود هو دائما أحسن من وجود شاهد واحد. لهذا السبب أوحى الله لعدد من الشهود بأن يكتبوا عن سيدنا عيسى المسيح. يمكننا قراءة شهادة متى، يوحنا، لوقا ومرقس، كتبوا شهادتهم في تناغم إما كشهود رافقوا سيدنا عيسى أو استمعوا إلى من رافقوه لمدة طويلة حيث يقول يوحنا :-

الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ يُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا يَحِنُّ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحَ.
(يوحنا الأولى ١ : ٣)

ويقول أنجيل لوقا :-

الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ يُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا يَحِنُّ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحَ.
(لوقا ١: ١-٢)

أينا سابقا أن القرآن أكد العديد من معجزات سيدنا عيسى. تقول الآية ٥٥ بأن الله توفاه ثم بعثه و أهناك دليل أكثر من أن سيدنا عيسى بُعث من قبره؟

يقول بطرس بأن سيدنا عيسى قُتل ثم أحياه الله وظهر لأقرب أتباعه ولخمسمائة شخص من أتباعه في نفس الوقت.

وشاهد المئات من الناس إيقاف سيدنا عيسى من طرف الجنود الرومان و رأوه يحمل صليبه عبر شوارع القدس و رأوه مصلوبا فوق صليب خارج أسوار القدس. وجنديا يغرس

رمحاً في جسده. رأوه جثة هامدة بعد أن أنزلوه من الصليب ولفوه في ثوب. رأوا قبره ورأوه مدفونا.

في اليوم الثالث وعكس جميع كل التوقعات فقد رآه بعض النساء والرجال من أتباعه حيا وفي صحة جيدة فقد أمضى أربعون يوما فوق الأرض بعد ذلك ورآه أكثر من خمسمائة من الناس.

قدم الدليل على حياة سيدنا عيسى بعد موته مئات من الشهود الثقاة لم يكن لديهم سبب للكذب. كانوا يعرفون أن إتباع موسى قد يؤدي بهم إلى السجن أو الموت. جميع تلاميذ سيدنا عيسى الاثني عشر قد استشهدوا إلا واحد (يوحنا)، وجميعهم وقد رأوا سيدنا عيسى حياً بعد موته ورأوا آثار المسامير في يده وأكلوا السمك معه على الشاطئ. كيف يمكن أن يوجد أي شك في الموضوع؟

الشهادة مهمة جدا.

أحيانا أُسأل: «ما هو مصدر القرآن في رأيك؟ أهو من الله؟». البشر مخلوقات تتطلع إلى المعرفة كالجار الذي لا يكف عن طرح أسئلة حول أثاث منزلك: «من أين اشتريت هذا وذاك؟» الأشياء العادية لها مصادر عادية. الطماطم من أمريكا والقهوة من إفريقيا. يدعي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن بأن لهم مصدرا غير عادي، بأنهم وحي من الله.

نصل هنا إلى مفترق طرق. نكتشف بأن الله يتكلم مباشرة مع بشر يسمون أنبياء في هذه الكتب. ينشرون رسالته.

> قَالِ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: ‹هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِيَ لِيَعْبُدُونِي›».
>
> (الخروج ٨:١)

عوض أن يتكلم الله مع موسى عبر ملاك فإن الله تكلم معه مباشرة، كما نفعل نحن البشر مع أصدقائنا.

يقول الإنجيل بأن الله تحول من الكلام مع الأنبياء إلى التحدث مع كل البشر خلال المسيح. فالمسيح لم يتكلم كلام الله بل كان كلمته. فالمسيح أُنزل من السماء إلى الأرض وكل ما قاله هو كلام الله ورسالة البشارة المفرحة {المجد}.

> اللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ - الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا

عِمِلِ الْعَالِمِينَ.

(عبرانيين ١: ١-٢)

تعطي الآية ١٠٢ {السورة ١٦} شرحا لأصل القرآن:

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ. يعتقد المسلمون بأن روح القدس هو الملاك جبرائيل. يعتقدون بأن روح القدس هو الذي أنزل الوحي على سيدنا عيسى المسيح.

أتريث في هذه النقطة وأسأل نفسي. تنفتح أمامنا طريقان فريدان ومُتعلِّق بهما. يتبع المسيحيون الطريق التي تؤكد لهم بأن المسيح هو كلمة الله في حين أن المسلمون يعتقدون بأن القرآن هو منزل عبر جبرائيل. إلى أين تحملنا هذين الطريقين المختلفين؟ عندما ننظر إلى الطريق الأول نرى كلمة الله مليئة بالرحمة والحقيقة، وعندما نرى الطريق الآخر نرى جبرائيل ينذرنا ضد الشرك. كلنا نتفق على أن شرك هو شيء كارتي، لكن ما هو موقفنا من الرحمة والحقيقة التي تحملها كلمة الله؟

الموت في البحر {السورة ٦: ٦٣-٦٤}

للبحارة معرفة فريدة بالرعب الذي تسببه لهم الأمواج والرياح العاتية التي تحطم البواخر وتزرع الموت. تقول السورة ٦٣:

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

تذكرني هذه الصورة المرعبة برحلة في قارب عبر بحر الجليل خلال القرن الأول. دفع تيار قاربا مليئا بصيادين من أتباع سيدنا عيسى إلى داخل البحر. نظر سيدنا عيسى وأتباعه إلى البحر بخوف واحترام كما لو أنهم رأوا وحشاً كاسرا وفى هذه الليلة أخترقهم الخوف كالمسامير في أجسادهم.

بدأ الأمر برياح منعشة وأمواج متقطعة. ينخفض بحر الجليل تحت سطح البحر بمئات الأمتار و كانت السماء مظلمة حيث كانت غيوم تغطي الوادي لقد هاجت المياه وامتلأ القارب بسرعة وقد أدرك الصيادون خطر الأمواج التي تحيط بهم من كل جانب وصرخوا يطلبون النجدة.

كان المسيح نائما غير مبالي بالعاصفة، لكن صراخ أتباعه أيقظه.

قام سيدنا عيسى وطلب من الرياح أن تتوقف. تكلم مع البحر: «السلام. كن هادئا».

في لحظة هدأ كل شيء و نظر الأتباع إلى الأمواج و نظروا إلى الماء في القارب و نظروا إلى سيدنا عيسى ونظروا إلى بعضهم البعض وهمسوا:

«مِنْ هِوَ هذِا؟ فِإِنِ الرِّيحَ أَيْضِا وَالبَحِرَ يُطِيعِانِهِ!».
(مرقس ٤ : ٤١)

تجنب سيدنا عيسى الموت في البحر. هذا هدف أساسي من موت سيدنا عيسى. تجنب الموت. أنقذ الناس من الهلاك وعندما عاد إلى اليابسة، غادر الحياة وهو في تمام يقظته.

لا تقتلوا أبناءكم {السورة ٦: ١٥١}

رغم أن قتل الأبناء أمر كريه إلى أنفسنا، تمت ممارسته في العديد من المجتمعات. قبل بعثة محمد كان العرب يدفنون بناتهم أحياء في الرمال. كانت مجتمعات أخرى تفضل الأولاد على البنات وكانوا يتركون البنات الرضع خارجا ليموتوا. في التاريخ القديم كانت بعض الشعوب بما فيهم اليهود يقدمون أبناءهم قربانا للآلهة.

في القرن ٢١ يمارس نوع جديد من القتل بفضل التقدم العلمي في الطب. ففي المستشفيات عبر العالم يقوم الأطباء بإجهاض النساء وقتل الأجنة عوض عن إنقاذ حياة الناس. يقتل تطور تقنيات الإجهاض مخلوقات بشرية لم تولد بعد ويتخلص منها.

يقول القرآن:

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ.

يذكرنا هذا بالوصايا العشر. من أول عائلة أدم وحواء إلى الوقت الحاضر، كانت العلاقات التي تطورت بين الآباء والأبناء تدعم وتحمي الحياة. في القرن السادس تجاوبوا مع منع قتل البنات وتوقفت هذه الممارسة.

لماذا أنزل القرآن؟ {السورة ٦: ١٥٥-١٥٦}

قال صديقي «كان ضروريا أن يرسل الله القرآن».

سألته: «ما هو السبب؟».

«لأن التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل حرفوا كل الوقت كان فقد كل شيء».

هذه الفكرة معقولة لكنها لا توجد إلا في القرآن:

وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾

لا يقول هذا المقطع أن الكتب السابقة كانت محرفة. بل على العكس من ذلك فهو يقول بأن العرب كانوا غافلين عن هذه الكتب. لو كانت الكتب السابقة محرفة، لكان ذلك سببا كافيا للعرب ليبرروا جهلهم بالدين. ولماذا درس اليهود والنصارى كتبهم إذا كانت محرفة. كرسوا أنفسهم لدراستها وأصبحوا علماء في دين الله. هذا يدل على أن اليهود والنصارى كانوا يعزون كتبهم ويثقون بها.

يبدو أن العرب لم يتمكنوا من الوصول إلى هذه الكتب أو أنهم لم يكونوا يعرفون قراءتها. يقول القران أنه أنزل على العرب حتى يكون لهم كتابهم الخاص مثل اليهود والنصارى.

الفصل السابع

سورة الأعراف

موازين الخير والشر {السورة ٧: ٨-٩}

ماذا سيحدث يوم الحساب؟

وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

سنوات مضت على لقاء بين مسلم ومسيحي في مدينة أسيوية كبيرة لمناقشة يوم الحساب. قال المسلم: «سيضع الله أعمال الخير التي قمت بها ويضعها في جهة من الميزان ويضع ذنوبي في الجهة الأخرى من الميزان. الجهة الأثقل هي التي ستحدد إن كنت سأدخل إلى الجنة أو إلى جهنم، إن شاء الله».

أخذ صديقه المسيحي ميزانا صغيرا ووضعه على الطاولة بينهم «أظن أنه شيء مثل هذا. لكن هناك مشكلة». ملأ جهة بالأحجار. «إن ذنوبنا هي إساءة عظيمة للإله المقدس». وضع بعض الريش في الجهة الأخرى. «بالمقارنة مع معايير الله، فإن أعمال الخير هي خفيفة كالريش». لم يتحرك الميزان.

تأمل المسلم الميزان لبعض الوقت وقال: «إذا هل هناك أمل؟».

أخذ المسيحي قالب طوب من حقيبته ووضعه فوق الريش فتحرك الميزان من جهة الريش إلى أسفل. «هل رأيت؟ هذا الطوب هو التقوى الكاملة لسيدنا سيدنا عيسى المسيح، نوره. إنه يشارك تقواه مع كل أصدقائه التقاة».

ثم قال: «فكر في هذا. يقول النبي أشعياء»:

«قَدْ صِرْنا كُلُّنا كَنِجِسٍ، وَكِثْوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمالِ بِرِّنا، وَقَدْ ذَبُلْنا كَوَرَقَةٍ، وَآثامُنا كَرِيحٍ تَحْمِلُنا».

(أشعياء ٦٤ : ٦)

«يبدو أن هذا غير صحيح. كيف يشارك الله تقواه معنا؟».

غير أن الله يتحدث عن مشاركة تقواه معنا في الآية ٢٦ من السورة ٧:

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ

يقول الإنجيل بان النقي يمكن أن يقترب من الله لأنه «غسل ثوبة وجعله أبيضا في دم الحمل». يغفر حب الله ذنوبنا. إن رحمة الله تشارك تقواه معنا.

سَمّ الخياط {السورة ٧: ٤٠}

تشبه النجاة بالنسبة للمذنبين ولوج جمل ثقب إبرة الخياط:

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ

ذات يوم جاء شاب إلى سيدنا عيسى يطلب منه الحياة الأبدية. طلب منه سيدنا عيسى أن يبيع كل ما يملك ويتبعه. رفض الشاب واعتبر ذلك طلب مبالغ فيه.

فيما بعد قال سيدنا عيسى لحوارييه:-

«إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!». فَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ بُهِتُوا جِدًّا قَائِلِينَ:«إِذًا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ».

(متى ١٩ :٢٤-٢٦)

وأيضاً يقول حزقيال ٣٣: ١١

قُلْ لَهُمْ: «حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا. اِرْجِعُوا، ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الرَّدِيئَةِ! فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟».

(حزقيال ٣٣ : ١١)

يقول سيدنا عيسى المسيح بأن الله لم يرسله إلى هذا العالم ليدينه، ولكن العالم يمكن أن يُنْقذ من خلاله.

الله يزور الأرض {السورة ٧: ١٤٣}

تسرد الآية ١٤٣ عددا من أسماء الأنبياء. أرسل نوح إلى قومه. تكلم هود مع عاد. أُرسل صالح إلى ثمود. كما أُرسل لوط إلى قومه الذين أهلكهم الله بسبب انحرافهم الجنسي. أرسل شعيب لمدين. في كل حالة يقول القرآن بأن النبي بلغ قومه تحذيرات ربه ولكن الكثير من الناس لم يؤمنوا وهلكوا. هناك نوع من الترتيب: ناس فاسدين، رسول، رفض للرسول، وعقاب الله.

تقدم الآية ١٠٣ موسى. ذهب إلى فرعون برسالة من الله بأن يطلق سراح العبيد من اليهود. قاوم المصريون سيدنا موسى حتى بعد مجموعة من الأحداث الخارقة كتحويل الماء إلى دم ونزول البرد من السماء وهجوم الضفادع على المدن. لكن نكتشف في الآية ١٤٣ لقاء بين الله وموسى دُكّت له الجبال.

ما هو الأمر المدهش جدا؟ من بين الاختلافات الأساسية فهم المسيحيين والمسلمين لطبيعة الله هو علاقة الله بالزمان والمكان. سألني بعض الأصدقاء: «إذا كان الله مع المسيح على الصليب، من كان في السماء في ذلك الوقت؟ إذا غادر الله السماء من سيحكم العالم في غيابه؟ هل سيغادر الله عرشه ويترك كل شيء ينهار؟».

قدمت فيما سبق صورة للمحبة الكاملة في ثلاثة مستويات. أولها كان سيدنا عيسى المسيح الذي يعيش في الزمان والمكان. وفي نفس الوقت يوجد الله على عرشه في السماء. الله واحد.

هل هذا مناف للعقل؟ كيف يكون الله في الأرض وفي السماء في نفس الوقت؟ هذا هو جواب القرآن {١٤٣}:

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ

إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ.

توجد هذه الحكاية في التوراة كذلك. قال موسى في صلاته مخاطبا الله «فقال أرني مجدك.»، رد الله عليه:

«أُجِيزُ كُلَّ جُودِي قُدَّامِكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ». وَقَالَ: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ». وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفُ عَلَى الصَّخْرَةِ. وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ مَجْدِي، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نُقْرَةِ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى».

(خروج ٣٣: ١٩-٢٣)

يؤكد القرآن والإنجيل بأن الله يمكن أن يتجلى من خلال الزمان والمكان. عندما كان الله مع موسى فوق الجبل من كان في السماء؟ هل كان عرش الإله فارغا؟ هل يمكن أن يكون كذلك!

من السهل أن نقول بأن كل ذلك ممكن مع الله. أغلب الناس يعتقدون بأن كل شيء ممكن هو شيء معقول. هل يمكن أن يخلق الله شيئا ثقيلا لدرجة أنه لا يقدر أن يحمله؟ هل يمكن أن يصنع الله مربعا دائريا؟ هذه استحالة منطقية. هل يعتبر وجود الله على الأرض وعلى العرش في نفس الوقت مستحيلا منطقيا؟

يوجد جزء من الجواب في السورة الأولى من التوراة:

وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا.

(التكوين ١: ٣١)

كان العالم المادي حسنا لأن الله خلقه. كان مظهر الجبال والأزهار والأشجار والحيوانات والبشر حسنا في شكلهم المادي. عندما أذنب آدم وحواء في حق الله، أنزل حياتهم الروحية إلى وضعية الفساد، لكن ذلك لم يغير شيئا من جمال الجبال والنجوم والأنهار والصحاري. يمكن لله أن يهبط إلى العالم المادي لأنه لم يفسد.

لكن كيف يمكن لله أن يتواجد في مكانين في نفس الوقت؟ الله ليس محدودا بالمكان. بمعنى ما إنه يملأ كل الأماكن. يقول داود:

«أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكِ؟ وَمِنْ وَجْهِكِ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتِ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتِ هُنَاكِ، وَإِنْ فَرَشْتِ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتِ».
(مزامير ١٣٩: ٧-٨)

غير أنه يمكن أن نعطي جوابا أعمق. إن كلمة الله تصدر عن الله كتعبير عن حبه. عندما نقول «كلمة» فإننا نعني أكثر من كلمة في محادثة. الكلمة هي أساس عقل الله. وعليه فيمكن أن يبقى الله فوق عرشه يمارس حكمه، وفي نفس الوقت تزور كلمته العالم الأرضي. زار الله سيدنا عيسى في الجبل وسنوات قبلها زاره كقبس من نور. زار إبراهيم مع ثلاثة رجال قبل أن يرحم قوم لوط. حدثت آخر هذه الزيارات حسب الإنجيل في المسيح. كانت هذه الزيارة قمة دخوله عالم الزمان والمكان. قام بزيارات سابقة لكنها كانت قصيرة. مشى الله بين الناس في المسيح، كله رحمة وحقيقة. ورحل أيضا إلى مستقرة الأخير. قدم نفسه كحمل قرباني لله.

حكم الوصايا العشر {السورة ٧: ١٤٥}

ذكرت الآية ١٤٥ الوصايا العشر:

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ.

لماذا أرسل الله هذه الوصايا؟ ليجعل الناس متقين أمام الله؟ للأسف لا. لأن الإنسان مهما حاول لن يستطيع تطبيق الشرائع كل الوقت.

يقول الإنجيل:

إِذًا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ.
(رومية ٧ : ١٢)

ويقول بولس للعبرانيين :-

إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللهِ.
(عبرانيين ٧ : ١٩)

يقول الإنجيل أيضا:

وَلكِنْ أَنْ لِيْسَ أَحِدٍ يَتبَرَّرُ بِالنامُوسِ عِنْدِ اللهِ فِظاهِرٌ، لإِنٍ «البَارَّ بِالإيمانِ يحيَا».

(الرسالة إلى أهل غلاطية ٣: ١١)

جميعنا قصرنا عن حفظ شريعة الله

وَلكِنَّ إِسْرَائِيلِ، وَهِوَ يِسْعَى فِي أَثرِ نامُوسِ البِرِّ، لِمْ يُدرِكْ نامُوسَ البِرِّ!

رسالهِ إلى أهل

(رومية ٩ : ٣١)

لماذا لا نستطيع احترام شريعة الله؟

لإِنٍ اهيمِامَ الجِسِدِ هِوَ عِدِاوَةٍ للهِ، إِذْ لِيْسَ هِوَ خِاضِعِا لِنامُوسِ اللهِ، لإِنِهِ أَيْضِا لا يِسْتِطِيعُ.

(رسالة إلى أهل رومية ٨: ٧)

لكن من يستطيع القيام بذلك؟ ما من شخص إلا يخطئ ولو مرة واحدة على الأقل، وهذا لا يشمل حتى ما يخالج سرا قلوبنا. يقول الإنجيل،

لإِنٍ مِنْ حِفِظِ كِلِ النامُوسِ، وَإِنَّمَا عِثرٍ فِي وَاحِدِةٍ، فِقِدِ صِارَ مِجرِمِا فِي الكِلِ.

(يعقوب ٢: ١٠)

يضعنا هذا في مأزق. أرسل الله شريعة التقوى من خلال موسى وأمرنا أن نعبده وحده. وأمرنا أن نعتني بالوالدين وأدان السرقة والغش والخيانة. الرجل الكامل هو الذي يحترم كل شريعة الله.

من يستطيع فعل ذلك؟ كل الناس تخطأ ولو مرة، وهذا لا يشمل الحياة السرية للقلب. لا يتم تطبيق القانون مبعدا. إما أن يكون أو لا يكون. يجب على الإنسان أن يخضع لشريعة الله كل الوقت وكل مخالفة صغيرة هي ذنب. بعبارة أخرى إما أن تكون متقياً ١٠٠٪ أو ٠٪. ما دمنا قد ورثنا إمكانية الخطيئة من آبائنا في جنة عدن، فإننا معرضون لارتكابها ثانية وهذا يجعلنا حتما مذنبين.

تخدم شريعة الله هدفا آخرا غير إرشادنا إلى طريق التقوى. هذا طريق مستحيل، شارع باتجاه واحد ودون مخرج. لا يؤدي إلى أي مكان غير الظلام. سنرى لاحقا الهدف الحقيقي من الشريعة.

هل تنبأ التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل بمحمد؟ {ال سورة٧: ١٥٧}

يقول لي بعض الأصدقاء أحيانا كثيرة: «تتنبأ كتبكم ببعثة محمد. قال سيدنا عيسى بأن نبيا مثله سيأتي. كما قال سيدنا عيسى بأن نبيا آخر سيأتي بعده». إنهم يفكرون في مقاطع مثل الآية ١٥٧ {السورة ٧}:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ...

قبل قراءة القرآن بوقت كثير كنت قد قرأت الكتب السابقة. تبدأ القصة بآدم وحواء، نوح، إبراهيم وموسى ثم تتطور لتصل إلى داود وسليمان. أتى النبي يحيى ليُمهد الطريق للمسيح. كان المسيح خارقا بمعجزاته حيث أثبت العديد من النبوءات التي تم إعلانها آلاف السنين قبل ولادته.

بعد رجوعه إلى السماء قال بطرس بأن سيدنا عيسى هو النبي الذي تكلم عنه موسى. يقبل المسيحيون بأن المسيح هو النبي الذي قال موسى عنه أنه سيأتي فيما بعد،، ماذا عن المعزي الذي وعد سيدنا عيسى بأنه سيأتي بعده بعدما يرجع هو إلى السماء؟ يعتقد المسلمون بأن الإنجيل يتنبأ بقدوم محمد. تتوقف المسألة على

الفرق بين الكلمتين اليونانيتين παράκλητος أو περικλυτος.

كُتب الإنجيل في أغلبه باللغة اليونانية. كانت اللغة اليونانية اللغة السائدة ومهمة جدا في منطقة البحر الأبيض المتوسط. كان المسيح يتكلم الآرامية مع أصدقاءه.

ذات يوم تكلم سيدنا عيسى مع تلامذته عن المستقبل. شرح لهم بأن جسده سيغادرهم. كان عمره ٣٣ سنة. كان ما يزال شابا لكن أيامه كانت تمر بسرعة. بطبيعة الحال كان أصدقاءه خائفين ومرتبكين. لماذا سيغادرهم مبكرا رغم أنه مازال هناك كثير من العمل يستطيعون القيام به معا. هل سيحررهم من أسيادهم الرومان؟ أين كان ذاهبا؟ كيف سيكملون المهمة بدون قيادته؟ هدّأ سيدنا عيسى من روعهم وقال :-

«وأبا أطلب من الاِب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الاِبد»

(يوحنا ١٤: ١٦)

وعدهم سيدنا عيسى بمعز آخر براكليتوس (παράκλητος). مثل صديق عزيز، أب أو

معلم، سيقدم لهم العزاء بإعطائهم النصيحة الخالصة والتشجيع القوي والسلام التام.

بعد مرور مئات السنين، أصبح محمد معروفاً وتطلع العلماء المسلمون إلى معرفة ما إذا كان الإنجيل قد تنبأ ببعثة محمد فقد قرأوا الإنجيل وظنوا أن سيدنا عيسى وعد بقدوم أحمد عوض المعزي! يدعون أن الإنجيل يقول: «سيعطيكم أحمد آخر» وبأن الإنجيل القديم استعمل كلمة بريكلوتس (περικλυτος) والتي تعني «أحمد»! (يوحنا ١٤ : ١٥)

هذا الادعاء هو خطأ لأنه:-

أولا:- لم يستعمل أي إنجيل قديم كلمة أحمد بريكلوتس (περικλυτος) لا توجد هذه الآية في أي مكان وجميع نسخ الأناجيل القديمة تستعمل كلمة المعزي براكليتوس (παράκλητος) و لا شك في ذلك.

ثانياً:- عندما وصف سيدنا عيسى المعزي وصفه كروح وليس كبشر وانه سيستمر المعزي في القيام بعمل سيدنا عيسى بإعطاء العزاء والسلوان وإنقاذ المذنبين و إنه أيضاً غير مرئي ولا يعرفه الناس، لكن أتباع سيدنا عيسى يعرفونه فأنه يبقى دائماً مع أتباع سيدنا عيسى ليهديهم إلى الحقيقة مادام المعزي مستمداً من جوهر الله فهو ليس ببشر ولا ملاك.

في مقاطع أخرى يسمي الإنجيل المعزي روح القدس، وفي الحقيقة فالإنجيل يسميه روح المسيح ٢٣ مرة، قال المسيح لأصدقائه:

«وَهِا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ».
(متى ٢٨: ٢٠)

فا أنه غادرهم جسدياً لبعض الوقت لكن روحه بقيت في المعزي بجانبهم وحتى فيهم، تؤكد هذه الآيات بأن سيدنا عيسى حقق وعد موسى بقدوم نبي بعده وبأنه لن يترك تلامذته لوحدهم بل سيبقى معهم كالمعزي.

لكن العديد من الأصدقاء المسلمين يقاومون ويؤكدون أن التوراة والإنجيل تتنبآن بقدوم محمد. ويبقى النقاش في أخذ ورد. كنت أرد عليهم: «دعوني أسألكم، إذا كنتم تعتقدون أن هذه الكتب محرفة، فلماذا تبحثون فيها عن آيات تتنبأ ببعثة محمد؟».

«لأن القرآن قال بأنها تتنبأ بقدومه،' ويجب أن نجد آية فيها تقول ذلك».

«لماذا تثقون في هذه الكتب؟ إذا كانت محرفة فأي شيء تقوله حول النبي محمد قد يكون ضاع أو حرف. ما دمتم تتوفرون على القرآن فلماذا تحتاجون الكتب السابقة».

هذا الأمر يستحق التأمل.

«هذا صحيح. لا أحتاج التوراة والزبور والإنجيل وربما قد لا تكون هذه الكتب محرفة كليا».

«هذا مثير للانتباه. إذا هناك مسلمون يعتقدون بأن بعض هذه الكتب غير محرفة. كما أن القرآن يحترم هذه الكتب. لماذا لا نعيد التفكير في إمكانية أن هذه النصوص ليست محرفة على الإطلاق».

إذا كنا نريد أن نعرف الحقيقة فيجب أن نكون صادقين في طريقة بحثنا ونتقبل النتائج.

أسماء جميلة لي لله {السورة ٧: ١٨٠}

يعتقد أغلب المسلمين بأن لله ٩٩ إسما وأن حفظهم يمنح الإنسان البركات وقد يدخله الجنة. يتكلم بعض الناس عن الاسم المائة المخفي. تقول الحكاية القديمة بأن الله قال هذه الأسماء للجمل، لذلك يبتسم الجمل وينظر إلى البشر بكل افتخار لأنه يعرف ما لا يعرفه البشر.

يُفهم من هذه الأسماء بأنها تحيل على صفات الله مثل الرحمة والقوة والعفو وغيرها.

هل نبحث عن هذا الاسم؟ ماذا يمكن أن نجد؟

نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً.

ذات يوم استمعت فتاة مسلمة ورعة إلى رسالة من إمام مشهور. بعد انتهاء الإمـام، سألته الفتاة: «أيها المعلم. عندما أقف في نور قداسة الله، أرى ذنوبي وعصياني. هل بإمكانك أن تخبرني، هل الله يحب المذنبين؟ هل الله يحبني، أنا المذنبة؟».

تفحص الإمام وجهها ولكنه لم يستطع أن يجيب. حسب فهمها فالله يحب فقط المتقين ولا يحب المذنبين.

في لحظات الظلمة عندما تنكشف أكثر أسرار القلب البشري عمقا وتمردا، كيف يكون رد الله؟ بكل دهشة نكتشف هذه الحقيقة:

«وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لِنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا».
(رومية ٥ : ٨)

الله لا يحبنا إلا بعد أن نحبه.

نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً.

(يوحنا الأولى ٤ : ١٩)

لو أن الله أحب فقط الناس المتقين، لا أحد قد يستحق حبه. لن يحب أحدا لأن لا أحد يستحق حبه. إنه يحبنا رحمة بنا. إذا أحب مذنبا فهذا يعني أنه يحبهم جميعا. هل يمكن أن يكون الاسم المائة هو المحبة؟

الفصل الثامن

السورة ٨: الأنفال

أي نوع من الحرب {السورة ٨}

هل للجهاد في سبيل الله أي علاقة مع الحياة اليوم؟ في زمن محمد كانت الحرب والعداوات جزءا من الحياة. عاش العديد من الناس بالسيف وماتوا به. يجب أن نفهم هذا قبل كل شيء. تتحدث السورة ٨ عن الحرب الفعلية بين المسلمين وغير المسلمين. تقول الآية ١٢:

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ.

لماذا كانوا يقاتلون؟ كان المشركون يمنعون المسلمين من دخول المسجد الحرام. بالإضافة إلى ذلك فقد جمعوا كل قواهم لمحاربتهم. تقول الآية ٥ بأن فريقاً من المؤمنين هم كارهون لهذه الحرب.

إلى أي مدى يمكن أن تتوسع الحرب؟ تقول التوراة بأن أبناء إبراهيم حاربوا فقط من أجل حماية أرض الميعاد. كانت الحرب محدودة في الزمان والمكان. عندما تستقر الأمور تنتهي الحرب. لم يعد الله أبناء إبراهيم بأن يسلمهم كل الأرض بل وعدهم جزءا صغيرا فقط. أمر سيدنا عيسى أتباعه في الإنجيل بأن يضعوا السلاح ويطيعوا حكامهم.

إن مفهوم الدولة لم يظهر إلا في مئات السنين الأخيرة. في زمن محمد حكم الملوك والأمراء أراضيهم. كانت لهم أحيانا حكومات معقدة كالصين وأحيانا لم يكن لهم ذلك. انهارت الإمبراطورية الرومانية في القرن السادس ولم يعد للناس ملوكا ولا حكومات. كان اليونانيون يعيشون متفرقين في الحوض البحر الأبيض المتوسط وكان العرب يعيشون متفرقين كذلك في الجزيرة العربية وقد كانوا يحاربون بعضهم البعض.

في ذلك العالم المقسم، جاء الإسلام بشريعة جديدة وأمة جديدة. لم يفكروا في أنفسهم كعرب مسلمين أو صينيين مسلمين بل فقط كمسلمين. كان مفروضا على الجميع إتباع محمد والخضوع للشريعة. ازداد عدد القبائل التي اعتنقت الإسلام حتى أصبح الناس من مختلف المناطق وبمختلف اللغات مسلمين.

كان المسلمون أحيانا يشعرون بالتهديد من غير المسلمين فكانوا يحاربونهم. مثلا في القرن الثامن حارب مسلمو شمال إفريقيا القوط في إسبانيا لأنهم كانوا يشكلون تهديدا وكانوا يضطهدون الناس في إسبانيا، وقد احتلوها في النهاية وأصبحت تابعة للمسلمين. كما أنهم حاولوا احتلال جنوب فرنسا في ٧٣٤ لأنهم أحسوا بأن غير المسلمين هناك يشكلون تهديدا لهم. بعد فشلهم في هزم شارل مارتيل دي تور، تراجعوا إلى اسبانيا وأسسوا دولتهم هناك.

في الجبهة الشرقية، انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية وضم أراضي كثيرة تحت حكم الأمة والخليفة في ١٠٧١، فقد البيزنطيون مانزيغرت لصالح السلاجقة الأتراك وبعد ذلك بمئتي سنة قامت الإمبراطورية العثمانية. قام السلطان الفاتح محمد بغزو القسطنطينية سنة ١٤٥٣ لأنه أحس بأن البيزنطيين مازالوا يشكلون تهديداً بعد ذلك انتشر الإسلام في جزء كبير من آسيا بما في ذلك الشرق الأقصى.

يقول العالِم الإسلامي: «الجهاد دائما لغاية دفاعية»، ويضيف متحمسا «كان المسيحيون على خطأ عندما قالوا بأن الدين الإسلامي انتشر بالسيف». استمعت إليه بكل اهتمام حتى أفهم وجهة نظره.

في مناقشتنا للجهاد كحرب ضد الظلم، كانت الفكرة هي أن المسلمين في هذه الحالة ليسوا بمعتدين. يُبرر القتال كدفاع عن النفس. تقول الآية ٣٩:-

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

يرى علماء الإسلام العالم مقسما إلى قسمين: دار الحرب ودار السلم. عندما نتأمل احتلال المسلمين لإسبانيا وبعد ذلك اسطنبول، نتساءل عن الكيفية التي يحدد بها خلفاء المسلمين ما يشكل تهديدا للإسلام. حسب الآية ٣٩، لا يجب أن ينتهي الجهاد في أرض الحرب حتى يصبح الدين كله لله ويتحقق العدل. هل هذا يعني بأن وجود حضارات أو حكومات لا تؤمن بالله تشكل تهديدا للإسلام؟ بتعبير آخر هل الإسلام هو دائما مهدد من طرف غير المؤمنين حتى لو أنهم لم يهاجموا المسلمين؟ هل عدم إيمانهم يعتبر سببا كافيا لمهاجمتهم وإخضاعهم للإسلام وشريعته. هل أحسن دفاع هو الهجوم؟

أدرك أن هذه الأسئلة قد تكون غير ملائمة. يبدو أن القليل من الناس هم من استبطنوا فكرة الجهاد ويعتقدوا بأنها تعني فقط أن تعيش أحسن. قد أتخيل شخصا يقول بان ما تقوله السورة ٨ لا ينطبق على العصر الحديث. ماذا يعني ذلك؟ إذا كان ما تقوله السورة عن الجهاد

لا ينطبق على العصر الحديث كيف لنا أن نعرف ما ينطبق مما لا ينطبق من القران على العصر الحديث.

أنا متأكد بأن أحدا سيقول لي بأنني لا أفهم. قد يكون هذا ممكنا وأقر بأنني أعرف حدودي. لكن هذه السورة ليست عصية على الفهم. ليس هناك تحديد للقتال في الزمان والمكان. بالنسبة للمسلمين في أي زمان، السؤال الحيوي الذي يجب أن يطرحه المسلم هو نوع العلاقة التي يجب على المسلمين إقامتها مع أراضي يسكنها غير المؤمنين.

الفصل التاسع

السورة ٩: التوبة

حكم العهود مع غير المؤمنين {السورة ٩: ١-٢٩}

يخبرنا التاريخ بأنه خلال حياته، شارك محمد على الأقل ٢٧ حملة عسكرية. تشمل المعارك المشهورة بدر وأحد والخندق لقد جرح مرة واحدة في معركة، لكنه نجا من الموت.

كان المسلمون يعقدون أحيانا معاهدات سلام مع غير المسلمين. يبين هذا المقطع بأن الاتفاقيات ليست دائمة وبأنه يجب احترامها في ظروف معينة.

تقول الآيات ٣-٥:-

وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

يجب أن نسأل أولا وكما فعلنا من قبل، إذا ما كانت السورة ٩ تعطي أوامر للأمة

الإسلامية في كل مكان وزمان. ليست الأمة الإسلامية بلدا أو عرقا من الناس. خلال حكم الرسول والخلفاء عقد المسلمون هدنة مع غير المسلمين.

تعتبر الآية ٥ الأمر الأكثر مباشرة في هذا المقطع. هل تعني محاربة المشركين؟ اليهود والنصارى أم فقط المشركين؟ ربما يعتبر اليهود والنصارى مشركين لأنهم اتُهموا بخلق شركاء لله. على أي حال توسع الآية ٢٩ من مجال القتال:-

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ

تختزل هذه الآيات في هذا السؤال الأساسي. إذا كانت هذه الآيات مازالت صالحة للتطبيق حتى اليوم، هل يأمر القرآن بالقتال الدفاعي أو الهجومي أو هما معا؟

أخذنا بعين الاعتبار نموذجي أسبانيا والأناضول. عندما ينتشر الإسلام في منطقة مجاورة، فإنه سيواجه المشركين من كل نوع. عندما يبلغ هؤلاء الناس المشركين برسالة الإسلام ويرفضون أن يقبلوه كدين، هل يشكلون تهديدا؟ أو إذا ما حاولوا منع المسلمين من إقامة صلواتهم ومساجدهم، هل هذا يشكل تهديدا؟

تصف الآية ٤ المشركين الذين حافظوا على عهدهم مع المسلمين. غير أن التحول من الآية ٤ إلى الآية ٥ يبين ما يحدث عندما ينتهي أجل العهد. هل يتوقع من المسلمين العمل مرة ثانية على نشر الدين؟

قد يجيب البعض بأن ذلك «جيد وصحيح، لكن القرن السابع كان مختلفا عن القرن الواحد والعشرين كل شيء هو متطور ومعقد الآن. لم يعد هناك ناس يركبون الجمال في الصحراء، ملفوفين في رداء لحماية أنفسهم من الرمال ويبحثون باستمرار عن الماء. نتوفر الآن على تكنولوجيا الجيل الرابع وزرع الأعضاء ونتحدث عن زيارة الفضاء. نحتاج إلى موقف متطور من هذه الكتابات القديمة».

يعتبر هذا صحيحا جزئياً فقد حقق العلم والتكنولوجيا تطوراً ملحوظاً لأن يعيش بعض الناس أطول وفي راحة أكثر من أي فترة في تاريخ البشرية لكن بالمقابل مازال بعض الناس يعيشون في الصحراء ويركبون الجمال ويبحثون دوما عن الماء كما فعل أجدادهم لآلاف السنين.

تغيرت التكنولوجيا وتغير العالم بالنسبة للكثير من الناس. لكن هل تغير القرآن؟ هل كان يعني شيئا للناس في القرن السابع ولم يعد يعنيه اليوم؟

زرت بعض المواقع الإلكترونية الإسلامية التي تتهم اليهود والمسيحيين باستعمال السورة ٩ للطعن في الإسلام. «الإسلام مسالم وغير عنيف أبدا. فقط أعداء الإسلام هم من ينشرون بأن المسلمين يمارسون العنف وهدفهم منع الناس من اعتناق الإسلام».

كنت أجالس قائدا إسلامياً قويا ذات ظهيرة، واستمعت إليه وهو يشرح وجهة نظره عن الإسلام. شرب القهوة وقال: «لو أن وسائل الإعلام في أمريكا قدمت الإسلام الصحيح للمشاهدين، كان كل البلد سيتحول إلى دين محمد في يوم واحد».

رغم أنني لا أنكر أن بعض الناس يطعنون أحيانا في الديانات الأخرى وينشرون الأكاذيب عن معتقدات مختلفة عن معتقداتهم، أحس بالحاجة إلى التفكير حول إمكانية السؤال عن السبب الذي يجعل العديد من الناس يرغبون في معرفة المعنى الحقيقي للحرب في الكتب السابقة وفي القرآن.

ماذا لو كان بعض الناس قلقين؟ ماذا لو كان بعض الناس خائفين؟ هل من العدل أن يقوم رجل صادق لنقول كندي مثلاً، بالنظر إلى مشاكل السودان وسوريا أو أفغانستان ويتساءل عما إذا كان الناس الذين يسكنون هناك يحسون بالقلق أو الخوف من اليهود أو المسيحيين الذين يضطهدونهم أو يهاجمونهم؟ يمكن أن يجد صديقا يهوديا ويسأله: «هل كتابكم المقدس يأمركم بمهاجمة غير اليهود وإخضاعهم؟

كتب ريتشارد دوكينز، أحد أشهر الملحدين في القرن ٢١ هذه الكلمات:

> يمكن القول بأن إله العهد القديم هو أبغض شخصية في كل الروايات: حسود ويفتخر بذلك، تافه، غير عادل، لا يرحم ويحب السيطرة، انتقامي، متعطش للدم ويحب التطهير العرقي، يكره النساء والمثليين، عنصري، يقتل الأطفال ويحب الإبادة الجماعية، وقتل الأبناء، مزعج، مهووس بجنون العظمة، يحب تعذيب الآخر والذات، ونزوته الحقد وإيذاء الآخرين. *

ماذا سيقول اليهود والمسيحيون للرد على دوكينز؟ سأقول: «أتفهم اهتماماتك، لكني لا أتفق مع الخلاصة. إن العنف الذي تراه في التوراة وكتب الأنبياء كان نتيجة لغضب الله العادل ضد الأشرار من البشر. إضافة إلى ذلك فالقصة لا تنتهي فقط بغضب الله بل بسيدنا عيسى المسيح الذي أثبت برغبته في المعاناة والموت على الصليب أن الله يحبُنا إذ انتصر على الموت برغبته فى الدخول إلى المعاناة. إن كلام سيدنا عيسى في الإنجيل يمنع تماما قيام إمبريالية مسيحية. كان تلاميذ سيدنا عيسى الأوائل رجال سلام. كلهم تقريبا ماتوا من أجل إيمانهم، ورغم ذلك سامحوا أعداءهم وقدموا الخير في مقابل الشر.

هل هناك مخطط في التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل لإساءة معاملة غير المسيحيين؟ هل يأمر الإنجيل المسيحيين بالقتال في سبيل المسيح؟ لا. أمَر المسيح أتباعه بترك أسلحتهم لأن

* Richard Dawkins, *The God Delusion*. Mariner Books; Reprint Edition, January 16, 2008.

مملكته هي روحية. ليس لدوكين والملحدين أي سبب للخوف من أن يهاجمهم المسيحيون.

ماذا سيظن غير المسلمون إذا ما قرأوا الآية ٢٩؟ هل يجب أن أخاف؟ هل سيُطلب مني أحدهم أن أؤدي الجزية؟ هل سيحاولون إخضاعي وقمعي؟

«لم يعرف العالم حرية دينية أكثر من تلك التي كانت تحت الحكم العثماني»، قال صديقي وهو يشير بيديه إلى الكنائس والمساجد التي تحيط بنا من كل مكان. «عاش اليهود والمسيحيون والمسلمون في سلم ومارسوا دياناتهم بحرية ودون خوف. ألم تزدهر الحضارة تحت الإسلام في حين أن أوروبا كانت تعيش في ظلام القرون الوسطى؟ الإسلام هو أكثر الديانات تسامحا».

يبين التاريخ كيف طبق القانون الإسلامي. كان بإمكان اليهود والمسيحيين العيش في المجتمع الإسلامي كذميين، أي كأقليات غير مسلمة. هذه لائحة نموذجية للشروط التي فرضت على غير المسلمين:

- ـ يجب على كل الرجال غير المسلمين أن يؤدوا الجزية إلى الدولة الإسلامية كتعبير عن خضوعهم للحكم الإسلامي. {عدد من الوثائق تقول بأنه كان عليهم أن يتعرضوا لنوع من الإهانة عند أدائهم الجزية كالضرب على القفا مثلا}. إذا كانوا يملكون أرضا، كان عليهم أن يؤدوا الخراج أيضا.
- ـ لم يكن بإمكان غير المسلمين الانخراط في الجيش لأن ذلك يعني مشاركتهم في الجهاد.
- ـ لم يكن مسموحا لليهود والمسيحيين بناء كنائس أو معابد أو إصلاح تلك التي توجد في مناطق مأهولة بالمسلمين.
- ـ لم يكن مسموحا لهم بعرض الصليب خارج الكنائس أو إقامة احتفالات دينية خارجها.
- ـلا يسمح لمساكنهم أن تكون أعلى من مساكن المسلمين.
- ـ يجب أن تكون ملابسهم مختلفة عن ملابس المسلمين.
- ـكانوا غالبا ما يحملون شارة تميزهم عن المسلمين وكان يطلب منهم أحيانا أن يحلقوا رؤوسهم.
- ـ لم يكن مسموحا لهم بركوب الخيل والبغال والحمير.
- ـ يجب عليهم أن يُظهروا الاحترام للمسلمين كأن يتركوا لهم مقاعدهم مثلا. {كولين شابمان، الصليب والهلال}*

مع انهيار الكنائس والإذلال وعدم المشاركة في الحكم، ألا يجعل هذا المجموعات اليهودية والمسيحية تضعف وتندثر تماما في نهاية الأمر؟

كانت الوضعية في الجزيرة العربية أكثر تشددا ولم يسمح لغير المسلمين أبدا بدخول

* Colin Chapman, Cross and Crescent, IVP Books; 2nd Edition, February 28, 2008.

مكة. نفذ عمر رغبة الرسول في إخلاء الجزيرة العربية من الديانتين وذلك بإصدار أمر لغير المسلمين بالمغادرة. لحد اليوم مازال حكم آل سعود يرفض أن توجد أي ديانة أخرى أن توجد بطريقة رسمية بالجزيرة.

إذا أخذنا بعين الاعتبار كل هذه المعلومات، كيف سيشعر مسيحي عندما يقرأ السورة ٩؟ كيف سيشعر أي إنسان عندما يجد نفسه بين اختيارين صعبين؟ إذا اختار الإنسان أن يعيش كذمي فهذا يعني الدونية والإذلال من طرف الطبقة الحاكمة. إذا اختار أن يكون مسلما فقط للهروب من أداء الجزية فهذا يعني دينا مزيفا، أي تغيير الاعتقاد من اجل غرض دنيوي.

قد يقول مسلم معاصر: «هذا مجرد كلام سخيف. أنتم تتكلمون عن الحياة في الأزمنة المظلمة. في القرن الواحد والعشرين نعيش في التنوير والديمقراطية. يكفي أن تكون إنسانا لا تفريق بين الناس على أساس الدين». يبدو هذا تقدميا لكن الآراء كالريش في مهب الرياح في حين أن كلمات الكتب القديمة هي كالصخور الكبيرة.

أقدم نسخ القرآن

لا أحد يتحصل على نسخة من القرآن كتبت من طرف الرسول نفسه و يعتقد أن جبرائيل قرأ القرآن على محمد الذي قام بدوره بإلقاء على أتباعه. وقاموا بدورهم بحفظ القرآن. وقاموا بعد ذلك بكتابته على مختلف المواد كالخشب والجلد. تقول كتب التاريخ بأن عثمان أمر بحرق كل نسخ القرآن إلا تلك التي أجازها رسميا. كانت هذه النسخة هي المعيار. تم تقريبا تدمير كل النسخ الأخرى.

ماذا وقع بعد ذلك؟ أنتج الخطاطون نسخا أكثر للقرآن. تُعرف النسخ الأولى بالخط الذي كتبت به كالخط الكوفي والحجازي. يستعمل الباحثون الخط للتعرف على تاريخ المخطوط.

توجد نسخة من أقدم نسخ القرآن في إسطنبول وأخرى في طشقند. يرجع تاريخ هذه النسخ التي كتبت على الجلد إلى القرن الثامن أو التاسع في سنة ٢٠١٥، تم اكتشاف نسخة أقدم، يرجع تاريخها إلى السنوات الأولى للإسلام.

توجد العشرات من النسخ الممكنة للقرآن. مازال يحتفظ بها وتتم دراستها. وجدت بعض الاختلافات بين النسخ ولا توجد نسخة فريدة للقرآن. في سنة ١٩٢٤، نشرت طبعة حفص المصرية للقرآن. {٦}

ما يثير الاهتمام هو أنه بمقارنة عدة نسخ قديمة للقرآن ببعضها البعض، خلص الباحثون المسلمون إلى نفس الفكرة التي توصل إليها المسيحيون فيما يخص الإنجيل. رغم وجود اختلافات فمازال الكتاب جديرا بالثقة. الله تكلف بحماية كلمته.

الآراء كالريش في مهب الرياح في حين أن كلمات الكتب القديمة هي كالصخور الكبيرة.

لماذا قتال اليهود والنصارى؟ {السورة ٩: ٣٠-٣١}

حتى الآن لم أجد أي شيء في القرآن يأمر المسلمين بالقتال دون قضية عادلة. الاعتقاد الذي يؤسس لهذا التصور هو أن الإسلام وحده هو من يقيم مجتمعاً عادلاً وديناً صحيحاً. يعلمنا القرآن بأن الإسلام وحده هو الذي يضع حداً للشر وللظلم {وأد البنات مثلاً} والدين المزيف مثل الشرك.

لكن لماذا يُتهم اليهود والنصارى بالشرك؟ تشرح الآية ٣٠ السبب:-

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ.

عندما قرأت هذه الآية لأول مرة أصبت بالدهشة. لأنني درست التوراة وكتب الأنبياء منذ سن الشباب، عرفت بأن اليهود المتقين توحيديون. {٧} لم يخطر على بالهم أن يعبدوا أحدا غير الله. على العكس من ذلك فقد يرجموا من يرتكب هذا الكفر حتى الموت.

يعطي الإنجيل أحسن توضيح لهذا الأمر. ذات يوم تكلم سيدنا عيسى عن نفسه للقادة اليهود. قال لهم قولا جريئا: «أنا والأب واحد». غضب اليهود لذلك وبدأوا يجمعون الحجر استعداداً لتنفيذ أمر ما. سألهم سيدنا عيسى: «على أي أفعال الخير التي قمت بها تجاهكم سترمونني بالحجر». قالوا له بأنهم سيرمونه بالحجر ليس بسبب أعمال الخير ولكن بسبب قول الكفر بأنه الله. بتعبير آخر كانوا يقولون له: «أفعالك حسنة لكن أقوالك سيئة».

بعد مئات السنين بعد سيدنا عيسى، يقول القرآن بأن اليهود كانوا يسمون عزير ابن الله لا نعرف كل شيء عن اليهود الذين كانوا يعيشون متفرقين في الجزيرة العربية في القرن السادس. من عَبَد عزير؟ لا نعرف. لكننا متأكدون من شيء وهو أنه لو اكتشف اليهود الآخرين أن بعضهم كانوا يعبدون عزير، فقد كانوا سيفعلون نفس الشيء الذي حاولوا فعله مع سيدنا عيسى. لا تسامح لدى اليهود مع الكفر، فهم يؤمنون بالله الواحد.

يدين اليهود والقرآن الكفر. لكن مسألة سيدنا عيسى مازالت بدون جواب. هل ارتكب المسيحيون فعل الكفر هذا؟ يتوقف هذا على فهم هوية سيدنا عيسى، وليس على آراء عنه. إذا لم يكن سيدنا عيسى مخلوقا آخر مغايرا للناس الآخرين، أي مخلوقا من تراب وبروح نفخها الله فيه، إذا فيكون المسيحيون قد ارتكبوا فعل الكفر. يمكن أن يسمي المسيحيون كذلك شجرا بأنه ابن الله وجبلا بأنه بنت الله. إذا كان شخص ما يعبد شيئا خلقه الله فهو مشرك وكافر. هناك فرق مطلق بين الله الأبدي والمخلوقات المؤقتة من حيث طبيعتهما الجوهرية.

مؤمنون مزيفون {السورة ٩: ٥٦}

خلال القرن الأول للإسلام، أمر القرآن المسلمين بالدخول في الحرب مع غير المسلمين. لكن

الحرب صعبة وخطيرة، الأمر الذي يدفع البعض إلى البقاء في منازلهم آمنين. يوبخ القرآن مثل هؤلاء الناس ويعتبرهم مؤمنين مزيفين: «وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ». مع مرور الوقت يظهر نفس السؤال، من هو المسلم الحقيقي؟ ما الذي يجعل المؤمن حقيقيا؟ الشهادة؟ تسميته بالمسلم؟ تبين الآية ٥٦ بأن حتى القسم لا يدل على أن الإيمان صادق. كم من المسلمين يعتبرون أنفسهم مسلمين ولكنهم قد يكونوا يخدعون أنفسهم ليس إلا.

ظهور عدو جديد {السورة ٩: ٧٣}

يعتبر القرآن المشركين وبعض اليهود والمسيحيين أعداء بسبب ظلمهم وكفرهم. تقدم الآية عدوا جديدا:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

من هم هؤلاء المنافقون؟ تقول ال آية ٧٤ أنهم كفروا بعد إيمانهم بالإسلام، تآمروا على الرسول وكذبوا عليه. فعلوا كل هذه الأشياء بعد أن تسلموا الغنائم من محمد. كما أنهم لم ينفقوا منها في أعمال الخير كما وعدوا.

ماذا سيحدث للمنافقين؟ تقول الآية ٧٤:-

يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

اتباع القائد {السورة ٩: ٨٦-٨٨}

تبين هذه الآيات بأن محمد كان قائدا عسكريا. أمر أتباعه بالجهاد والقتال بجانبه. كان بعضهم يعرفون أنهم سيواجهون مخاطر الجرح والموت، فوجدوا أعذارا لتفادي الذهاب إلى المعركة، وبقوا في منازلهم:

وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾

كان للمجروح والمريض والفقير الحق في البقاء بالمنزل وعدم القتال. أحيانا لم تكن هناك خيول تكفي الجميع، فكان بعض المقاتلين لا يشاركون في المعركة وكان هذا يسبب لهم خيبة أمل.

المساجد الزائفة {السورة ٩: ١٠٧-١١٠}

لم يكتف المنافقون برفض الذهاب للقتال والكذب والكفر، بل بنوا مساجد لتفريق المسلمين. تقول الآية ٩٧:-

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

نرى هنا أنه ليس كل الناس الذين يسمون أنفسهم مسلمين بمسلمين ولا كل المساجد تتشابه.

كزائر مسيحي يمشي في هذه الطريق، لست مؤهلا بأن أقول من هو المسلم الحقيقي. لدي أصدقاء سنة وأصدقاء شيعة. قال لي صديق سني مرة بأن المسلمين في شمال نيجيريا الذين يحبون بوكو حرام ليسوا بمسلمين. أفترض أنهم يعنون بأنهم لا يحاربون في سبيل الله ورسوله. سألته أين أستطيع أن أجد المسلمين الحقيقيين، قال لي بأنه يعتقد بأن بعضهم يوجد في عمق جبال الأناضول. أعاد ما يقوله هؤلاء الناس لكن هذا لا يهم.

تخبرنا السورة ٩ بأن هناك غير المسلمين مثل المشركين واليهود والمسيحيين والمسلمين الذين يكذبون ويرفضون القتال وهم المنافقون الذين يقْسمون بأنهم أسلموا لكنهم في الحقيقة لم يؤمنوا. في اعتقادي يبدو أن تحديد هوية مسيحي أو مشرك أسهل من معرفة المسلم الحقيقي من المنافق. على أي حال، ليست مهمتي أن أقرر في هذا الأمر.

من المثير للانتباه أن نلاحظ بأنه ليس كل المسلمين متشابهون في الإيمان، فكذلك المسيحيون. التقيت ببعض المسيحيين في أوروبا لم يقرأوا الإنجيل أبدا وليسوا متأكدين بأنهم يؤمنوا بوجود خالق. لقد ورثوا الدين عن آبائهم. لهم مباني وأعياد دينية وليس لهم إيمان شخصي يلبس بعضهم سلسلة ذهبية بصليب و بعضهم يرفع رأسه إلى السماء ويقولون: -

«شكرا سيدنا عيسى». لكن إذا سألته عن مكان ولادته، يحدق فيك فقط بدون أدنى لمسة تعبيرية. بالنسبة لهؤلاء الناس، أن تكون مسيحي تعني شرب الخمر وأكل لحم الخنزير والإعتراف لقسيس، حسب سيدنا عيسى ليست لهذه الأشياء القدرة على بعث الإنسان من الموت ومنحه الخلود.

مرة اشتكى تلاميذ سيدنا عيسى بأن عددا من الناس الذين يتبعونه هم منافقون. قال سيدنا عيسى بأن المؤمنين والمنافقين سيزدادون بالتساوي كما يتزايد الزرع والأعشاب الضارة في

الحقول لقد أمرهم بترك المنافقين لحالهم خوفا من ظلم بعض المؤمنين. سيميز الله في اليوم الآخر بين الزرع والأعشاب الضارة.

ما مدى لطف الله؟ {السورة ٩: ١١٣}

تَحْملنا رحلتنا الآن إلى موضوع حساس. هل هناك حد للطف الله؟

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ.

نقرأ في الآية ١١٤ بأن إبراهيم استغفر لأبيه المشرك. لكن عندما لم يتب ويصبح خليلا لله، تركه إبراهيم يواجه مصيره.

قبل أن نتكلم عن مدى لطف الله تجاه المذنبين، لنفكر أولا حول موضوع الدعاء. ماذا يحدث عندما يدعو الإنسان؟ يُفهم الدعاء على أنه ترتيل لكلمات أمام الله. الدعاء الاعتيادي له روتين ثابت. لا نرى إبراهيم يقرأ دعاء يحفظه بل يدعو الله بكل تلقائية ومن قلبه.

الآن السؤال الحساس متى يتوقف الله عن إظهار لطفه تجاه الناس المذنبين؟ تقول الآيتان ١١٣-١١٤ أن لطف الله يتوقف بعد أن يظهر جليا بأن الشخص من أهل النار. يعتقد بعض الناس بأن هذا يحدث بعد أن يموت الإنسان على كفر. ربما، لكن الآية تقول إن إبراهيم توقف عن الدعاء لأبيه وهو مازال حيا.

تعطينا الآية ٨٠ فهما أحسن. تقول:-

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

هل هذه الآية تتحدث عن دعاء الله ليغفر لأهل النار؟ كم مرة يجب أن ندعو الناس إلى الإسلام قبل أن نتركهم لمصيرهم؟ تقول الآية ٨٠ أن الاستغفار لهم ٧٠ مرة هو مضيعة للوقت لأن الله لن يغفر لهم.

يهزأ الناس أحيانا من أمل عودة سيدنا عيسى المسيح ثانية. حتى في الأيام الأولى من رسالته ظهر المستهزئون. لكن الله كانت له أسباب للتريث. يقول الإنجيل:-

لا يَتَبَاطِأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ.

(رسالة بطرس الثانية ٣: ٩)

عندما صلب الرومان سيدنا عيسى كانوا قد صلبوا معه سارقين، واحد عن يمينه وآخر عن شماله. في البداية كان الرجلان البائسان يسبان المسيح ويلعنانه و بدون شك سمعوا الكثير عن سيدنا عيسى من قبل فقد ملأت شهرته القدس ونواحيها.

كان وديعاً كالحمل ورغم ذلك قويا كالأسد، لكنه لم يرد على الشر بالشر وعفا عن مضطهديه وقتلته، وعندما رأوا السيد المسيح يعبر عن حب إلهي في الوقت الذي كان فيه يعانون ويتألمون، بدأ أحد السارقين أن يلطف من كلامه لقد أدرك كم هو سخيف، في الأخر عندما أصبح ضعيفاً لفقدانه الدم وبسبب الإنهاك، قال الرجل للمسيح:-

ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ».
(لوقا ٢٣: ٤٢-٤٣)

يعلمنا مثل سيدنا عيسى بأن رحمة الله ولطفه تنتظران حتى آخر لحظة، إلى آخر نفس. يحاول الوصول إلى المذنب مراراً وتكراراً ليدعوه إلى البيت.

الفصل العاشر

السورة ١٠: يونس

الطريق المستقيم {السورة ١٠ :٢٥}

تقدم سورة يونس تحذيرات ووعود أكثر. بعض الناس يؤمنون ويفعلون الخير وآخرون يكفرون ولا يؤمنون باليوم الآخر. تقول الآية ٨ بأن حسابهم سيكون عسيرا وأن مأواهم النار.

كل الناس، الخير والشرير، يبحثون عن شيء ما. كل الناس تبحث عن شيء ما قد يكون خبزا أو ماء وقد يبحث آخرون عن الحب والحنان، وآخرون عن السلطة والمال يبحث بعض الناس بجدية عن طرق إرضاء الله حتى يتجنبوا النار ويدخلوا الجنة.

يحمل هذا البحث الناس إلى طرق مختلفة، لا تؤدي إلى نفس المكان. تتحدث الآية ٢٥ عن الطريق المستقيم:-

«وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

لا يلتوي الخط المستقيم يمينا أو يسارا ويعني العدل والخير وذلك لا يتأثر بالصعوبة أو الترف فا يجب على الإنسان الذي يسير في الطريق المستقيم أن يتخلى عن التحيز والأنانية.

تؤدي الطرق إلى مكان ما لها وجهة ما بالتأكيد. ذات مساء استمع التلاميذ لسيدنا عيسى وهو يشرح لهم عن الحياة الأخرى و قال لهم بأنه سيغادرهم بالجسد ولكنه سيبني لهم بيتا في السماء وسيعود ليأخذهم إليه. يعلمنا الإنجيل بأن السماء هي بيت الله. إنها كمدينة عجيبة مليئة بحضور الله. في حضور الله سيستمتع الناس بشكره وعبادته للأبد.

سأل توما، أحد أصدقاء سيدنا عيسى الذين يحبون رؤية الحقائق:-

قال له توما: -

يا سيد، لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق.

قال له يسوع: -

«أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي. ٧لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ».
(يوحنا ١٤ : ٥-٧)

قال سيدنا عيسى أشياء فريدة عن نفسه:-

«أنا نور هذا العالم»، «أنا الباب»، «أنا الراعي الصالح»، «أنا البعث وأنا الحياة»، «أنا الكرمة الحقيقية»، «أنا الطريق».

أُدرك بأن الآية ٢٥ تتحدث عن الطريق المستقيم. لكل إنسان طريقة حياة. لكن ليست كل الطرق متساوية. هناك طريقان في عالم اليوم، الأولى لها مدخل كبير وطريق واسع وسوف يأخذ هذا الطريق الكثير من الناس لكنهه يؤدي إلى الهلاك أما الطريق الثاني له مدخل صغير وطريق ضيق و يسافر القليل عبر هذا الطريق لكنه يؤدي إلى الحياة.

كتب الأنبياء {السورة ١٠: ٣٧-٤٠}

تحدى محمد الناس الذين اتهموه بزيف النبوة. تقول الآية ٣٨:-

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

كان دفاع محمد عن نبوءته هو أنه لا يمكن لبشر خلق آية واحدة تشبه آيات القرآن. بين لهم بأن القرآن معجزة في حد ذاته. تقول الآية ٣٧:-

«وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

لا أريد أن أناقش هنا إذا ما كان القرآن معجزة أم لا، ولكن أريد أن أقراه بتمعن والاستماع إلى ما يقول.

لأنني عشت في عدة دول فأنا أعرف عدة ديانات أخرى في آسيا الوسطى يحترم جيراني

المسلمون رجلا مشهورا بإمكانه ملأ ملعب ٢٠٠٠٠ شخص. يعتقد أتباعه بأنه يشفي الأمراض وأن كلماته تهب الحياة لكن لم يكونوا يسمونه نبيا لكنهم يعتقدون بأنه رجل غير عادي أرسله الله إليهم.

في سنة ١٨٣٠، نشر جوزيف سميث من نيويورك كتابا عنوانه كتاب المورمون. علم أتباعه بأن الكتاب المقدس محرف وأن ملاكا اسمه موروني قاده إلى بعض الألواح الذهبية التي تحتوي وحيا جديدا من الله. رفض العديد من الناس رسالته لكن أتباعه تزايدوا والتحقوا به فيما يشبه هجرة إلى أرض قرب بحيرة كريت سالت Great Salt Lake في أمريكا. يتبع اليوم ملايين من الناس حول العالم تعاليم جوزيف سميث وكتابه.

مباشرة بعد تخرجي من الجامعة، توصلت برسالة بها نسخة من كتاب عنوانه كتاب أورانتيا. يدعي موقعهم الإلكتروني بأن هذا الكتاب يقدم لنا أصل وتاريخ ومصير البشرية. *

«لماذا سأحتاج لمعرفة ما يقول هذا الكتاب؟ ألم يقل الكتاب المقدس كل شيء حول هذه المواضيع؟».

في سنة ١٨٧٩ تأسست مجموعة سرية دينية في شمال أمريكا تسمي نفسها شهود الله {يهوه}. أصبح عددهم الآن يعد بالملايين. لم ينشروا كتابا كما فعل جوزيف سميث، لكن مجموعة من الكتاب والمحررين قاموا بمراجعة نقدية للكتاب المقدس. سموا هذه النسخة المعدلة ترجمة العالم الجديدة. عندما يقول لي أصدقائي المسلمون بأن الكتب السابقة محرفة فهم على حق إذا كانوا فعلا يحيلون على هذه النسخة المعدلة. تخيل أن مسيحيا قام بطبع ترجمته الخاصة للقرآن مع إضافة تعديلات. ما أسهل القيام بنشر كتب مزيفة فقد أصبحت أسهل من تزوير العملات.

إذا ما قمنا بجولة حول العالم سنرى أن للهندوس كتابا مقدسا يسمونه فيدس (वेद)، والبوذيون يقرؤون كتابا يسمى تريبيتاكا (त्रिपिटक) ويتبعون بوذا الذي يعتبرونه المتنور أو المتيقظ وكانت كتب الهندوس والبوذيين قبل القرآن.

مئات السنين بعد نزول القرآن، أسس جورو ناناك الديانة السيخية الجديدة في الهند، والتي هي خليط من الإسلام والهندوسية فقد ذهب البهائيون أبعد من السيخ في العمل على إسعاد الناس، فهم يعتقدون أن هناك عدة تجليات لله. يعتقدون أن باب وبهاء الله جاءوا بعد محمد.

يقول الباب:-

«أنتم الذين كانوا أول من آمن بي، أقول لكم بكل صدق أنا هو الباب، باب الله». **

---

* "A Brief Description of The Urantia Book", https://www.urantia.org/urantiabook, accessed February 2018.

** "The coming of Báb", BBC, http://www.bbc.co.uk/religion/religions/bahai/history/bab_1.shtml, accessed February 2018.

فقد اعتبروه المسلمون كافراً وأعدموه في ٩ يوليوز ١٨٥٠. وتم كذلك سجن أتباعه وإعدامهم

ليس لدي مجال كافي للحديث عن كل الديانات في كل مكان وفي كل زمان يوجد ناس يدعون النبوة وكتابة أو تلقي كتب مقدسة. أحيانا يبدو الأمر مربكا جدا.

ذات مرة زرت أنا وزوجتي القدس لنرى المكان الذي عاش فيه أبناء إبراهيم والمسيح. القدس اليوم هي مدينة مليئة بالضجيج والحركة بها أحياء قديمة وأجزاء أخرى متطورة جدا. مشينا في شارع ضيق في الجناح المسلم من المدينة. خرج بعض الأطفال لمقابلتنا. كان يبدو لهم بأننا سواح وتصرفوا بحذر تجاهنا. كان شارعهم جميلا وبه أقواس قديمة وجدران بلون العسل. ابتسمنا لهم وقلنا لهم بالعربية «السلام عليكم». وقفوا فجأة وردوا الابتسامة. ذهبنا أسفل الجبل للمسجد الأقصى وتفحصنا أسس المعبد الذي بناه الملك سليمان.

رجعنا إلى باب يافا حيث يوجد نُزلنا. لكن كنا قبل ذلك قد وقفنا في مكان دفن سيدنا عيسى. كانت الساحة الحجرية كئيبة.

هل كان ذلك القبر هو القبر الحقيقي حيث وضع أصدقاء سيدنا عيسى جسده الميت أم دفنوه في مكان آخر؟ لا أدري. لكنني متأكد من شيء وهو ألا أحد وجد جسده لحد الآن. وكما سأل الملاك أصدقاءه في صباح اليوم الثالث:-

«لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟»

(لوقا ٢٤: ٥)

أعطنا دليلا. الكل يريد الدليل. لا أحد يصدق بدون دليل. نحتاج إلى الثقة. لم يكن القادة مختلفين عنا عندما طلبوا الدليل من سيدنا عيسى. قالوا له: «أعطنا إشارة». أجابهم المسيح:

لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ.

(متى ١٢: ٤٠)

الدليل النهائي. شاهدت على الإنترنت ألعابا سحرية حيث يعمد بعض السحرة إلى استعمال الوهم ويبدو أنهم يتحدون قواعد الفيزياء. رغم أنني أعرف أن ذلك مجرد وهم فأنا لا أستطيع كذلك تكذيب ما تراه عيناي من خرق للمألوف. رغم ذلك فهي تبقى مجرد ألاعيب يفندها الفحص العلمي.

بعض الناس يتهمون سيدنا عيسى بممارسة السحر. قال لهم بأن أهم إشارة والإشارة الوحيدة التي تقدم نفسها كدليل هي قيامه من القبر. إذا استطاع أحد أن يوهم الناس بأنه مات

ودفن لثلاثة أيام ثم قام بعد ذلك من قبره فسيكون أعظم ساحر في الوجود. بعد أن أزاحوا الحجر عن قبره، رآه تلامذته حيا. بحث القادة اليهود بطريقة محمومة عن جسده المفقود. لو أنهم وجدوا جسده فلن نتحدث عنه بهذه الطريقة. بحث الناس عن عظام سيدنا عيسى ليسكتوا الإنجيل. قيام سيدنا عيسى من القبر هو معجزة تثبت رسالته.

لا نعرف حقا كيف كان نطق كلمات القرآن عندما رتلها محمد أول مرة. لم تكن النسخ الأولى للقرآن تحمل شكلاً ولا تنقيطاً وبدونهما يمكن نطق الكلمات بطرق مختلفة. يعطي النطق المختلف كلمة ومعنى مختلفين. بعد مرور قرون على بعثة محمد أضاف العلماء الشكل والتنقيط للقرآن، وكان عليهم أن يخمنوا النطق الصحيح لأنه لم يكن لديهم تسجيلا للطريقة التي نطق بها محمد الكلمات.

مادام لا أحد يعرف كيف نطق محمد الكلمات، فقد اعتمد المسلمون تقليديا على التفسير بدون تفسير، تبقى أجزاء من القرآن عصية على الفهم. يجعل هذا الأمر التعليق على نطق القرآن ومعناه أكثر صعوبة.

يحملنا هذا إلى سؤال أكثر عمقا. هل تعني الآية ٣٨ أن نطق الكلمات هو الذي يجعل القرآن معجزا {مثل الشعر مثلا حيث الوزن والقافية} أو أن المعنى هو المعجز أو هما معا؟ أظن أن الناس تعتقد أنهما معجزان معا. يقودنا هذا إلى موضوع أن مليار مسلم تستطيع الاستماع للقرآن دون أن تفهم كلماته. إذا الصوت والمعنى غير مرتبطان بالنسبة للعديد من المسلمين.

عشت في قبرص لبعض الوقت في منزل في حي أسفل كنيسة أرثوذوكسية يونانية. تفاجأت ذات يوم عندما سمعت القس يردد أناشيد بمكبر صوت باللغة اليونانية القديمة. أظن أنه كان يردد آيات من الإنجيل، لكنني لست متأكدا من ذلك. على أي حال، اعترف لي جيراني اليونانيون بأنهم لم يفهموا هم أيضا ما يردده القس. كانوا يسمعون الكلمات التي كانوا يعتبرونها جميلة دون فهم الرسالة.

مر الكاثوليك الرومان بنفس الوضعية ولمئات السنين. كان القساوسة يتكلمون باللاتينية، من يستطيع فهمهم؟ ليسوا طبعاً الناس العاديون. كانت الكلمات تبدو لهم عالية مؤثرة وروحانية لكنها لا تؤثر في حياتهم اليومية.

لم تكن أبدا غاية الله أن تستعمل اللغة بطريقة غير مفهومة ليوصل حبه للناس. عندما جاء روح الله مثل ألسنة من نار عند تلاميذ المسيح، بدأوا يتكلمون لغات لم يتعلموها من قبل. قال الزوار الذين سمعوهم في القدس: «نسمعهم يتكلمون بلغاتنا». هناك اليوم ٢٠٠٠٠ لغة في العالم والله يعرفها جميعا.

سفينة نوح {السورة ١٠: ٧٣}

انتشر الشر كالوباء في الأرض بعد آدم، بسبب بذرة الذنب التي تنمو عميقا في القلب كان

بإمكان الله تدمير كل شيء، لكنه أبدى رحمته بالناس وذلك بإنقاذ سفينة نوح:-

كَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ

كانت لحظة مظلمة في تاريخ البشرية لكن الله أعاد بصيص الأمل.

إن حكاية نوح، مثل الكثير من الحكايات في التوراة، هي صورة لخلاص الله الموعود عن طريق المسيح. لا أحد يستمتع بسفينة مثل الأطفال. يمكنهم أن يلعبوا لساعات بلعبة على شكل سفينة. قد يلعبوا بإدخال الحيوانات بأنواعها بالسفينة. تمثل السفينة الأمل وسط الخراب.

كما حملت السفينة ثماني أشخاص إلى بر الأمان وأنقذتهم من الطوفان، وعد المسيح أتباعه بحملهم معه بكل أمان عبر القبر كما وضع نوح وعائلته حياتهم في السفينة، آمن تلاميذ سيدنا عيسى بقيام سيدنا عيسى من القبر قد نجت السفينة من الغرق ونجا نوح وعائلته وكذلك نجا سيدنا عيسى من الموت ومن القبر، وهذا ما سيحدث لتلاميذه المخلصين، القيامة هي الإشارة.

اسأل أهل الكتاب {السورة ١٠: ٩٤}

مرة أخرى يؤكد القرآن صحة الكتب السابقة. يقول القرآن أنه يجب على أي أحد له شك بالله أن يطلب مساعدة اليهود والنصارى الذين قرأوا الكتب السابقة. تقول السورة (الآية) ٩٤:-

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ

الفصل الحادي عشر

السورة ١١: هود

إذا كنتم لا زلتم تقرؤون هذا الكتاب، وأتمنى ذلك، فإننا نكون قد قرأنا الكثير. سيبدأ طول السور تدريجيا بالتقلص حتى السورة ١١٤ في آخر الكتاب. لا يمكنني التعليق على أي شيء أقرأه، غير أني أريد أن أعبر عن رأيي تجاه بعض الأفكار الخاصة التي ألاحظها خلال رحلة القراءة هذه.

ما هو الفضل {السورة ١١: ٣}

صادفنا كلمة «اللطف» عدة مرات. تترجم الكلمة العربية «الفضل» أحيانا بفضيلة وأحيانا باللطف. نقرأ في الآية ٣ بأن الفضل يؤتى من يظهره في سلوكه. يستعمل الإنجيل كلمة كاريس (χάρις) و اغابي (α'γάπη) للتعبير عن فكرة اللطف.

يختلف الفضل الحقيقي عن المكافأة. ليس الفضل الحقيقي مجرد فعل رحمة، عندما يمنع العقاب. الفضل الحقيقي هو إظهار المحبة والبركة على شخص غير مستحق لهما تماما.

باكرا ذات صباح ذهب صاحب حقل عنب إلى المدينة ليستأجر بعض العمال قبلوا العمل مقابل أجر بعد ذلك ذهب مرة أخرى واستأجر آخرين ذلك الصباح ثم فعل نفس الشيء بعد الظهر. حين حان الغروب، جاء العمال عند صاحب الحقل ليقبضوا أجرهم. غير أنه سلمهم جميعا نفس الأجر.

احتج العمال الذين استأجِروا في الأول: «ما ذا نفعل؟ نحن اشتغلنا أكثر. العمال الآخرون اشتغلوا فقط بضع ساعات».

«أنا لست غير عادل تجاهكم. خذوا أجركم واذهبوا لحالكم. أريد أن أعطي نفس الأجر الذي منحتكم إياه لمن استأجرته في الآخر. أليس لدي الحق في أن أفعل ما أشاء بمالي. هل تشعرون بالحسد لأنني كريم».

(متى ٢٠: ١-١٦)

ذات يوم تكلمت معي أختي حول هذه القصة: «كنت أحتج بأن هذا غير عادل كيف يمكن لصاحب الحقل أن يؤدي نفس الأجر للجميع؟ غير أني أدركت بعد ذلك أن الأمر يتعلق بالفضل. إنها هبة، أعطيت بحرية وقُبلت بحرية أيضا».

يملك الله حقل عنب وكل الأرض حقله. يضع الله الناس في هذا الحقل للعمل. يحاول البعض أن يعمل أحسن من الآخرين، لكن لا أحد يقدر أن يشتغل كما يشتغل صاحب الحقل. أي شيء يعطيه الله لنا هو أكثر مما نستحق.

ضحكة سارة {السورة ١١: ٧١}

دخل الخلاف إلى حياة إبراهيم بسبب قراراته السيئة. وعده الله بأبن وأن الخلاص سيشمل كل الأمم من خلال ذريته.

كانت هاجر أَمَة وكانت سارة حرة وزوجة لإبراهيم. تفسير الآية ٧١ إلى قصة في التوراة حين جاء ضيوف لخيمة إبراهيم لتناول الطعام معه.

سأل الرب إبراهيم: «أين سارة؟».

قال إبراهيم: «إنها داخل الخيمة».

وعده الرب أن سارة ستصبح حاملا وتلد ولدا. ضحكت سارة داخل الخيمة. كيف لهذا أن يكون وهي وإبراهيم قد طعنا في السن.

تؤكد الأنساب بأن سيدنا عيسى هو بذرة الخلاص يتعقبون أثرا خطوة خطوة من سيدنا عيسى إلى داود وإسحاق وإبراهيم.

بعد ذلك سألها الضيوف عن سبب ضحكها. لأنها شعرت بالخوف فقد أنكرت. لكن الله قال: «لقد ضحكت فعلا». شهورا بعد ذلك أعطى لهما ابن سموه إسحاق كما أمرهما الله، وهذا الاسم يعني «ضحك». كان إسحاق إبن للعهد من خلاله وعبره سيشمل الخلاص العالم.

تسجل التوراة والإنجيل بكل عناية عدة فروع للأنساب من آدم وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وداود حتى سيدنا عيسى. اللوائح طويلة ومفصلة.

لماذا؟ لماذا كل هذا العناء؟ تؤكد الأنساب بأن سيدنا عيسى هو بذرة الخلاص يتعقبون أثرا خطوة خطوة من سيدنا عيسى إلى داود وإسحاق وإبراهيم.

عندما ضحكت من فكرة الولد، لم تكن لتتخيل السعادة التي قد يمنحها الله للناس عبر فضله في سيدنا عيسى المسيح.

الفصل الثاني عشر
السورة ١٢: يوسف

قصص للعبرة {السورة ١٢}

يشترك القرآن مع التوراة والإنجيل في سرده لعدة قصص فا تقول الآية ١١١ بأن هذه القصص هي عبرة لأولي الألباب، سأناقش هذا الأمر.

تحكي السورة ١٢ إحدى أطول قصص القرآن. تم بيع يوسف إبن يعقوب كعبد في مصر بعد أن رماه إخوته في البئر وأنقذه تجار من مصر، وحاولت امرأة العزيز مراودته عن نفسها، وسجن لبضع سنين ثم أصبح حاكما لمصر في بلاط فرعون. سنين بعد ذلك ضربت المجاعة مصر مما دفع إخوته الذين كانوا يعانون من الجوع إلى السفر لمصر للبحث عن الأكل. لم يكونوا يعرفوا أن الله رفع من شأن يوسف. تصالح يوسف مع إخوته وجلبهم وأبوه للعيش معه في مصر.

يمكننا أن نكتشف العديد من التفاصيل عن قصة يوسف في التوراة. أعطى يعقوب يوسف لباساً جميلاً ومتعدد الألوان فا أحس إخوته بالغيرة بسبب ذلك اللباس وبسبب الحلم الذي رأى فيه يوسف بأن إخوته سيسجدون له وفى ذات يوم أرسل يعقوب يوسف ليتفقد إخوته والقطيع في الصحراء فا استغل إخوته الفرصة وتآمروا على قتله، لكن أخوه الأكبر رأوبين تدخل آملاً أن ينقذه حباً في أبيه أيضاً يهوذا أخ آخر اقترح بيع يوسف مقابل الفضة عوض عن قتل يوسف فا رموه في بئر وانتظروا.

رجع أخوه رأوبين للبئر متأخرا، فقد باعه إخوته لبعض التجار و عندما أصبح في مصر، اشتغل في منزل أحد موظفي الدولة الكبار اسمه فوطيفار و ظهرت نتائج عمله سريعاً بحسن إدارته لمنزله فكانت زوجة فوطيفار معجبة بمهاراته وعشقته أيضاً. وحاولت مراودته لكنه رفض، أخبرت الزوجة زوجها الذي صدق كذبها وسجنه.

عانى لسنين في ظلام السجن. ذات يوم فسر حلم رجلين، ساقي للخمر وخباز، كانا معه

في السجن تفسيرا صحيحا. للأسف نسي الرجل الذي أطلق سراحه يوسف لوقت طويل بعد ذلك.

أزعج حلمُ فرعون فطلب تفسيراً لحلمه. تذكر ساقي الخمر يوسف الذي كان ما يزال قابعا في السجن، فنصح فرعون بطلب مساعدته.

في قاعة العرش الكبيرة قال يوسف لفرعون بأن البقرات السمان والعجاف هم تحذير بأن مجاعة ستضرب مصر. تركت حكمة يوسف أثراً عميقاً على فرعون فعينه في مركز عالي بأرض مصر.

عندما قضى الجفاف على كل شيء، كانت لمصر وحدها مخازن للحبوب مكنتها من النجاة. جاء إخوة موسى بحثا عن المساعدة.

عندما تصالح يوسف مع أخواته بكى و كان إخوانه يخشون أن يعاقبهم بشدة، لكن غير أنه عاملهم برحمة وقال:

أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا.

(التكوين ٥٠: ٢٠)

كانت حياة يوسف، مثل سفينة نوح، صورة لشخص عظيم. تبين لنا الصورة إنسانا محبوبا على نحو خاص من طرف أبيه، يلبس لباس الشرف الفريد، تعرض للخيانة من طرف إخوته، وبيع مقابل الفضة، ودفن في سجن مظلم وبعد ذلك رفع إلى مكانة عليا في الأرض، تصالح مع أعدائه وقدم الخلاص للعديد من الناس أنه فعلاً إنسان رائع.

الفصل الثالث عشر

السورة ١٣: الرعد

في البداية {السورة ١٣: ١٦}

لم يستطع آينشتاين، الفيزيائي العظيم، أن يصدق أذنيه. صرح عالم آخر اسمه هابل أنه كان ينظر من خلال منظاره ووجد دليلا على أن الكون يتسع. اعتقد آينشتاين وعلماء آخرون في القرن ٢٠ بأن العالم أبدي. فجأة قدم هابل الدليل على أن العالم له بداية. لو كان للعالم بداية، ماذا كان يوجد قبله؟

باستعمالهم لآلات متطورة جدا، تمكن العلماء من معرفة أن العالم به ١٠٠ مليار مجرة، و٧٠ مليار تريليون نجم. يوجد بين هذه النجوم التي لا تعد فضاء يقاس بمليارات من السنوات الضوئية. يقولون إنه لو كان بإمكاننا إرجاع الزمن ١٣ مليار سنة، كل هذه النجوم ستكون أقرب إلى بعضها البعض. في وقت ما في الماضي كان كل شيء مركز في كتلة صغيرة. اشتعلت، مثل النار، وانتشرت لتشكل العالم الذي نعرفه اليوم.

كيف بدأت النار؟ وكيف تطورت؟ هذا هو السؤال الذي طرحه الناس على أنفسهم منذ بداية الإنسانية. لم يكن هناك شيء على الإطلاق، أو كان هناك شيء ما، أو ربما الصدفة، أو ربما شخص ما.

تواجه التوراة هذا السؤال بلا خجل:-

فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.

(التكوين ١:١)

كتب سليمان:

«الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الأَرْضَ. أَثْبَتَ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ.»
(أمثال ٣ : ١٩)

الْجَالِسُ عَلَى كُرَةِ الأَرْضِ وَسُكَّانُهَا كَالْجَنَادِبِ. الَّذِي يَنْشُرُ السَّمَاوَاتِ كَسَرَادِقٍ، وَيَبْسُطُهَا كَخَيْمَةٍ لِلسَّكَنِ.
(إِشَعْيَاءَ ٤٠: ٢٢)

تقول الآية ١٦ {السورة ١٣}:-

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

يتفق القرآن والتوراة على أن هناك خالق واحد. لا توجد أي آلهة مزيفة وبالتالي فهم لا يخلقون شيئا.

الله روح وليس له جسد، ما ذا يعني أن الله أسس العالم بالحكمة وبيده؟ لنفكر فيما قاله الإنجيل بأن الله خلق العالم بكلمته دعنا لنقدم حلا لهذا اللغز، كيف يصنع الفنان نحتاً ؟ تبدأ الفكرة في عقله ثم يعبر عنها بيديه الموهوبتين وذلك أيضاً لقد خلق الفنان الأعظم الله الخالق بكلمته خلق كل شيء، في السماء وفوق الأرض.

ربما يكون التوحيد أهم فكرة في الإسلام و تعني أن الله واحد ووحيد و للناس أفكار متعددة حول التوحيد، في علاقة بهذا الموضوع، يسأل الناس: هل القرآن محدث أم أزلي؟ إذا كان أزليا، ما الذي يجعله مختلفا عن الله؟ ألا يقوض هذا فكرة التوحيد؟ كيف يمكن لأي شيء آخر غير الله أن يكون غير مخلوق؟ لا يمكن التكلم عن التوحيد وعن قرآن أزلي وغير محدث.

على أي حال، يعلمنا الدين الحق بأن الله الواحد هو الوحيد الذي خلق العالم عبر كلمته. الكلمة هي مع الله والكلمة هي الله. أن تفكر في غير ذلك يساوي القول بأن الإنسان يمكن أن يعيش بدون روح. الروح هي مع الإنسان والإنسان هو الروح. الكلمة هي واحدة، مدمجة كليا في وحدة تامة.

لهذا يقول الإنجيل:-

«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ

فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.»
(يوحنا ١ : ١-٣).

ليست الكلمة شريكا أو مساعدا لله. الكلمة لا تخلق عالما بديلا. لا تدخل الكلمة في تنافس مع الله. تجلب الكلمة الأزلية، عبر الخلق، المجد للخالق. يتفق المسيحيون بأن من يقول بأن إلها غير الله له القدرة على الخلق هو في ظلمة الكفر.

مزيدا من الأحكام {السورة ١٣}

يتناول ما تبقى من سورة الرعد موضوع الأجر الذي يخص به الله أتباع محمد والعقاب والنار التي ستكون من نصيب من كفر به. كما رأينا في آيات أخرى فمحمد يستعمل القرآن كدليل على نبوته. كلما كان الكفار ينتقدون رسالته أو يضعونها موضع تساؤل، كان يبين لهم بأن كلامه هو أحسن من أي كلام آخر. التحذيرات بالجزاء واللعن والعقاب هي غامضة من حيث أننا لا نعرف إذا ما كان الكفار سيعاقبون في الدنيا أو الآخرة أو فيهما معا. هل ترعب هذه التحذيرات الكفار؟ هل أسلم بعضهم لتجنب العذاب في نار جهنم؟

الفصل الرابع عشر

السورة ١٤: إبراهيم

رسول يتكلم العربية {السورة ١٤: ٤}

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ولد محمد كعربي في قبيلة قريش وكان يتكلم العربية التي كانت تستعمل هناك ألف سنة قبل ميلاده. استقر العرب في الجزيرة العربية وعاشوا كرحل وتجار. كانت الحياة صعبة في الصحراء بدون مطر ولا عشب.

ترجعنا الآية ٤ إلى السؤال حول أصل القرآن. إذا كان محمد قد استعمل العربية التي كانت في القرن السابع، أي لغة قومه، كيف تكون إذن لغة إلهية؟ تطورت اللغة العربية خلال مئات السنين. بالإضافة إلى ذلك فالقرآن ليس كله عربية خالصة. يتضمن كلمات أجنبية مستعارة من اللغة الإثيوبية، واليونانية والآرامية والسريانية ولغات أخرى.

تقول الآية بأن القرآن أرسل بالعربية إلى العرب حتى يفهموه بوضوح. هل كان هذا الاختيار بسبب أنهم لم يكونوا قادرين على قراءة التوراة بالعبرية والإنجيل باليونانية؟ لكن ماذا عن غير العرب؟ كيف يمكنهم فهم القرآن؟

هل يجب على كل الإنسانية تعلم اللغة العربية جيدا؟ حتى لو تعلم كل الناس العربية، فالقرآن كتب بلغة عربية قديمة؟ أي لهجة عربية سنتعلم؟. توجد اليوم ثلاثون لهجة عربية، بالإضافة إلى التنويعات المحلية. عندما سمع عرب القرن السابع محمدا فهموا بالضبط ما قاله لهم. هل يمكن لعربي الآن أن يفهم ما قاله محمد لو أن بإمكانه الرجوع إلى ذلك الزمان والاستماع إليه؟

عندما يستمع الشباب اليوم إلى أغاني البوب فإنهم يفهمون لغتها جيدا. لكن هل يمكن لشباب عاشوا منذ ألف سنة أن يفهموا هذه الأغاني التي تكتب الآن؟

تقول الآية ٤ أن القرآن أرسل بالعربية لأهل مكة والمدينة حتى يكون واضحا لهم. مهما كان وضوح لغة القرآن بالنسبة للمسلمين الأوائل، سيفقد حتما هذا الوضوح بعد ١٤٠٠ سنة لهذا فالناس يعتمدون كثيرا على كتب التفسير والشيوخ والأئمة لفهم القرآن. يقول صديقي المسلم: «هذا صحيح لكن المسيحيون لهم نفس المشكلة كتب الإنجيل باللغة اليونانية القديمة. ألا تعتمدون على التأويلات والترجمات؟».

نعم ولا أيضاً لقد ترجم الإنجيل إلى لغات أكثر من أي كتاب آخر. نعتقد أن أي ترجمة إذا ما تمت بدقة حسب النص الأصلي، فإنها قادرة على إيصال كلمة الله إلى القارئ بكل اللغات. نعتقد كذلك بان روح الله ترشد الأفراد وتعلم دون تأويل أو شرح.

الجوهر الحقيقي للإنسانية {السورة ١٤: ٣٤}

هل الإنسان خير أم شرير أو هما معاً في الجوهر؟ في الحقيقة يستسلم الإنسان للظلم ونكران الجميل. في الآية ٢٢ يشير الشيطان إلى مسؤولية الإنسان عن الذنب الذي يرتكبه:

فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ .

ارتكب آدم وحواء معصية في جنة عدن. هل أوقف الله كل شيء وخلق مخلوقات أخرى لا ترتكب المعاصي؟ لا. لكن ماذا كان سيقع لو خلق جنسا آخر؟ يرتكب الإنسان الذنب عاجلا أو آجلا مهما كانت إرادته قوية في تجنبه. ينتقل الذنب من الأب إلى الابن مثل أي مرض وراثي، هل استسلام بني الإنسان للظلم ونكران الذات أمر مفاجئ؟

في محاولة فعل الخير لإرضاء الله، هناك دائما طيف يتخفى. تلازم الأنانية والكبرياء أصدق المتعبدين. يمكن لإنسان أن يسجد في صلاته لله، ثم يقوم ويخرق حقوق جاره. كل ظلم ونكران للجميل هو في الأساس تمرد ضد الله. إن سبب لومنا هو عدم احترامنا لشرائعه:-

وَقَدْ صِرْنا كُلُّنا كَنَجِسٍ، وَكَثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمالِ بِرِّنا، وَقَدْ ذَبُلْنا كَوَرَقَةٍ، وَآثامُنا كَرِيحٍ تَحْمِلُنا.

(أشعياء ٦٤: ٦)

حتى صومنا لله هو ملطخ بالذنوب:-

هَا إِنَّكُمْ لِلْخُصُومَةِ وَالْبِرَاعِ تَصُومُونَ، وَلِتَضْرِبُوا بِلَكْمَةِ الشَّرِّ. لِسَمْ

تِصُومِونِ كِمِا الْيَوْمَ لِتِسْمِيعَ صِوْتِكُمْ فِي الْعِلاءِ.

(أشعياء ٥٨: ٤)

بالتأكيد لست أنا؟ ألست فردا من الإنسانية؟ أليس آدم وحواء أبائي الأولون؟ ألم نطرد جميعا من الجنة؟

إذا كان هذا صحيحا، كيف يمكن لنا أن نفعل الخير أكثر من الشر؟ سنجد يوم الحساب أن أعمال الخير التي قمنا بها لا تكفي. يتبعنا طيف الذنوب عبر الزمن، ولن نستطيع أن تفعل الخير الكافي لكسب رضا الله ودخول الجنة.

الفصل الخامس عشر
السورة ١٥: الحجر

الله يحفظ رسالته {السورة ١٥: ٩}

بدأ السور يكون أقصر. تصرح هذه الآية بكل وضوح بأن الله سيحفظ رسالته:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

لا أحد بإمكانه تحريف الرسالة {الذكر}. إن كلمة «الذكر» لا تحيل فقط على القرآن بل تشمل كذلك التوراة، كتب الأنبياء والإنجيل.

لنتمعن في الأمر. يعد الله بحفظ كلمته التي أرسلها لموسى، وداود وسيدنا عيسى الذي هو نفسه كلمة الله، والمجد من السماء. كيف يستطيع إنسان تحريف ما يحفظه الله؟

مهاجمة القرآن {السورة ١٥: ٩١}

جلب الانحراف الأخلاقي المنتشر في قوم لوط حكم الله عليهم و نجا فقط بعض أفراد عائلته. يدل هذا على أن عقاب الله يمكن أن يشمل أمة بأكملها إذا رفضت رسالة الله.

أثارت الآية ٩١

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ.

انتباهي. يقول لي عدد من الأصدقاء المسلمون بأن الله سيحفظ القرآن من التحريف،غير أن هذا لا يعني أن الناس لن يهاجموه بدوافع شريرة تتحدث هذه الآية عن بعض المشركين

الذين

جعلوا القرآن عضين.

هل فعلا «مزقوا» القرآن إلى أجزاء؟ هل أخذوا آيات وعزلوها عن سياقها وأعطوها تأويلا جديدا؟

هل اختلقوا أكاذيب حول كلام محمد؟ لا تعطي الآية أية تفاصيل غير أن المسيحيين عندما يقرأون هذه الآية سيقولون إنه إذا كان المشركون قد «مزقوا» القرآن دون أن يستطيعوا تحريفه، فإنه بإمكانهم «تمزيق» الكتب السابقة دون تحريفها.

الفصل السادس عشر

السورة ١٦: النحل

خلق على صورة الله {السورة ١٦: ١٧}

يحيط الكثير من النقاش بقصة الخلق. تقول نظرية التطور بأن الإنسان والقرد لهما جد مشترك. تقول إنه إذا كان بإمكاننا الرجوع إلى الماضي بالقدر الكافي، سنرى أن كل الحيوانات لها أصل مشترك يشبه دودة قبيحة المنظر...وبفم كبير.

تتحدث عدة سور عن أصل الإنسان:

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ {السورة ٩٦: ٢}

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ {السورة ١٥: ٢٦}

إِنَّ مَثَلَ سيدنا عيسىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﷺ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ {السورة ٣: ٥٩}

أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُن شَيْئًا {السورة ١٩: ٦٧}

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ {السورة ١٦: ٤}

لا يمكننا أن نحدد بالتدقيق كيف خلق الله الإنسان. هل خلقه من تراب، من نطفة، من لا شيء، أو من شيء آخر؟

على أي حال. إذا قرأنا التوراة من البداية، سنتعرف على قصة الخلق. أولا، تقول: «في

البدء خلق الله السماوات والأرض». بعد ذلك ولمدة ستة أيام خلق الله الشمس والنجوم، والمحيطات والأرض والطيور والسمك وكل أنواع الحيوانات. توج الخلق بخلق الإنسان:

فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. (التكوين ١: ٢٧)

ماذا يعني إله بان خلق الإنسان على صورته. لماذا تميز الإنسان فقط بهذه الميزة ولم تحظ بها الحيوانات؟

تعطي الآية ١٦: ١٧ فهما متبصرا لهذا السؤال. تسأل الآية:-

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ.

بتعبير آخر أليس الله بخالق؟ كل ما علينا أن نفعله هو أن ننظر إلى العالم حولنا لنرى الغابات والورود والنجوم والبحار لنعرف بأن الله هو خالق رائع. إن الله بطبيعته مبدع وله القدرة على الإبداع.

لنتأمل الإنسان الآن، صحيح أن بعض الحيوانات تبني أشياء معينة، يبني القنادس سدوداً على الأنهار وتبني الطيور أعشاشاً على أجراف الجبال و إنهم يفعلون ما وضعه الله في طبيعتهم الغريزية. غير أن الإنسان مبدع مدهش، صحيح أن الله وحده هو من يستطيع أن يخلق من لا شيء، لكن الإنسان قد خلق على صورة الله وبإمكانه أن يبتكر ويصنع لذلك مازالت الأهرام تقف صامدة في شموخ رائع بعد آلاف السنين على بنائها وترفع الموسيقى الصينية المشاعر الإنسانية على أجنحة خفية للجمال. وربما أعظمها هو أن يجمع الحب رجلاً وامرأة ليلدوا مولوداً مبدعاً جديداً فهو مصدر الإبداع هو صورة الله.

خُلق كل البشر على صورة الله، لكن عندما أخطأ آدم وحواء، فقد تشوهت الصورة بشكل فظيع.

خُلق كل البشر على صورة الله، لكن عندما أخطأ آدم وحواء، فقد تشوهت الصورة بشكل فظيع. أصبح الحب المثالي شهوة، وأصبحت الشجاعة وحشية، والرحمة قمعا، والعبادة شركا واعتزازا بالنفس، والعدل قتلا وحروبا. أفسد الذنب كل شيء. أصبح الجمال قبحا واحتقارا.

رغم هذا التشويه الفظيع، مازال كل إنسان يحمل صورة الله. مازال الإنسان قادرا على الاختراعات والإنجازات العظيمة، غير أنه يسقط باستمرار في الأنانية الخالصة. يحتاج كل البشر إلى إصلاح. أفضل من ذلك، يحتاج البشر ولادة روحية جديدة. بداية جديدة. صورة جديدة.

البعث الأخير {السورة ١٦: ٣٨}

عاش أغلب الناس تجربة فقدان شخص عزيز. اتفق الناس طبيعي التفكير على استحالة البعث. تقول الآية ٣٨:-

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

في زمن سيدنا عيسى أنكر القادة اليهود واليونانيون أيضا إمكانية البعث من الموت. سأل الناس: «أين هو الدليل؟».

إِنْ كُنْتُ كَإِنْسَانٍ قَدْ حَارَبْتُ وُحُوشًا فِي أَفَسُسَ، فَمَا الْمَنْفَعَةُ لِي؟ إِنْ كَانَ الأَمْوَاتُ لاَ يَقُومُونَ،

فَلْنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنَا غَدًا نَمُوتُ!.
(رسالة إلى أهل كورنثوس الأولى ١٥: ٣٢)

إن الله لم يعطنا كلمته بأن البعث ممكن، ولكنه أعطانا إشارة حاسمة و إن قيام سيدنا عيسى من قبره في اليوم الثالث تبين أن البعث من الموت هي إرادة الله ووعده.

قد يتساءل البعض: «كيف سيكون البعث؟».

يدفن الجسد الميت في الأرض كما تدفن حبة القمح. تشق الأرض في الوقت المناسب لتمنح حياة جديدة. إن مجد القمح أعظم من البذرة. ينمو بإنتاج وحياة جديدة. سيقوم الناس من قبورهم من جديد كما قام سيدنا عيسى من قبره.

هكَذَا أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْمًا حَيَوَانِيًّا وَيُقَامُ جِسْمًا رُوحَانِيًّا. يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ.
(كورنثوس الأولى ١٥: ٤٢-٤٤)

مثل حبة القمح، يوارى جسد الميت التراب. لكن عندما تأزف اللحظة المناسبة، يخترق السطح نابضا بحياة جديدة. فالقمح الناضج في مجده أعظم كثيرا من البذرة. ثمر وحياة جديدة تنمو مشمولة بأشعة الشمس المكتملة السطوع. هكذا كانت قيامة جسد سيدنا عيسى وهذا سينهض أتباعه من جديد.

اسأل مسيحيا {السورة ١٦: ٤٣}

هل يحتاج مسلم أبدا أن يسأل مسيحيا ليشرح له الإنجيل؟

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

تمهل! هل يجب أن يأتي مسلم إلى مسيحي ويسأله: «هل يمكنك أن تعطيني معلومات أكثر عن موسى وداود ورسل آخرين؟». التبرير الوحيد الذي يمكن أن يقدمه أي أحد هو كون الإنجيل قد حرف. لا يمكن أن يكون هذا صحيحا.

الإنجيل الذي نحصل عليه في القرن الواحد والعشرين هو نفس الإنجيل الذي كان المسيحيون حصلوا عليه في القرن السابع والأول الإنجيل لم يتغير.

ألا تقول هذه الآية بأن الرسل كانوا رجالا، أي بشرا؟ ألا يعني ذلك بأن المسيحيين كانوا خاطئين في حكمهم على عن سيدنا عيسى؟ كيف يمكن أن نثق في المسيحيين؟

هل نسينا ما قرأنا عن سيدنا عيسى هو الوحيد الذي سمي بالمسيح {أي انه أكثر من نبي}، ولد من عذراء كآدم الجديد، كلمة الله ؟

عمانوئيل أي الله معنا. يمكننا أن نتكلم عن موسى وداود ويونس كرجال، لكننا لا يمكن بصدق أن نتكلم عن سيدنا عيسى كواحد منهم. سيدنا عيسى هو أكثر من رسول. إذا اعتبرت هذه الآية سيدنا عيسى كرسول، لا أتفق بكل احترام. لكن القرآن يعترف بأن سيدنا عيسى كان فريدا بين الناس بعمله وهويته.

تكلمت لثلاثين سنة مع أصدقائي المسلمين عن القرآن والإنجيل. هل قرأ أي مسلم الآية ٤٣ وسألني أن أفسر له الإنجيل؟ للأسف لا. الغريب في الأمر هو أن أغلب أصدقائي لم يقرؤوا أبدا كل آيه في القرآن.

ربما قرأ بعضهم هذه الآية، لكنهم إذا ما رغبوا في طلب المساعدة فإنهم يحسون بالخوف: «ماذا سيظن الآخرون؟ أليس الإنجيل محرفا؟ ماذا لو عاقبتني الله على ذلك؟».

لماذا سيعاقب الله شخصا طبق ما أمرته به آية في القرآن؟ إنها تقول بوضوح «اسأل». ولا تقول تجادل، أو تجاهل أو دِن.

فا يبدو أن الأمر به مخاطرة، ربما يريد المسيحيون أن يخدعوا الناس! هل يمكن الثقة بهم في قول الحقيقة؟ أليسوا جاهلين بالقرآن؟ ربما بعضهم جاهل به لكن لهذا السبب أقرأ القرآن آية لأكون عادلا ولأحصل على معلومات صحيحة ولأتكلم بالحقيقة.

لا تتخذ إلهين {السورة ١٦: ٥١}

قلت هذا من قبل ولكنه يستحق الإعادة. تقول الآية ٥٧:-

«وَقَالَ اللّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ».

لا تشجع التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل على الشرك. أولى الوصايا هي حب الله من كل القلب وبكل العقل والقوة كيف نعطي كل شيء لله ويبقى لدينا ما نعطيه لإله آخر؟

لا أحد خير {السورة ١٦: ٦١}

تتفق الآية ٦١ مع الإنجيل بأن لا أحد خير:-

«وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ».

يبين فحص القلب البشري بأن شيئا ليس على ما يرام. الكل يستحق العقاب. عند وقوفي في هذا التقاطع بين القرآن والإنجيل، ألاحظ أنهما يقاربان مسألة الشر بطرق مختلفة. يعرض الإنجيل باستمرار فكرة الغفران الذي قدمه المسيح كمنحة إلهية في حين أن القرآن يتحدث عن ميزان إلهي يزن أعمال الخير والشر.

لكن الآية ٦١ تقول بأن الناس كلهم ظالمون،، هل يزيل إعصار تسونامي الذنوب أثر كل مجهود لبناء دار للتقوى. من سيخلصني من هذا العقاب الأكيد؟

العبودية {السورة ١٦: ٧١-٧٦}

تم حظر العبودية في الدول الغربية. في ستينيات القرن التاسع عشر، قامت حرب أهلية بالولايات المتحدة كانت نتيجتها وضع حد للعبودية وتحرير الملايين من الأمريكيين الأفارقة.

تناقش الآيتان ٧٥ و٧٦ مسألة المساواة بين البشر. تقول بأن العبد ليس مساويا لسيده النبيل والكريم، وأن الإنسان المعاق والضعيف ليس مساويا للرجل القوي. يسأل القرآن:-

«هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»؟

تختلف الشرائع القرآنية عن القوانين العلمانية. في الوقت الذي تعترف به القوانين العلمانية بالمساواة بين البشر، لا تعترف الديانات والشرائع القديمة بذلك. يعيش غير المسلمين كذميين ويمكن أن يملك بعض الناس كعبيد في إطار الشريعة الإسلامية. في القرن ٢١ مازالت العبودية تمارس في بعض الأماكن اعتمادا على هذه الآيات. كما يستمر المسلمون في مناقشة

ما إذا كانت فكرة الجهاد ما تزال صالحة للتطبيق في العالم الحديث، يجب أن يضعوا موضع مساءلة ممارسة العبودية في بعض الأماكن لحد الآن.

لكل أمة شهيد {السورة ١٦: ٨٩}

رأينا في الآية ٤ من السورة ١٤ بأن محمدا أرسل إلى العرب بلغتهم. الآن تقول الآية ٨٩:-

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ

كنت أجلس مع صديقي تحث ظل كرمة عنب حين قال لي: «هل تعلم أن موسى وسيدنا عيسى أرسلا لليهود وأنه أرسل لكل قوم نبيا منهم؟».

قلت له: «لا. لم أسمع ذلك من قبل». لم أستطع أن أتخيل أنبياء أرسلوا للفايكينغ أو الهنود الحمر بأمريكا مثلا.

يقول القرآن بأن محمدا أُرْسل إلى العرب. إذا كان كل قوم أو شعب جاءه كشهيد، ما الهدف إذن من تلقيهم رسالة محمد بالعربية التي لا يفهمونها؟ ألم يرسل لهم شهيد بلغتهم؟ بالإضافة إلى ذلك تقول الآية ٨٩ بكل وضوح بأن محمد أرْسل كشهيد على العرب و في هذه الآية على الأقل لا يدعي القرآن بأنه شهيد على كل الأمم.

تغيير الاعتقاد {السورة ١٦: ١٠٦-١٠٧}

يسمح القرآن للمسلم بأن يكذب ويدعي الكفر ليحمي نفسه، مادام يؤمن بالإسلام بقلبه بكل صدق. غير أن المسلم إذا غير معتقده وترك الإسلام فالقرآن يتوعده بأشد العقاب:

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾

في سنة ١٨٤٤، ألغى السلطان عبد الحميد الأول قانون الردة ليسمح للمسلمين بترك الإسلام دون الخوف من عقاب الإعدام. لم يتم دائماً تطبيق هذا المرسوم في الإمبراطورية العثمانية. تطالب الشريعة القديمة بإعدام مرتكب الردة.

لماذا قد يترك مسلم الإسلام؟ تقول ال آية١٠٧: «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ». رأينا كيف أن بعض المسلمين كانوا منافقين، وفضلوا الراحة والغنى على الذهاب إلى الحرب للجهاد في سبيل الله. كان العيش في ظل

الإسلام خطرا في القرن ٧.

هل يترك بعض المسلمين الإسلام لأسباب أخرى غير الخوف من الجرح والموت؟ أعرف صديقا ترك الإسلام لاقتناعه بأنه لا يوجد خالق ويعتقد أن العالم خلق نفسه. يسمي نفسه ملحد علمي. غيَّر ناس آخرون رأيهم لأنهم درسوا واختاروا أفكاراً أخرى.

إذا كان مسلم معاصر يواجه خطر النبذ من طرف عائلته وأصدقائه، وفي بعض المناطق الإعدام بسبب الردة، كيف ستتحسن حياته بمغادرته الإسلام؟ ما لم تقم حرب حيث يطلب من المسلمين مواجهة مخاطر الحرب في سبيل الله، يبقى أسهل حل بالنسبة لهؤلاء المسلمين هو أن يبقى الحال على ما هو عليه.

أنشر الإسلام {السورة ١٦: ١٢٥}

في ساحة الدار القديمة والحجرية، تكلمنا أنا وأصدقائي حتى وقت متأخر من المساء عن الدين. قال أحدهم: «في رأيي أن العمل التبشيري خطأ. ليس في الإسلام عمل تبشيري». ؟

أجبته: «غريب هذا الأمر، لأنني التقيت ببعض المسلمين، على سبيل المثال، يشتغلون بجد في أوروبا وأمريكا لإقناع الناس بالدخول في الإسلام».

ربما لم يقرأ صديقي أبدا الآية ١٢٥:

ۚ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

إن المسلمين الذين يأخذون هذه الآية مأخذ الجد يبذلون وقتهم وأموالهم لنشر الإسلام في العالم. أقام المسلمون المخلصون مكاتب ومساجد في كل بلد في العالم. يكتبون الكتب ويشاركون في نقاشات عمومية ويذيعون برامج على التليفزيون والراديو والإنترنت. إنهم مبشرون مسلمون.

يرد صديقي أحيانا: «هذا غير صحيح. المبشر هو شخص يستعمل الإكراه ليجعل الناس يغيروا دينهم. إنهم يستعملون المال والسياسة وغسل الأدمغة. هدفهم هو فرض إرادتهم على شعب ضعيف. يضع المبشرون ورقة ١٠٠ دولار وسط الإنجيل، وقد تصل إلى ١٠٠٠ مع التضخم. يتكلم المسلمون بالحقيقة لدعوة الناس إلى سبيل الله». يقول صديق آخر: «لا أعتقد أن على المسلمين نشر عقيدتهم. الدين شأن خاص».

أرى هنا خطأين: -

أولاً: أي مسيحي يحاول أن يستعمل المال أو السياسة لتغيير دين شخص هو مسيحي

كاذب. يؤمن المسيحي الحقيقي بالأصالة. لا يشبه اختيار الحقيقة اختيار فريق لكرة القدم. مثلا لو أردت أن يأتي الكثير من الناس إلى مقابلة سيلعبها فريقي، فسأقدم لهم تذاكر مجانية، وبالتالي يبدو وكأننا سنتوفر على كثير من المعجبين. غير أن دعوة الناس إلى دين الله هي مسألة محبة حقيقية. لا يمكنك أن تشتري المحبة الحقيقية.

ثانيا: كل من يعتقد بأنه يجب على المسلمين أن يعتبروا دينهم شأنا خاصا لم يقرؤوا بالتأكيد الآية ١٢٥. ليس هذا حديثا عن صلوات الجماعة بالمساجد، بل عن محاولة إقناع المشركين باعتناق الإسلام. ليس هذا شأنا خاصا بل عاما بالتأكيد. كل يوم ترتفع أصوات في عالم الأفكار تدعي أنها تملك الفكرة الأحسن التي تعبر وحدها عن الحقيقة.

الفصل السابع عشر

السورة ١٧: الإسراء أو بنو إسرائيل

زيارة القدس {السورة ١٧:١}

التاريخ مهم. معرفة التاريخ تجعلنا حكماء. نعرف من كتب التاريخ أن المسجد الأقصى بني فوق هيكل سليمان بين سنتي ٦٧٩ و٦٩٠ م. بني المسجد الحرام في مكة بالقرب من الكعبة سنة ٦٩٠ م. كما نعرف بأن محمدا عاش بين ٥٧٠ و٦٣٢. تجعل معرفة هذه المعلومات الآية ١ {السورة ١٧} محيرة. تقول الآية:

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

ذكر المعراج في آية واحدة من القرآن. ليست هناك تفاصيل، أو أسماء أو تواريخ. لم تذكر بالتحديد العبد الذي أسري به ولا المدن التي زارها. لا يوجد أي تفسير للسبب الذي دفع العبد إلى السفر إلى أبعد مسجد ولا للطريقة التي سافر بها.

يعتقد عموما على أن العبد هو محمد، وأن المسجد المقدس هو المسجد الحرام وأن المسجد البعيد هو الأقصى. قد لا يعتقد من ليس له معرفة بالتاريخ بأن هذه الآية محيرة. يفترض الناس بأن محمدا زار البنايات التي مازالت قائمة لحد اليوم. غير أن التاريخ يبين بأن المسجد الأقصى والمسجد الحرام بنيا ٦٠ سنة بعد وفاة محمد يتحجج البعض بأن كلمة مسجد تحيل على قطعة من الأرض. أنا لست مؤهلا لأجيب. لكن مادامت المساجد التي توجد الآن في القدس ومكة بنيت بعد ٦٠ سنة من بعد وفاة محمد، فيستحيل أن تكون الآية تحيل على هذه البنايات. لا يمكن أن يكون محمد قد زار المسجد الأقصى في القدس لأنه لم يكن موجودا آنذاك.

تتركنا الآية ١ مع بعض الكلمات وكثير من الأسئلة. يتوسع الحديث الذي دوّن سنوات

عدة بعد وفاة الرسول في هذا الموضوع. يقول صحيح البخاري بأن الرسول رأى بيت المقدس بأم عينيه. لكن هذا ليس ممكنا من الناحية المادية لأن محمدا

كان قد مات بستين سنة عندما بدأ أتباعه بناء المسجد الأقصى.

أتساءل كمسيحي عن الهدف من السفر. أهتم بمعرفة كيف بدأ الإسلام وتقوى وأسس مراكزه في المدينة ومكة. وأهتم بمعرفة كيف وسع المسلمون حدود الإسلام خارج الجزيرة العربية ووصلوا إلى وسط أرض اليهود باحتلالهم القدس وبناء المسجد الأقصى ستون سنة بعد موت محمد.

لم يتم العثور على أي توثيق بالمسجد الأقصى يخص المعراج. لكن اعتماداً على الآية ١، طورت كتب التراث فكرة أن القدس تمثل مكانا ذا أهمية خاصة بالنسبة للمسلمين. أصبحت رمزا للسيطرة الإسلامية على المسيحية واليهودية، ودليلاً على أن الإسلام حل محل الديانات التوحيدية السابقة،، يحسب المسلمون أنه إذا محمد قد زار القدس، فإنه من الواجب على المسلمين حمايتها لصالح الإسلام. يعتقد الناس بأن المسجد الأقصى وقبة الصخرة الذين يغطيان الهيكل اليهودي يضمنان أن لا يحاول اليهود النهوض ثانية وتأكيد أنفسهم بإعادة بناء الهيكل. يشبه المسجد الأقصى صخرة كبيرة جدا وضعت على القدس لضمان بقاء الإسلام منتصرا على المشركين.

الفصل الثامن عشر

السورة ١٨: الكهف

النائمون في الكهف {السورة ١٨: ٩-٢٦}

عند مغادرتي أفسس ذات صباح في رحلة طويلة، استمعت لسائق التاكسي وهو يحكي قصة النائمين السبعة. يجد السياح على حافة أطلال المدينة القديمة كهفا أو اثنين حيث يزعم أن بعض الشباب ناموا لمئات السنين. تقول القصة بأنهم عندما استيقظوا صُدموا لما رأوا التغيير الذي حدث في العالم.

تعود الوثائق التي تؤرخ لهذه القصة إلى القرن الخامس والسادس، وقد كتبت بالسريانية من طرف علماء كيعقوب من مدينة ساروق بإيران، وكا تيودوسيوس و ديونيسيوس من تل مهرا،، و يعرف أيضاً العديد من الناس بمنطقة البحر الأبيض المتوسط هذه القصة.

تعطي السورة ١٨ القليل من التفاصيل على النائمين السبعة. لا تقول السورة بأن الكهف كان بالقرب من افسس أو في مكان آخر. لم تذكر زمن حدوثها ولا أسماء الحكام أو الملوك. يقول محمد أنه لا يعرف عدد الشباب الذين ناموا في الكهف. هل كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، أربعة والكلب، خمسة والكلب، ستة والكلب، سبعة والكلب؟ لا يعلم عددهم إلا الله.

هذا الغموض يجعلني متشوقا لمعرفة السبب. لماذا لم يذكر الله العدد الحقيقي مادام هو الذي يعلم الحقيقة؟ ونفس الغموض يلف عدد السنوات التي قضوها نائمين في الكهف،، هل كانت ٣٠٠ أو ٢٠٠ أو عددا آخر؟ تقول الآية ٢٦:

قُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا.

كطالب متخصص في التاريخ والكتب السابقة، فإنني أقيِّم الماضي بطرح بعض الأسئلة.

أولها، هل تنبأ سيدنا عيسى بأن هذا سيقع؟ مثلا توقع سيدنا عيسى بأن المعبد اليهودي سيتهدم وتهدم فعلا حدثت العديد من الأحداث التاريخية التي لم يتنبأ بها سيدنا عيسى، لكنني أهتم أكثر بالأحداث التي تنبأ بها وحدثت. هل تنبأ سيدنا عيسى بالنائمين السبعة؟ لا، على حد علمي.

ثاني هذه الأسئلة، هل هناك أدلة تاريخية على وقوعها؟ لا توجد حقا. يوجد كهف في افسس به قبور، غير أنه ليس هناك شهود عيان على نوم أي أحد مئات السنين. تشبه القصة فولكلورا عوض أن تكون حقيقة.

ثالثا، إذا اكتشفت بأن قصة مقدسة ليس لها سند تاريخي، هل يغير ذلك من اعتقادي في علاقة المحبة التي ربطت الله بالناس. مثلا، كيف ستتغير علاقتي بالله إذا اكتشفت بأن قصة شق البحر الأحمر لم تحدث أبدا؟ رغم أنني أتفق مع السورة ١٨ من حيث أن الله يفعل المعجزات ويعرف كل شيء- سواء كان تاريخي أم لا، لا تؤثر قصة النائمين السبعة بصفة شخصية على علاقتي بالله.

لا مبدل لكلماته {السورة ١٨: ٢٧}

قرأنا جزءا كبيرا من القرآن لكننا لم نجد دليلا على أن القرآن يقول بأن التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل محرفة. بل وجدنا العكس. نقرأ مرة أخرى في الآية ٢٧:-

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا.

الحصول على رضا الله {السورة ١٨: ٤٦-٥٣}

أوصلني المشي في طريق القرآن إلى نقطة مهمة أخرى. يقول هذا المقطع بأن أعمال الخير تساهم في الدخول إلى الجنة. لله كتاب يسجل فيه كل الأعمال خيرها وشرها وسيحاسب الناس على أساس هذه الأعمال. تقول الآية ٤٦:-

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا.

ذات يوم سألني صديق مسلم: «ألا يعد دينكم الجنة لكل الناس حتى المذنبين منهم، بشرط أن يعترفوا لقسيس. لا تحتاج إلى فعل الخير. كل ما عليك أن تفعله هو أن تعترف ثم تعود ثانية إلى فعل الذنوب كما تريد؟ في الإسلام فعل الخير شرط لدخول الجنة».

سؤال جيد، تخيل رجلا بحصان وعربة. أراد أن يحمل بعض الدقيق إلى المنزل. فوضع العربة أمام الحصان وبدأ في الصياح. يريد من العربة أن تجر الحصان. لا تستطيع العربة

جر أي شيء. إنها تحتاج الحصان لجرها.

هذا ما كان يعنيه سيدنا عيسى حين قال:

أَبِا الْكِرْمَةِ وَأَنْتُمُ الإِغْصَانِ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَبِا فِيهِ هذَا يَاتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.
(يوحنا ١٥: ٥)

تشبه محاولة جر الحصان بالعربة فعل الخير لإرضاء الله.

لماذا؟ لأنه بدون علاقة صحيحة مع الله، لا تستطيع أعمالنا إرضاء الله. لا تستطيع عربة جر حصان لأنها لا تملك القدرة على فعل ذلك. إذا تركتها لحالها، ستبقى العربة دون حراك. إذا بقينا لوحدنا بذنوبنا، حتى أعمال الخير التي نقوم بها لا يمكنها إرضاء الله.

يعلمنا الإنجيل أنه يجب أن نتق الله أولا حتى يجدد إيماننا وبعد ذلك يمكننا أن نفعل فعلا الخير بقوته. هذا يعني وضع الحصان أمام العربة.

تبعا لذلك فأفعال الخير هي نتيجة لفضل الله علينا وليست سببا في حدوثه. يقول الإنجيل:-

لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ.
(رسالة إلى أهل افسس ٢: ٨)

أجابني صديقي: «إذن أنت لا تؤمن بجدوى أعمال الخير».

قلت له: «أرجوك لا تفهمني خطأ. إننا نؤمن قطعا بجدوى أعمال الخير. إذا ادعى شخص ما أنه أصبح إنسان جديد بفضل سيدنا عيسى المسيح ولم يفعل أعمال الخير فهو كاذب. يقول سيدنا عيسى بأن الشجر الجيد يحمل ثمارا جيدة والشجر السيء يحمل ثمارا سيئة. كل شخص يرغب في اقتراف الذنوب هو شخص مازال يحمل قلبا ميتا بغض النظر عن عدد المرات التي يعترف فيها بذنوبه».

هل كان إبليس ملاكا أم جنيا؟ {السورة ١٨: ٥٠}

تبقى هوية إبليس غامضة. تذكر الآية ٣٤ إبليس كملاك. أدانه الله لرفضه السجود لآدم مع الملائكة. الآن نقرأ بأنه جني:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ

لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا

أمر الملائكة بالسجود. لو أراد الله الجن أن يسجدوا أيضا، لماذا لم يتم إشراكهم؟ إذا كانت الملائكة والجن خلقا واحدا، فلم يسمون بأسماء مختلفة؟ توجد اختلافات أخرى بينهم.

كتب أحد المسلمين:- «خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار... كل الملائكة مؤمنون ومعصومون، ويأمرون الآخرين بفعل الخير فقط. يوجد بين الجن مسلمون ومشركون، منهم من يفعل الخير ومنهم من يفعل الشر... ليست للملائكة رغبات، عكس الجن الذين لهم رغبات كالبشر».*

لأكون صادقاً، أقر بأنه صعب علي أن أتخيل أي مخلوق سماوي يسجد لآدم! لقد كان فقط إنساناً مخلوقاً من طين ومهيأ لإقتراف الذنوب ومخلوقاً أرضياً و ربما قد يسجد آدم لملاك إحتراماً له. لكن لا أحد يستحق العبادة غير الله. كل المخلوقات ستسجد له وتقول:-

أَنْتِ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ يَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ. (رؤيا يوحنا: ١١)

ذو القرنين {السورة ١٨: ٨٣-٩٩}

نصل الآن إلى هوية غامضة أخرى ويعتقد عدد من المسلمين بأن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر المحارب اليوناني الذى سيطر على جزء كبير من آسيا. لكن هذه الآية تصفه كعبد لله. كيف يمكن أن يكون هذا الشخص هو الإسكندر؟ يشهد التاريخ بأنه مارس الشرك والانحراف الجنسي. يقترح آخرون سيروس العظيم، الحاكم الفارسي الذي أحسن إلى الشعب اليهودي. لكنه مارس الزرادشتية رغم أنه كان لطيفا مع اليهود الموحدين. أي شخص يقترح أن الإسكندر وسيروس كانا مسلمين، يجب عليه أن يشرح كيف أن مشركا يمكن أن يعتبر مسلما.

أين تغرب الشمس؟ {السورة ١٨: ٨٦}

«هل تعلمون بأن جان جاك روسو أصبح مسلماً لقد أقنعته رحلاته بأن القرآن على حق». كان صديقي سعيداً وهو يشارك معي قصة العالم المشهور في البحار ولقد استمعت إليه باهتمام.

يعتقد أصدقائي المسلمون بأن القرآن يحتوي على حقائق علمية التي لم يكن بإمكان محمد إدراكها إلا بالوحي. لو كان القرآن يحتوي على حقائق علمية فسيكون ذلك دليلا لصالح

* "The Difference between Angels, Jinns and Devils", Islamweb,http://www.islamweb.net/emainpage/index.php?Id=16265&FatwaId&page=showfatwa, accessed February 2018.

القرآن. بحثت عن جاك روسو ووجدت رسالته الرسمية من مكتبه.

Fondation Cousteau

Monsieur Charles TUCKER
11A Chemin de Penanchy
69230 ST GENIS LAVAL

Paris, le 2 novembre 1991

FC/DC

Monsieur,

Nous avons bien reçu votre lettre et nous vous remercions de vos marques d'intérêt pour notre action.

Nous vous précisons que le Commandant Cousteau n'est pas devenu musulman et que cette rumeur court sans fondement.

Bien cordialement,

Didier CERCEAU
Chargé de mission

PJ.

في باريس:

ونصها كالتالي :-

باريس

٢ نوفمبر، ١٩٩١

سيدي،

لقد تسلمنا رسالتك ونشكرك على الاهتمام بأنشطتنا.

نصرح لكم بالخصوص بأن القائد جاك روسو لم يعتنق الإسلام وأنه لا أساس لهذه الإشاعة.

بكل محبة.

سير سو

المدير العام*

لا أعرف إذا ما كان جاك روسو قد قرأ القرآن لكن بالتأكيد كان يعرف الكثير حول المحيطات و بعد موته دفنته عائلته في مقبرة مسيحية و لا يوجد دليل على أنه اعتنق الإسلام.

مع ذلك من العدل أن نسأل، هل يكشف القرآن عن حقائق علمية؟

درست العلوم في الكلية وتخصصت في علم الأحياء المجهري. تكونت في طرق الملاحظة والتجريب بالإضافة إلى ذلك، يعلمني الإنجيل بأن أختبر كل شيء. العلم هو فقط

* "Jacques Cousteau (Conversion to Islam)", WikiIslam, http://wikiislam.net/wiki/Jacques_Cousteau_(Conversion_to_Islam), accessed February 2018.

ناجح كفكر إنساني. العقل الإنساني ليس كاملا، لكن علماء كلويس باستور و كونوراد رونتغن توصلوا إلى كثير من الاكتشافات العظيمة التي حسنت الصحة والحياة و نعرف اليوم الكثير عن البحار، الأرض، الشمس والنجوم في القرن ٢١ أكثر مما كانت تعرفه الإنسانية منذ ألف سنة.

حب الاستطلاع هو فطري، يستكشف الإنسان العالم حوله ويكتشف أسراره رغم المخاطر التي يمكنه مواجهتها. أبحر البولنديون المحيط الهادي بقوارب صغيرة ودون خرائط أو بوصلات لكنهم وجد جزر هاواي وأسسوا مملكتهم. كان طبيعيا أن يتساءل العرب عن نظام الطبيعة. مثلا، كانوا يتساءلون عن الشمس وأين تذهب كل مساء.

تقول الآية ٨٦ أنه عندما وصل ذو القرنين مغرب الشمس، وجدها في عين حمئة ووجد عندها قوما:-

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا

قد تكون الآية ٨٦ قصة رمزية. من الصعب معرفة النية الأصلية. غير أنه في القرن٢١، نعرف بأن الشمس لا تغرب في الماء. ليست هذه الآية تقريرا علميا. يمكن أن نقرأ عددا من القصص والتوضيحات المفيدة عن الله في التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل، لكنها لا تقدم أي معلومات تقنية وعلمية.

ماذا أعني؟ تخيل أن القرآن قال: «نظر ذو القرنين إلى السماء ولاحظ أن الشمس هي كرة كبيرة مشتعلة أكبر بكثير من الأرض ونبعد عنها ب ٣٣٠٠٠٠ مرة المسافة التي توجد بين مكة والمدينة». كان من المستحيل في القرن ٦ أن يعرف محمد المسافة بين الشمس والأرض أو أن يعرف أن الشمس كرة كبيرة مشتعلة. لا تتكلم التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل والقرآن بهذه الطريقة. لا يقولون لنا كيف نصنع طيارة أو نعالج السرطان. لا يشرحون كيف أن القمر يدور حول الأرض وكيف أن الأرض تدور حول الشمس. يمكن أن نقرأ تعليقات مهمة حول الطبيعة في القرآن، وإذا كان شخص ما يريد أن يثبت بأن القرآن هو منزل من عند الله فعليه أن يجد طرقا أخرى لإثبات ذلك عوض البحث في القرآن عن معجزات علمية.

الفصل التاسع عشر

السورة ١٩: مريم

يحيى النبي {السورة ١٩: ١-١٥}

يبدو أن الله يجب أن يهب الناس أبناء، خصوصا الآباء الذين يعتقدون بأنهم لا يستطيعون الحصول عليهم. وهب الله إبراهيم وسارة إسحاق رغم أنهما كانا طاعنين في السن. وهب إبنا لمريم دون أن يكون لها زوج من البشر. كما أن زكريا واليصابات تلقوا هبة خاصة من الله عندما منحهم يحيى رغم الشيخوخة.

كان زكريا من كبار الربانيين وكان يعيش في زمن الملك هيرودس و تنحدر اليصابات من عائلة هارون الذي عاش ألف سنة من قبل ذات يوم عندما كان زكريا يتعبد في هيكل القدس، التقى بملاك وعده الله بأن يهبه ابنا، لكن زكريا بقي مرتابا. لتأكيد كلمته وضبط زكريا، جعله الله غير قادر على الكلام لعدة شهور. عندما ولد يحيى أخذه أبواه إلى المعبد من أجل الختان. عندما كانوا يناقشون الاسم الذي سيختارونه للولد، كتب يحيى على لوح ومباشرة بعد ذلك رجع له صوته.

لقد هُيئ يحيى لتحقيق هدف معين فأنه لم يستعمل أبدا الكحول وسكن في الصحراء ولبس جلد الجمال و عندما كان شاباً بدأ في تعميد الناس في نهر الأردن كإشارة على حياة جديدة والانتماء كليا إلى الله. أتى إليه جموع كثيرة من الناس مما أثار حسداً عميقاً لدى القادة الدينيين اليهود.

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ أَقْوَالِ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ :

«صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً».
(لوقا ٣: ٤)

مثل نائب ملك يمشي أمام السلطان، مشى يحيى أمام المسيح القادم ليمهد له الطريق.

ذات يوم اجتمع الناس على نهر الأردن وهم يتطلعون لسماع يحيى وتعميده لهم في مياه النهر و كان يوما عادياً بالنسبة ليحيى حتى خرج من الناس رجل غير عادي من الأكيد أن يحيى أرتعش عندما رأى الشاب الملتحي واقفاً أمامه فقال في نفسه «أنا لست أهلاً حتى لخلع نعاله». ثم نظر إلى سيدنا عيسى وقال: «أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إلى». أجاب سيدنا عيسى في تواضع: «اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر». حينئذ سمح له.

حِينَئِذٍ جاءَ يسُوعُ مِنَ الجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ.
وَلَكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ يَأْتِي إِلَيَّ!».
فَأَجَابَ يسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. فَلَمَّا اعْتَمَدَ يسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ،
وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا
عَلَيْهِ،١٧ وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي
بِهِ سُرِرْتُ».

(متى ٣: ١٣-١٧)

ماذا حدث هنا؟ شيئان أساسيان: تأكيد وتوصية، كان اليهود ينتظرون مسيحهم لآلاف السنين فكانوا بحاجة إلى التعرف عليه من وسط الناس وكان يبدو كأي نجار ملتحي أخر من الجليل، فقد أكد يحيى أن سيدنا عيسى هو المسيح، قد جاء يحيى ليعلن هذا هو سيدنا عيسى هو الذي ننتظره.

غالباً ما يستوقفني أصدقائي المسلمون هنا: «أرجوك لا تُعد ذلك مرة أخرى. لماذا تكررون كلمة إبن؟ لن يتغير هذا الأمر في الإنجيل. لماذا لا يرى المسيحيون بأنهم يعبدون ثلاثة آلهة؟».

حسناً دعنا لنفكر في مقاربة أخرى، لقد كتب أوغسطينوس منذ زمن عن الروح القدس حسب الكتب المقدسة، أنه ليس للأب وحده أو للإبن وحده بل لكلهما معاً، ويعلن حباً متبادلاً حيث الأب والأبن يحبون بعضهم البعض. {حول التثليث}*

هذا ما لا تعنيه كلمة أبن، لا تعني أن لله جسداً وأنه تزوج مريم و لا تعني كذلك بأن عيسى هو إله ثان مشترك مع الله، لا تعني بأن ذات سيدنا عيسى خلقت منذ القدم بل تعني أن الله ألبس جوهره شكلاً إنسانياً {سيدنا عيسى المسيح} و أنه عاش بيننا بهدف أن يمكننا من عفوه من خلال تضحيته بنفسه على الصليب وقد رأينا سابقاً أن التوراة تدعو الله الرحمن والرحيم يبين التاريخ أنه قبل ميلاد محمد بوقت طويل وذلك أيضاً لقد استعمل المسيحيون

* Augustine, On the Trinity XV.17.2.

السريانيين القدامى لقب الرحمن عندما كانوا يتكلمون عن سيدنا عيسى وهذه رؤية تامة لله و ليست الرحمة والشفقة فقط مشاعر أو مواقف بل إن أحسن فعل رحمة قام به الله هو نزوله إلى الأرض وتقديم تضحية مقدسة وكاملة من أجل خطايانا و إن الرحمة والشفقة هما ثمرة حبه الإلهي.

موت سيدنا عيسى {السورة ١٩: ٣٣}

قلت لجاري: «تمهل. أنت دائما تستدل بالآية ١٥٦ من السورة ٤ لتأكد بأن سيدنا عيسى مات. لكن هل توجد آيات في القرآن تتحدث عن عدم موت سيدنا عيسى».

انتظرت لكن صديقي لم يستطع الإجابة. ليست هناك إجابات.

في الحقيقة نكتشف باستمرار آيات أخرى تدل على أن سيدنا عيسى قد مات. مثلا الآيات ٣٣-٣٤:-

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ سيدنا عيسى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾

ماذا؟! لا يقول القرآن فقط بأنه سيموت، ولكن الآية تطابق الآية ٥٥ من السورة ٣ في ترتيب الأحداث فقد عاش سيدنا عيسى ومات وقام من الموت فكيف لا يكون هذا الكشف جذابا بالنسبة لأي شخص يقرأ الإنجيل؟

الفصل العشرون

السورة ٢٠: طه

موسى والنار {السورة ٢٠}

تقدم لنا السورة ٢٠ أحداثا مذهلة سأركز على بعض منها.

أولا، ألاحظ بأن موسى سمع بصفة شخصية صوت الله. القصة هي كالتالي: رأى موسى نارا على مسافة بعيدة في الجبل، أثارت النار اهتمامه فصعد الجبل ليقترب أكثر. تكلم الله بصوت مسموع إلى موسى من خلال شجرة مشتعلة بالنار بطريقة غريبة، يأمره بأن يخلع نعليه لأنه بالوادي المقدس. بعد ذلك أمره الله بأن يعود لمصر ويلتحق بأخيه هارون ليقولوا لفرعون بأن يحرر العبيد اليهود.

تشتمل قصة المحبة دائما على تواصل إلهي.

لم يطع فرعون أمر الله فضربت مصر بعدد من الأوبئة ولقد تحرر العبيد اليهود في النهاية وغرق فرعون وجنوده في البحر و بعد هروبهم من مصر عبر البحر الأحمر، صنع بعض العبرانيين عجلاً وعبدوه في الوقت الذي كان موسى يتلقى الوصايا العشر بالجبل و عاد موسى، فنزل غضب الله على المشركين، لكن بعض قوم موسى نجوا.

تقول الآيتان ١١-١٢:-

لَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

لاحظوا أن الله لم يتكلم من خلال ملاك إلى موسى.

إن التاريخ هو القصة الكبرى لحب الله. بدأ في جنة عدن مع آدم وحواء ثم استمر هذه

المحبة مع إبراهيم، موسى، صموئيل والملك داود. في الإنجيل تقودنا القصة لنجتاز عتبة أقدس مكان مع سيدنا عيسى المسيح. تشتمل قصة المحبة دائما على تواصل إلهي. ليست كلمة الله {صوته} دائما معه، إنه كلمة الله، جوهر الله.

لماذا يُعتبر التواصل المباشر مهما جدا؟ قال شخص ما بأن التواصل هو الدم الذي يسري في عروق أي علاقة. يمضي الزوج والزوجة بعض وقتهما في الكلام والاستماع، يشركون قلوبهم وليس فقط أجسادهم. يدفع الحب الآباء إلى الجلوس والتحدث مع أبنائهم، كما أن الأصدقاء يمضون بعضا من الوقت في الحكي عن حياتهم.

هل من المستحيل أن يتكلم الله مع الناس؟ لماذا؟ تكلم مع آدم وحواء كأب يتكلم مع أبناءه. تكلم مع موسى كما يتكلم الأصدقاء مع بعضهم البعض.

عندما جاء سيدنا عيسى، كلمة الله، قال لتلاميذه أنهم لم يعودوا خدامه بل أصدقاءه. قال بان لا أحد يملك حبا أعظم من أن يضحي الإنسان بنفسه من أجل الآخرين. تبين القصة الكبرى لمحبة الله بأن هذه المحبة انهارت بعد العصيان في الجنة، لكن الله أعاد بناء جسر الحب. وكان سيدنا عيسى حجر الزاوية.

تخيل أن رجلا أحب امرأة تسكن في الجانب الآخر من المحيط. في الأول كتب لها رسائل، بعد ذلك تحدث معها على الهاتف. وفي الأخير ركب طيارة وسافر إليها. عندما التقيا وجها لوجه كانا في قمة السعادة.

لهذا السبب بدأ بعض المسلمين في الدول العربية في التفكير في الله بطريقة جديدة وذلك بتسمية أنفسهم «عشاق الله». «يطرد حب الله كل خوف». (يوحنا الأولى ٤ : ١٨) يرجع لقاء الله عبر المسيح الناس إلى مكان لا إحساس فيه بالعار، ذلك المكان الذي عاش فيه آدم قبل أن يذنب. بتخلصنا من إحساس العار والذنب والخوف من العقاب، يمكننا أن نرتبط بالله بحب يتدفق بدون انقطاع من جبال السماء كشلال قوي.

إحساس آدم بالعار {السورة ٢٠: ١١٥-١٢٣}

بوقوفه أمام الله عاري الجسد والفكر، حاول آدم أن يخفي إحساسه بلا فائدة. نسج هو وحواء غطاء من ورق شجرة التين. نشترك معهم جميعا في هذا الإحساس بالعار. مازال أغلب الناس يغطون أجسادهم بالألبسة والأوشحة، والفساتين والسراويل وأحيانا الأعشاب. يعتبر العري في الفضاء العام إشارة على لا مبالاة تجاه الله.

نقرأ في التوراة بأن الله لم يقبل الغطاء المصنوع من أوراق الشجر. أعطى لآدم عوضا عنها غطاء جديدا. ذبح الله حيوانات وأعطى أدم وحواء جلودها لاستعمالها كغطاء. يعلمنا الله بأن أفعال الخير التي نقوم بها هي دائما غير كافية ومعيبة. إن أحسن غطاء للعار الذي نحس به هو التضحية التي يقدمها لنا. لهذا قال المسيح بأنه جاء ليس لأن يُخدم بل ليقدم هو نفسه فدية من أجلنا.

الفصل الواحد والعشرون

السورة ٢١: الأنبياء

أسماء محمد {السورة ٢١: ١٠٧}

تحمل هذه السورة رسالة بسيطة. تحول من الشرك إلى الاعتقاد في إله واحد وإيمان بمحمد.

تطرح الآية ١٠٧ سؤالا مهما. ما هي العلاقة بين أسماء محمد والأسماء الحسنى؟ مثلا في هذه الآية نقرأ بأن محمدا هو رحمة من الله:-

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

في الآية الأولى من ال سورة١ نقرأ بأن الله هو الرحيم. كمثال آخر، في السورة ٢٢ الآية ٦٤ وفي ال سورة٦١ الآية ٦ يسمى الله محمد «الحميد» في السورة ٦١ الآية ٦ يسمي الله محمد «أحمد».

يقدم كتاب دليل الخيرات لائحة ٩٩ اسم لله {الأسماء الحسنى} و٢٠١ اسم للنبي {أسماء النبي}. كل الأسماء لها نفس الجذر باستثناء أسماء الله التي تبدأ ب «ال».

مثل كل الرجال الذين عاشوا من قبله، ينحدر محمد من آدم وحواء. نعرف أن محمد مات كباقي الناس وعاد إلى التراب. رغم أن العديد من القادة عاشوا في التاريخ، فإننا لا نمجدهم. مثلا رغم أن موسى التقى بالله وتسلم منه الوصايا العشر فإنه يشترك مع كل الناس إنسانيته حيث يجري دم آدم في عروق الجميع. وكما قال أحد الأشخاص، يجب أن يجعل هذا الدم أعظم الملوك يحني رأسه وأدنى متسول أن يرفع رأسه.

تقول الآية ١٤٤ من السورة ٣:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ

أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ

الفصل الثاني والعشرون
السورة ٢٢: الحج

الجدال بغير علم {السورة ٢٢: ٨}

يعبر لي أصدقائي غالبا بحرية عن آرائهم حول الله، سيدنا عيسى، الإنجيل والقرآن. يلتقطوا بعض الأفكار هنا وهناك لكنهم لم يقرأوا كل آيات الكتاب المقدس والقرآن. يحذر القرآن من الجدل بغير علم {الآية ٨}:-

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ».

أكتب هذا الكتاب كحج من الجهل إلى المعرفة.

جهنم {السورة ٢٢: ١٩-٢٢}

يقدم القرآن صورة حية ومتناسقة عن جهنم:

هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

لا أستطيع أن أتصور شيئا أقبح من هذا الوصف. ألم شديد يدمر الجسد، لأن الماء المغلي يسقط على الجسد من أعلى. كل من يستطيع أن يجمع قواه ويهرب من العذاب، ستسقط عليه مقامع من حديد. كل هذا العذاب لا ينتهي أبدا. عذاب أبدي. ألم أبدي.

يشعر الناس اليوم بالإحباط أمام هذا الاعتقاد. تذكر هذه الصورة الكثير من الناس بقصص ما قبل النوم حول الوحوش التي لها أسنان حادة وتنتظر خارج البيت مستعدة لأكل كل طفل يعصى أوامر والديه. يردد الآباء نفس الحكاية: «لا تتسلل خارجا بعد سقوط الظلام وإلا فإن الوحش الذي له أعين صفراء وأسنان تقطر دما سيهجم عليك ويقتلع عينيك. إذا نسيت أن تنظف أسنانك، سيخرج الوحش من تحت سريرك وسيلتهم رجليك وفي الصباح ستجد نفسك بدون أرجل ولا عيون».

يقول ريتشارد دوكينز بأن إخبار الأطفال عن جهنم وأهوالها هو مؤذ لهم:-

«أشعر بالارتياح لأنني لم أجرب شخصيا وفعليا الاعتقاد في جهنم. لكنني أعتقد أنه يمكن أن نثبت أن مثل هذا الاعتقاد الراسخ يمكن أن يتسبب للأطفال في صدمة عقلية أكبر من التخويف المؤقت للأذى الجسدي.» *

من جهة أخرى قال لي رجل مسلم متعلم وغني بأن الناس تحتاج إلى قصص حول جهنم. لا يؤمن فعلا بالله لكنه يعتقد بأن المجتمع يحتاج لقصص تبث الخوف من جهنم حتى يستقيم الناس. {١١} يوقف الخوف من جهنم المجرمون ويجعل الناس يخضعون للقانون. بالنسبة إليه، تشبه جهنم ذلك الوحش ذا الأسنان الصفراء، إنها فقط قصة تحكى قبل النوم لحث الأطفال على تنظيف أسنانهم.

يستعمل القرآن كلمة جهنم ٧٧ مرة والنار ١٧٢ مرة والحرق ٤١ مرة {١٢} الكثير من الآيات تتكلم عن جهنم دون تسميتها. تذكر الجنة في القرآن ١٠٢ مرة بأشكال مختلفة. {١٣} يثبت القرآن فكرة أن المسلمين الصادقين سيستمتعون بلذات أبدية في حين أن غير المسلمين سينالون العذاب الأبدي.

لم يظهر مفهوم جهنم في القرآن لأول مرة. حذر عدد من الأنبياء الأولين وسيدنا عيسى المسيح بأن الأشرار سيهلكون في مكان مظلم بعيدا عن الله. تبين الأوبئة التي ضربت فرعون وقومه نتائج الابتعاد عن الله بطريقة متعمدة. الكلمة العبرية التي تصف هذا المكان المظلم المعزول عن الله هي «شيول» ويستعمل الإنجيل كلمة «هاديس». في أوقات أخرى نقرأ كيف أن سكان القدس الأقدمون كانوا يرمون أزبالهم وحتى الجثث في مطرح جيهينا العميق على هامش المدينة يمكن لكل من سمع سيدنا عيسى يصف جهينا أن يتخيل الدخان والرائحة النتنة.

بالمقارنة مع القرآن، يقدم الإنجيل تفاصيل قليلة عن جهنم. يقول الإنجيل:-

وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ. هذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي. وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوباً فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ.
(رؤيا يوحنا ٢٠: ١٤-١٥)

* http://www.conservapedia.com/Richard_Dawkins_and_Hell accessed 30-10-17.

يقول سيدنا عيسى فَيَمْضِي

هؤُلاءِ إِلى عِذابٍ أَبَدِيٍّ وَالأبْرارُ إِلى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. (متى ٢٥: ٤٦)

أزعجت فكرة جهنم أحد أصدقائي بشدة. كان يؤمن بالله ويحب سيدنا عيسى المسيح. تكلمنا كثيرا عن حب الله وعن مشكلة جهنم. يشترك معه كثير من الناس في هذه الأسئلة. كيف يمكن أن يكون الله هو المحبة الحقيقية ثم يدين الناس بعذاب أبدي؟

هذا مثال لرجل آخر كتب عن كيف أنه لا يستطيع أن يتخيل أن يعيش في الجنة في الوقت الذي يعاني فيه آخرون في جهنم:

«اسمح لي يا أله أن نتبادل الأماكن من فضلك. إذا كنت تتوقع مني أن أكون سعيدا وأنا أحلق في الجنة وأغني أناشيد عن رحمتك ولطفك وحبك كل اليوم، وانا أعرف أن بعض أصدقائي وآخرون يعانون في جهنم، فأنت خاطئ جداً... في الواقع، أصبحت جنتك جهنم بالنسبة لي.»

يطرح المسلمون عدة أسئلة حول جهنم. هل هي أبدية؟ هل يخرج الناس من جهنم بعد فترة من الزمن؟ هل سيمر كل المسلمون من جهنم؟ هل يذهب بعض المسلمون إلى جهنم ثم يخرجوا منها بعد أن يعاقبوا على بعض الذنوب الصغيرة. هل يمكن أن يخرج المسيحيون واليهود وعبدة الأوثان من جهنم؟ هل ستصبح جهنم فارغة يوما ما؟ يعتقد المذهب الأحمدي وآخرون بأن جهنم ستصبح فارغة بعد أن تتحرر كل الأرواح.

يقول حزقيال: «لإِنِّي لا أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا.» (حزقيال ١٨ :٣٢).

عندما اقترب سيدنا عيسى من القدس، نظر إلى المدينة وذرف الدموع.

انكسر قلبه شفقة بالناس المذنبين.

(لوقا ١٩: ٤١-٤٤)

أرسل الله سيدنا عيسى المسيح لأنه يحب الجنس البشري ولا يريد دماره.

أوحى الله بأن الجنة وجهنم هي أماكن حقيقية. أفهم من الإنجيل بأن الله سيحاسب كل البشر في آخر الزمان. سيمر البعض إلى الحياة الأبدية في حضور الله وآخرون سيذهبون إلى النار الأبدية.

إذا كانت جهنم حقيقية، ألا يعني ذلك بأن الله ليس بمحب فعلا؟ إذا كان الله محبا فعلا، هل يعني ذلك بأن جهنم غير موجودة؟ كيف يمكن لله أن يكون محبا ويعاقب المذنبين في جهنم؟ يبدو وكأن هذين الأمرين لا يمكنهما التواجد معا.

يعطينا سيدنا عيسى جوابا عن هذا السؤال. لأن الله محب فقد قدم لنا علاجا لمرض ذنوبنا. ولأنه عادل، فقد جعل العقاب ينزل على سيدنا عيسى المسيح فوق الصليب. من يؤمن بسيدنا عيسى فقد استحق الخلاص. من لم يقبل هذه التضحية فسيحاسب ويعذب في النار.

الله هو صالح و محب وعادل تماماً و كانت المحبة دافعاً لعرضه الغفران من خلال موت وقيامة سيدنا عيسى لأن يتطلب العدل من الله أن يعاقب من رفض تضحية حمل الله كما يتطلب العدل إعطاء من احتموا في دم الحمل الحياة الأبدية.

القدرة على الخلق {السورة ٢٢: ٧٣}

يمكن أن نقول بأن البشر قادرون على الخلق. ولكن الله وحده فقط يمكنه أن يخلق من لا شيء. يمكنه أن يخلق الحياة:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ

الأصنام والآلهة المزيفة لا قدرة لها. الآلهة المزيفة لا تخلق.

تذكرنا هذه الآية بالآية ١١٠ من السورة ٥:

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ

رغم أن الآلهة المزيفة لا تقدر أن تخلق شيئا، ولا حتى ذبابة، فإن هذه الآية تقول بأن لسيدنا عيسى المسيح علاقة وثيقة بالله وقد نفخ فيه ليخلق طيرا جديدا.

الفصل الثالث والعشرون

السورة ٢٣: المؤمنون

خلق البشر {السورة ٢٣: ١٢-١٤}

تمثل قصة خلق الطير من طرف سيدنا عيسى انتقالا جيدا للسورة ٢٣. إنها تقدم المراحل المتعددة لخلق البشر: الطين، المني، علقة، عظام، لحم. لست متأكدا إذا ما كان هذا وصفا لخلق أدم أم لخلق كل البشر. في كلتا الحالتين، اثبت الطب أن هذا الوصف لا يطابق التطور الفعلي للجنين في الرحم. ربما قد يكون المعنى شاعريا

هذه واحدة من عدة مرات يصف فيها القرآن خلق البشر. ما ذا تريد أن تقول لنا هذه الآيات؟ تريد أن تبين بأن للإنسان بداية متواضعة وأن الله هو القوي والخالق.

الفصل الرابع والعشرون

السورة ٢٤: النور

قوانين تنظم الجنس {السورة ٢٤: ٢-٣٣}

يتضمن القرآن تعليمات عملية حول أخلاق ممارسة الجنس، لنرى بعض هذه التعليمات:

- ما هو عقاب الزنا والفسوق؟ تقول الآية ٢ بأن الزاني والزانية يجلدون مائة جلدة دون رحمة.
- كم هو عدد الشهود لإثبات فعل الزنا على المحصنات؟ إذا لم يُحضر المدعي أربعة شهود، يُجلد ثمانون جلدة.
- يشهد الرجل خمس مرات بالله بأن زوجته زانية، والمرأة تشهد خمس مرات بأنها بريئة.
- كل شخص ارتكب الفاحشة يستحق أن يتزوج زانية مثله.
- يجب أن يغض الرجال من أبصارهم في الشارع، كما يجب على النساء أن يغطون جسدهم بلباس حتى يخفوا جمالهم.

«وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» {السورة ٢٤: ٣١}

- ـ تقول الآية ٥٨ بأنه يجب على الأطفال والعبيد الاستئذان قبل الدخول على البالغين قبل صلاة الفجر وبعد الظهيرة وبعد العشاء لأن في هذه الأوقات قد يخلع الناس ثيابهم.
- ـ تقول ال آية٦١ {ونفس الشيء الآية ٣١} أنه لا حرج على المؤمن أن يأكل مع أقربائه وأصدقائه.
- ـ تسمح الآية ٣٣ للعبيد بطلب أسيادهم أن يعتقوهم يمكن للمسلمين أن يحرروا عبدا إذا كان يستحق ذلك. لا يجب إجبار الفتيات على البغاء، لكن الآية تقول:

وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

سأل أصدقائي لماذا الغرب منحل أخلاقيا يمكنهم أن يجدوا عدة أمثلة على ذلك الإنحلال بمشاهدتهم للأفلام والأغاني.

جوابي البسيط لأصدقائي المسلمين هو أن الغرب ليس إمبراطورية مسيحية ولم يبعث سيدنا عيسى لإقامة مملكة دنيوية، نعم يوجد أتباع للمسيح في أمريكا ولكنهم أقلية في الحكومة، وسائل الإعلام، الرياضة، الموسيقى، الأفلام والتلفاز يرفض العديد من المسيحيين العمل بهوليود لأنه عالم بدون إله، إنهم يدركون أنه بعملهم هناك قد يسقطوا في الرذيلة كما سقط من اشتغل هناك قبلهم ولا يستطيع أن يشتغل في هوليود ويحافظ على طهارته إلا شخص قوي بحبه لله.

علم سيدنا عيسى وتلاميذه الناس الطهارة الجنسية:-

وَأَمِا الزِّنا وَكُلِ نجاسةٍ أَوْ طَمعٍ فَلا يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَما يَلِيقُ بِقِدِيسِينَ،٤ وَلا الْقَبَاحَةِ، وَلا كَلامُ السَّفاهَةِ، وَالْهَزْلِ الَّتِي لا تَلِيقُ، بَل بِالْحَرِيِّ الشُكْرُ.
(رسالة بولس إلىٰ آهل أفسس ٥: ٣-٤)

يعلِّم الإنجيل بأن الزواج هو بين رجل وامرأة كما يدين كل العلاقات الجنسية خارج الزواج كما يحذر من الشهوة الجنسية في القلب. يحارب أتباع سيدنا عيسى الإجهاض، الدعارة، أفلام الجنس، الإساءة الجنسية وعدة خطايا جنسية أخرى.

لماذا؟ لأن الله خلق الجنس كنعمة رائعة يتم الاستمتاع بها كجزء من حياة مشتركة و تعكس الحميمية بين الزوج وزوجته الحب الكامل الموجود في الله نفسه. عندما يتم التعبير عن الجنس خارج حدود الزواج، فإنه يصبح شهوة. لقد خلق البشر في الأصل من طرف الله من أجل علاقة طاهرة بينهم وبين الله وبين بعضهم البعض. تجاوز هذه الحدود الطاهرة يؤدي إلى لا شيء غير الظلام.

هل هناك أمل؟ هل يعيش الإنسان خالياً من الذنب إذا ما احتسب الذنوب الجنسية التي

اقترفها في القلب والعقل؟ كان غاندي يعتبر نموذجا مثاليا للالتزام بالدين، وقد كان معروفا عليه {أنه نام عاريا مع فتيات جميلات وشابات لعدد من السنوات وكان يختبر قدرته على ضبط النفس.

تفشل المجهودات الإنسانية في تجاوز الانكسار الجنسي فقد تحتاج الخطيئة الجنسية عفو الله وشفاءه حتى الملك داود ارتكب خطيئة جنسية فظيعة بارتكابه الخيانة مع زوجة أحد ضباط الجيش ولزيادة الطين بلة قام داود بقتل زوجها حتى لا يكتشف أنها حملت منه لأنه أصبح مجرد شبح أسود لذات سابقة، فقد تقدم داود نادما أمام الله ليطلب الغفران والمعافاة:

قلبا نقيا أخلق في يا الله، وروحا مستقيما جدد في داخلي
(المزامير ٥١: ٥)

. سيسرق طيف الخطيئة الجنسية في النهاية كل الضوء من الشخص إلا إذا عافاه الله. إن الله يبحث عن قلب مكسور ونادم يقترب من لمسة المحبة لسيدنا عيسى والتي هي تحرر من كل شهوة أو شهوانية وإن لمسته تشفي وتجلب السعادة الأبدية.

الفصل الخامس والعشرون

السورة ٢٥: الفرقان

هل تسمية الله محب كفر؟ {السورة ٢٥: ٦٠}

يمكن أن يسأل الكفار: «ما الرحمن؟». ويمكن أن يسأل المسلمون «ما الله؟».

ذات يوم التقت سيدة مسيحية بصديقتها المسلمة لشرب الشاي والتحدث عن الحياة. تكلمت السيدة المسلمة عن كيف كانت الحياة صعبة في بلدها حيث قتلت عدة جيوش آلاف السكان وهدمت مدنا كاملة. شربت السيدة المسيحية الشاي واستمعت باهتمام اتفقوا معاً على أن الحرب فظيعة ومأساوية وفي محاولة منها لتشجيع صديقتها قالت لها: "تعرفين إن الله يحبك».

صرخت في وجهها: «توقفي. لا يجب أن تقولي هذا. إنه كفر! لا يمكنك التكلم عن الله كما لو أنك تتكلمين عن إنسان».

كان لهذين السيدتين فكرتين مختلفتين عن معنى «الرحمن». يعتقد المسيحيون بأن الله روح، هل الله الذي خلق السمع والبصر لا يرانا ولا يسمعنا؟ تعتقد السيدة المسلمة بأن الله عظيم وهو فوق البشر لدرجة أنه لا يمكن التكلم عن اللهو عن حبه للبشر في نفس الوقت.

في الآية ٧٧، أمر القرآن محمد بأن يقول للكفار:-

قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا.

هل تعني الرحمن بأن الله يفعل أشياء رحيمة بالناس كأن يبعث المطر ليسقي الأرض؟ أو أنها تعني أن الله هو ذات شخصية تحب الناس بإرادتها ومشاعرها؟

قال الله:-

«كِبْتِ أَجْذِبُهُمْ بِحِبَالِ الْبَشَرِ، بِرُبُطِ الْمَحَبَّةِ، وَكِبْتِ لَهُمْ كَمَنْ يَرْفَعُ النِّيرَ عَنْ أَعْنَاقِهِمْ، وَمَدَدْتُ إِلَيْهِ مِطْعَمًا إِيَّاهُ.»

(هوشع ١١: ٤)

الفصل السادس والعشرون

السورة ٢٦: الشعراء

معنى واضح {السورة ٢٦: ٢}

بدأت بقراءة القرآن لأنني أعتقد انه يجب على كل شخص أن يستعمل العقل الذي وهبه الله، أؤمن بضرورة الوحي الإلهي والعقل البشري. يقول بعض الأصدقاء المسلمين بأن سماع القرآن يشبه نفحة من هواء نقي. هل استمعت إلى القرآن؟ نعم عدة مرات لكني أريد أن أمر إلى الخطوة الثانية وهي فهم الرسالة.

ذات مساء كنت أشرب الشاي في حديقة هادئة وكانت عائلة مسلمة تقوم بنزهة وتجلس حول مائدة فذهبت إليهم وعرضت عليهم الشاي وعندما كنا نتكلم ونشرب الشاي، فكرت في آية مثل هذه: «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ».

سألتهم: «هل تقرأون القرآن؟».

أجاب أحدهم: «إننا نأخذ دروساً لتعلم العربية، لا نفهم ما يقوله القرآن». قال الأب موافقا القول: «نعم، لا أفهمه».

بالنسبة لعدد من الناس يبقى القرآن غير مفهوم ويلجئون إلى التفاسير أو الشيوخ ليفهموا ما يعنيه وأحيانا عندما نتحدث عن القرآن يُطرح سؤال صعب يهاتف صديقي أستاذه لاستفساره. أحيانا يكون الجواب معروفا لديه لكنه يفضل دعمه برأي سلطة أعلى. أحياناٍ لا يعرف بماذا يجيب!

هل استعمال كتب التفسير ضروري لقراءة وفهم القرآن؟ يقرأ الناس الجرائد يوميا دون استعمال كتب التفسير.

ذات يوم شاهدت مدرساً يفسر آية قرأ الآية بلغة بسيطة ثم بدأ بعد ذلك يفسر كيف أن هذه الكلمة أو تلك الكلمة لا تعني ما تقوله صراحة فقال إنها تعني شيئا آخر، ثم فسر بأن الجملة

تعني شيئا آخر مختلفا عما قرأه، يجلس مئات المسلمين يستمعون لمدرسهم المفضل وهو يقول لهم بأن الآيات تعني بطريقة مختلفة عن عما تصرح به اللغة.

عندما كنت أجلس مع صديق مسلم الذي هو مدرس آخر ونشرب الشاي، كنت أستمع إليه وهو يشرح كيف أن المسلمين في شمال إفريقيا والكثير منهم في الشرق الأوسط ليسوا بمسلمين حقيقيين. تساءلت، إذا كانت رسالة القرآن واضحة لماذا يخطأ الناس في الوصول إلى معناها؟

يسألني أصدقائي غالبا هذا السؤال:-

«لماذا توجد فرق عديدة في المسيحية؟ هل رسالة الإنجيل واضحة أم لا؟». الجواب هو أن هناك أجزاء واضحة وأجزاء أخرى غير واضحة بالإضافة إلى ذلك هناك مجموعات دينية رفعت من قيمة تقليدها الديني ليتساوى مع الإنجيل أو يفوقه فقد تحدث أوغسطينوس عن الجواهر، لكن أهمها هو الإتفاق على وحدانية الله والتكفير عن الذنوب من خلال سيدنا عيسى المسيح.

عندما تلا محمد القرآن على أهل مكة والمدينة لم يكن لديه كتب تفسير فكان يتوقع مِن مَن يستمع إليه أن يفهموا لغته البسيطة. بعد موته، جمع أتباعه أقواله في كتب للحديث لكنهم لم يكونوا متفقين على أي منها صحيح وأي منها ليس كذلك. إذن لا يمكن اعتبار الحديث مساويا للقرآن الذي يقبله جميع المسلمين.

إذا كان معنى القرآن واضحاً وأظنه كذلك، ألا يجب على المسلمين أن يقرأوه ويعتمدوا أقل على الغرباء من المفسرين؟

الفصل السابع والعشرون

السورة ٢٧: النمل

الخضوع لإرادة الله {السورة ٢٧: ٩١}

يصرح محمد في ال آية٩١:-

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

تعني كلمة إسلام الخضوع فعندما ينتصر جيش في الحرب فإنه يجب على عدوه أن يستسلم ويجب أن ينحنوا إلى الأرض ليظهروا بأنهم انهزموا، حسب القرآن فالله ينتصر على المتمردين. أحيانا يدمرهم وأحيانا أخرى يجعلهم مسلمين صالحين.

ما هي غايات الله من خلق العالم ثم السماح للمتمردين بالعيش فيه؟ ألم يكن بإمكانه خلق عالم حيث يخضع له الكل؟ ما الذي يجعل الناس تنحرف عن الطريق الصحيح؟ لِم خلق الله متمردين سيكونون حطباً لنار جهنم في الوقت الذي بإمكانه خلق مسلمين صالحين معدين لملأ الجنة.

لماذا يريد الله العبيد أن يشتغلوا في حقوله؟ يقدم العبيد العمل لسيدهم. يحفرون ويحصدون ويشتغلون ويبنون، يستعملهم سيدهم لإنجاز شيء لنفسه، ولفعل شيء لا يستطيع تحقيقه بنفسه، استعمل فرعون العبيد لتشييد الأهرامات لأنه لا يمكنه زحزحة الصخر بنفسه كما أن المواطنين الأحرار لم تكن لهم رغبة في العمل اليدوي.

لا أحد يعتقد بأن الله خلق العبيد لأنه محتاج إلى مساعدتهم، مهمة المسلمين في الإسلامِ هي إقامة العدل والدين في الأرض. لكن لماذا هذه المهمة صعبة؟ لِم تتطلب جهدا جسدياً وروحياً؟ لم يُعط الله أصلا عبيده قدرة على التمرد ضده؟ حتى الفراعنة والقياصرة ابقوا

عبيدهم تحت السيطرة التامة. قاد موسى العبيد العبرانيين إلى الحرية لكن بمساعدة خارقة من الله إذا كان الأسياد من البشر يستطيعون التحكم في عبيدهم فلماذا سمح الله لعبيده بالتمرد عليه وبالكفر به وبالسخرية منه؟

من وجهة نظر الإنجيل هذه الأسئلة غير ضرورية. خلق آدم وحواء في الأول في علاقة صداقة مع الله عندما توقفت تلك الصداقة، أصبحا عبيدا للخطيئة. بعد ذلك أعطى الله لبني إسرائيل قوانين صارمة غير أن سيدنا عيسى أنهى العبودية وأعاد الصداقة مع الله. وضع حياته الخاصة حبا في أصدقائه.

الفصل الثامن والعشرون

السورة ٢٨: القصص

من هم الذين يحبهم الله؟ {السورة ٢٨: ٧٦}

يحكي القرآن حكاية موسى ونوح عدة مرات يبقى جوهر الرسالة غير متغير. كل من يتمرد على الله سيُدمر ومن يؤمن ويمارس الأعمال الصالحة سوف يُنقذ.

تقول الآية ٧٦:-

إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ.

يوضح القرآن بأن الله لا يحب المذنبين. كما ناقشنا ذلك سابقا، ليس واضحا بأن الله يحب أي شخص بنفس الطريقة التي نفهم بها الحب، بعض الناس يعتبرون قول ذلك كفرا.

إذا كان الله لا يحب المذنبين، هل يعني ذلك بأنه سيحب هذا الشخص إذا تاب؟ تخيل ملحداً يحب المال. يبدو من هذه الآية بأن الله لا يحب الملحدين الدنيويين. يجب أن نقول له: «الله لا يحبك». إذا تاب وأصبح مسلماً، يجب أن نقول له: «الآن، الله يحبك».

يقول الحب اللا مشروط بكل بساطة: «أحبك».

إذا كان الأمر كذلك، هل استحق الملحد السابق حب الله؟ يمكن أن نسمي هذا الحب المشروط، أو أحبك إذا أحببت. مثلا، يقول رجل لامرأته: «أحبك إذا مارست الجنس معي كل وقت أريد». ماذا يحدث لو أن زوجته لم تحس دائما بأنه يحبها؟ ماذا سيحدث إذا مرضت لشهور؟ هل سيطلقها ويتزوج امرأة أخرى؟ ماذا لو قال: «سأحبك إذا أنجبت لي ولدا»؟ بعد سنوات من الزواج، يقول لها: «لا ولد، لا حب، سأطلقك». أعرف عائلات تحدث فيها أشياء من هذا النوع.

يوجد هذا الحب المشروط بين البشر. نحب من يحبنا ومن يفعل شيئا من أجلنا.

قد يقول شخص ما: «يحب الله الناس الصالحين لأنهم يفعلون ما يأمرهم به ويخضعون له». هذا يعني أن الله يحب من يستحق حبه. يقول الحب اللا مشروط بكل بساطة: «أحبك». لا علاقة له بسلوك الأشخاص. زوج يحمل هذا الحب الذي يسمى اغابي (α'γάπη)، يقول لزوجته: «ربما لن تستطيعي أن تنجبي أطفالا لكني أحبك ولن أتخلى عنك».

الفصل التاسع والعشرون

السورة ٢٩: العنكبوت

كيف يمكننا أن نفعل شيئا صالحا؟ {السورة ٢٩: ٧}

ذات يوم اقترب طفل من أبيه فقال له: «أبي، محرك السيارة لا يعمل جيدا. إنه ضعيف جدا لدرجة أنني لا أستطيع أن أحمل كيس أرز من السوق إلى البيت».

استمع الأب في صمت وهو يفكر في حل فقال: «صحيح، أنت تحتاج لمحرك جديد. سأشتري محركاً جديدا إذا كنت قادرا على نقله أولا إلى البيت في سيارتك».

هل ترون استحالة تنفيذ هذا الحل؟ إذا قُدم الحل بهذه الصيغة فسوف لن يشتري الإبن محركا جديدا لماذا؟ لأن المحرك القديم به خلل إنه ضعيف جدا، كيف يمكنه استعمال المحرك القديم لنقل المحرك الجديد؟

إذا قلت لشخص ما: الله سيمحي الشر من داخلك، لكن يجب عليك أن تؤمن به وتعمل الأعمال الصالحة

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ

فإن ذلك يشبه قول الأب للإبن بأن ينقل المحرك الجديد بسيارته القديمة إن الشر الساكن بداخلنا يجعلنا ضعفاء وبالتالي غير قادرين على فعل الأعمال الصالحة.

نحاول أن نكون طاهرين من الناحية الجنسية «تذكروا غاندي» لكن قلوبنا وأعيننا تهيم شهوة فنحاول أن نكون كرماء لكن بداخلنا نشبه ذئاب جشعة ونحاول أن نصلي لكن ذهننا يبقى مشتتاً بسبب مشاغل الحياة نحاول العمل من أجل إحقاق العدل لكننا نفضل البقاء

مسترخين على أرائكنا تبقى أحسن مجهوداتنا غير كافية.

ينظر الإبن الكئيب إلى أبيه ويقول: «من فضلك أبي لا يمكنني أن أنقل المحرك الجديد إلى البيت مهما حاولت».

يقول الأب إذا كان فعلا أبا محباً : «طبعا بني، لنذهب معا ونشتري محركا جديداً ونعمل على تركيبه في سيارتك اليوم وهكذا ستتخلص من المحرك القديم وترميه في الزبالة».

في هذه الحالة يعتمد الإبن ١٠٠٪ على حب أبيه له ولم يقدم أي شيء مقابل إصلاح سيارته. يكون رده دائما هو ثقته بأبيه.

نفس الإله؟ {السورة ٢٩: ٤٦}

قرأنا بأن اليهود والنصارى مشركون لأنهم يعبدون آلهة أخرى مع الله فقد يتهم اليهود بعبادة عزير ويُتهم المسيحيون برفع مريم وسيدنا عيسى إلى مرتبة شركاء لله.

يبقى الشرك أكبر الخطايا لقد قرأنا بأن عقاب الشرك هو نار جهنم فقد أمر المسلمون بأن يقهروا المسيحيين واليهود حتى يؤدوا الجزية ويحسوا بأنهم خاضعين لحكم الإسلام في الأرض، كل من ارتكب الشرك فهو مشرك و ربما كان هناك أمل لليهود والمسيحيين الذين لم يتلقوا رسالة الإسلام، أما من سمع الرسالة ورفضها فإنه يحسب من المعتدين.

فجأة نقرأ آية مخالفة لهذا المعنى، تقول الآية ٤٦:

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

هذا أمر معقد جدا فكيف يمكن لهذه الآية أن تعني بان المسلمين عندما يسجدون في مساجدهم فهم يسجدون لنفس الإله الذي يعبده المسيحيون في كنائسهم واليهود في معابدهم؟ حتى وإن عبد اليهود والمسيحيون والمسلمون نفس الإله، ألن يعاقب الله أهل الكتاب الذين جعلوا له شركاء؟ هل تقول لنا هذه الآية بأن اليهود والمسيحيين لم يرتكبوا شركاً ؟ إذا كان الأمر كذلك فيجب أن أتفق مع هذه الآية، بالإضافة إلى ذلك تقر هذه الآية صحة التوراة والزبور والإنجيل. لا تقول بأنهم حرفوا ولكنهم يستحقوا الثقة.

سنوات مضت كنت مسافرا على متن باخرة فاقترب مني أحد المسافرين اللطفاء. تعارفنا وتحدثنا لبعض الوقت. أطرى على أبنائي وسألني: «هل بحثت في الإسلام؟».

«نعم قرأت بعض القرآن ودرست الإسلام وقرأت الكتب السابقة».

«هل تعرف أننا نعبد نفس الإله ونشترك في عدد من الأنبياء لا يمكنني أن أكون مؤمناً

حقيقياً إلا إذا أحببت سيدنا عيسى، سأكون سعيدا إذا أصبحت مسلما».

شكرته على الكلمات الجميلة التي قالها في حق أبنائي وودعته في الميناء.

هل كلنا نعبد الله؟ لنكن حذرين هنا فقد سألني عدد من الأصدقاء المسيحيين نفس السؤال. هل يهوه في التوراة والله في الإنجيل والله في القرآن نفس الشخص؟ يقول اليهود بأن يهوه أرسل موسى وداود ولم يرسل سيدنا عيسى ومحمد يعتقد المسيحيون في التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل لكنهم لا يؤمنون بمحمد كنبي، هذا ليس نقدا ولكنه تقرير لما هو واضح.

إذا قلنا بأن اليهود والمسيحيين والمسلمين يعبدون خالقاً واحداً، فهذا صحيح جدا. غير أن ذلك لا أنهم يعني أنه يعتقدون نفس الأشياء عنه، من هو الله؟ يجيب كل دين عن السؤال بطريقة مختلفة. لو كان الأمر عكس ذلك لكانوا دينا واحدا.

يصبح النقاش أكثر تعقيدا إذا ما قفزنا إلى الآية ١٠٩:

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

يبدو أن هذا هو الإيمان المعياري للإسلام. إنه يرفض كل الديانات. لا يتفق الشرك في أي شكل مع العقيدة التوحيدية للإسلام.

بالإضافة إلى هذا الاختلاف في الاعتقاد، هناك أيضا اختلاف في الطقوس الدينية. توجد في الإسلام خمسة أركان: الشهادة، الصلاة، الزكاة، الصوم والحج و توجد عدة طوائف في اليهودية والمسيحية بطقوس تعبدية مختلفة هذا الإختلاف في الاعتقاد والطقوس يجعل اليهودية والمسيحية والإسلام ديانات مختلفة.

تخيل صديقين كان لهما حديثا عن ملك بلادهم أحدهم مقتنع جدا بأن الملك شاب أنيق في حين أن الآخر يعتقد أنه طاعن في السن، يعتقد الأول أن الملك شارك في حربين، في حين أن الثاني يعتقد بأنه رجل مسالم، يتفق الإثنان على أن للبلد ملكاً، لكنهم يختلفون في تفاصيل هويته، لكن لا يمكن أن يكونا معا صائبين.

إن حديثنا هو حول شخص أعظم من ملك من البشر هو الله هو حاكم هذا الكون. خلقه وشاركه مع الجنس البشري، ويسمح لنا بصنع الكمبيوتر وتكوين عائلات، مهم جدا أن نعرف الحقيقة حول الملك الإلهي الذى يتوقف كل شيء على معرفة هويته الحقيقية.

الفصل الثلاثون

السورة ٣٠: الروم

الطوائف الإسلامية {السورة ٣٠: ٣٢}

لا ينظر القرآن إلى الطوائف بعين الرضا. يقول القرآن:

مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

يحكي التاريخ عن صراع قاتل في بداية الإسلام. بعد وفاة محمد، تم اغتيال ثلاثة من خلفائه. كانوا عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

في السنوات التي تلت، تكونت العديد من الطوائف داخل التيار الشيعي والسني. للسنة خمس مذاهب في الفقه: الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي والظاهري للشيعة مذاهب كذلك كشيعة الأئمة الخمسة والسبعة والاثنا عشر، ظهر القرامطة الإسماعيليون والفاطميون والدروز من مذهب شيعة الأئمة السبعة. انقسمت إلى نزارية ومستعلية بالإضافة إلى ذلك، أوجدت الشيعة الإمامية الفقه الجعفري كما انقسمت شيعة الأئمة الإثنا عشر إلى عدة طوائف.

لائحة الطوائف والمذاهب طويلة جدا لكن المسلمون يشتركون في الشهادة وفي إيمانهم بالقرآن.

للمسيحيين عدد كبير من الطوائف، كذلك. هناك الكاثوليك الرومان والأرثودوكس الشرقيون. منذ ٥٠٠ سنة قام الإصلاح البروتستانتي بخلق حركة جديدة من الكنائس مستقلة عن البابا الروماني. تكونت عدد من المجموعات الفرعية من هذه الحركة الجديدة. تميزت بعض الكنائس باللغة والطبقة الاجتماعية في حين أن أخرى اختلفت حول المعتقدات. رغم وجود عدة أسئلة حول عدة أشياء كتنظيمات الكنائس والمجيء الثاني للمسيح وينظر المسيحيون إلى المسيح على أنه المنقذ من الذنوب.

ماذا يوجد في الطبيعة البشرية الذي يدفعنا نحو الاختلاف عوض الوحدة؟

الفصل الواحد والثلاثون

السورة ٣١: لقمان

ملء الأرض بالكلمات {السورة ٣١: ٢٧}

يقول هذا المقطع الرائع من القرآن:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

أسسنا منذ البداية لفكرة أن كلمة الله واحدة. ألقى الله من خلال سيدنا عيسى المسيح كلمته لعالم يحتضر. إذا كان العالم مملوءة بكلمات الله، ألا يجعلنا نركز بطريقة خاصة على كلمة الله؟

كتب يوحنا، أحد أتباع سيدنا عيسى:

وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت كلها واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة. آمين

لا تكفي بحار من المداد لكتابة حب وأعمال سيدنا عيسى كلمة الله.

الفصل الثاني والثلاثون

السورة ٣٢: السجدة

مصيرهم جهنم {السورة ٣٢: ١٣}

يُتعبني التفكير في طبيعة القلب البشري. هل للقلب حرية الإرادة؟ هل يستطيع الإنسان أن يختار مستقبله؟ هل يستطيع الإنسان أن يختار بكل حرية عبادة الله؟ هل قرر الله مصير كل إنسان بصفة نهائية ولا رجعة فيها؟

تقول الآية ١٣:-

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

حاول المسيحيون لقرون فهم العلاقة بين إرادة الله العليا والإرادة الحرة للإنسان. هل يمكن لإنسان أن يختار بحرية أن يتوب ويؤمن بسيدنا عيسى المسيح؟ إذا لم يكن ذلك ممكنا، لماذا يخلق الله بشرا بهدف جعلهم حطباً لنار جهنم.

أجاب معظم المسيحيين عن هذا السؤال بالتأكيد على حب الله والإرادة الحرة للإنسان. يقولون بأن الله يرغب في إقامة علاقة مع مخلوقات تحبه وتخضع له بكل حرية. إذا كان المحبة بالإكراه، فليست تلك محبة على الإطلاق، لا يمكن لرجل أن يرغم امرأة على حبه. حالما يستعمل القوة يتحطم الحب كما يتحطم كوب شاي.

إذا أراد الله حباً حقيقياً من المخلوقات البشرية، فلا يمكنه إكراههم على هذا الحب فكان بإمكانه أن يجعل كل البشر طاهرين بدون ذنوب كما خلق الملائكة بدون القدرة على حب الله بكل حرية، هل نكون فعلا بشرا؟

الفصل الثالث والثلاثون

السورة ٣٣: الأحزاب

حياة محمد {السورة ٣٣}

كتب الكثير عن هذه السورة في كتب أخرى. سأكتفي ببعض التعاليق.

أولا:- التبني ليس ممارسة إسلامية. ذات يوم أخذ محمد نظرة سريعة إلى زوجة إبنه بالتبني زيد. كان اسمها زينب. طلق زيد زينب وتزوجها محمد. في الإسلام لا يوجد التبني. ولهذا ليس بمشكل أن يتزوج رجل مسلم زوجة ابنه بالتبني المطلقة. تقول الآية ٣٧:

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

ثانياً:- لقد صرحت الآية ٥٠ لمحمد الزواج بعدد غير محدد من المؤمنات والمملوكات الذين سجنوا في الحرب، وبنات العم والخال وغيرهم من النساء. تؤكد كتب التاريخ بأن محمد تزوج على الأقل ١١ امرأة، و٤ مما ملكت اليمين وحصلت ٤ طالقات فكانت زينب الزوجة الخامسة لمحمد تصرح له هذه الآية أن يتزوج أكثر من أربع نساء الذي هو العدد المسموح به لباقي الرجال المسلمين (ال آية ٣ من السورة ٤).

ثالثاً، كان واجباً على المسلمين أن لا يؤذوا محمد فتقول الآية ٥٧:-

«إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا».

يقول هذا المقطع بأن المسلمين كانوا يزورون الرسول ويبقون معه ويتحدثون معه لمدة طويلة. وقد كان محمد محرجاً ولم يستطع أن يطلب منهم المغادرة فحذر الله المسلمين من إيذائه.

الفصل الرابع والثلاثون

السورة ٣٤: سبأ

تحذيرات أكثر {السورة ٣٤}

يوضح القرآن بأن محمد لم يكن بكاهن ولم يكن كاذب يتدافع عدة مقاطع عن محمد كرسول. كان للكافرين والمنافقين أسبابهم في رفض محمد فطلبوا منه إشارات على صدق نبوته، غير أن محمد لم يقل شيئا غير أنه أوحي إليه القرآن فقالوا بأنه يحكي لهم أساطير الأولين، وكان يجيبهم بأن رسالته هو وحي جديد يؤكد الكتب السابقة أنه حذرهم بكل صرامة وتفصيل من العذاب الأليم الذي سيلاقونه يوم الحساب فا ضحكوا منه لكنه ذكرهم بأنهم سيلاقون العذاب.

الفصل الخامس والثلاثون

السورة ٣٥: فاطر

ما ترك على ظهرها من دابة {السورة ٣٥: ٤٥}

كل الناس مذنبون بمستويات مختلفة، هذا ما يقوله الإنجيل، ما الذي يجعل البشر يضلون؟ ما الذي يجعل خلق الله الجميل يتحول إلى القبح؟

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابّةٍ وَلَـٰكِنْ يُؤَخّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنّ اللّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا

حكى لي أصدقائي هذه الحكاية منذ سنوات أن كان يوجد قاضي عادل يحكم مدينة. ذات يوم أحضرت الشرطة شاباً إلى المحكمة أتهم بسرعة القيادة في وسط المدينة معرضا أرواح الجميع للخطر فنظر إلى الشاب فرأى إبنه أمامه فكان يحب إبنه لكنه كان يحب العدل أيضا.

سأله القاضي: «هل أنت مذنب؟».

قال الشاب ورأسه منحنى خجلاً: «نعم معاليك».

«إذن أعلن أنا القاضي أنك مذنب وأحكم عليك ب ٣٠ يوماً في السجن أو غرامة ١٠٠٠٠ دولار».

«نعم معاليك». كان الشاب يخشى أن ينظر إلى القاضي وأبيه.

فجأة وقف القاضي، ابتعد عن الكرسي ونزع بذلته السوداء. «أنا أدينك كقاضي لكني أعفو عنك كأب». نزل من مكانه وتوجه نحو ضابط الشرطة وقال له: «سأؤدي الغرامة بنفسي، تفضل».

توضح لنا هذه الحكاية شيئاً عن الله يتطلب عدله أن يعاقب من يرتكب الذنب. إذا كانت الآية ٤٥ صحيحة، وأعتقد أنها كذلك، بأن كل البشر مذنبون ويستحقون الموت، إذن سيكون الله غير عادل إذا لم يعاقب من أذنب فتخيل أن القاضي قال: «لا أكثرت لما فعلت إذهب فأنت حر».

إذا كنا مذنبين والله محب وعادل، يجب على الله أن يعطينا حلا يمنحنا العفو وفي نفس الوقت يسقط غضبه على أفعالنا الخاطئة.

الفصل السادس والثلاثون

السورة ٣٦: ياسين

مدان {السورة ٣٦: ٦}

من بين الأفكار الأساسية التي عبر عنها القرآن هي أن الله أرسل محمدا للعرب المشركين لأنهم كانوا يعيشون في جاهلية ولم يكن لديهم أنبياء ولا كتب ولا رموز ولا معرفة بالله ولم يكن العرب يهودا أو نصارى لقد ملأ سكان مكة الكعبة بالأصنام.

غير أن المسلمين يعتقدون كذلك بأن إبراهيم وإسماعيل سافرا إلى مكة وبنيا الكعبة وأن يبين التاريخ بأن العرب كانوا يعرفون الله قبل ميلاد محمد فقد كان اسم أبي محمد هو عبد الله فقد استعمل المسيحيون السريان الرحمن كإسم لسيدنا عيسى. انتشرت قصص نوح، لوط، إبراهيم، موسى، داود وسليمان بين القبائل والرحالة والتجار الذين كانوا يتجولون في صحاري الجزيرة العربية.

ا هو هدف القرآن حسب الآية ٦؟

لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ

لا تقول هذه الآية بأن التوراة والزبور والإنجيل محرفون. لكن الآية تقول بان آباءهم لم ينذروا، وماذا عن الكعبة التي قيل في القرآن بأنها بنيت من طرف النبي إبراهيم؟

من جهة أخرى إذا كان العرب قد تلقوا وحيا من الله قبل القرآن ومن الأكيد أنهم كانوا يعرفون عن الله كخالق أعلى لماذا تتحدث الآية ٦ عن العرب كجاهلين للحقيقة.

لنفترض بأن العرب لم يسمعوا أبدا عن الله أو كتابه لأنهم كانوا يعيشون بدون وحي من الله فقد عبدوا الأصنام، إذا لم تكن لهم معرفة بالله ولا بإرادته، لم سيعاملون كمذنبين؟

كنا نجلس في غرفة جلوس ببيت صديق نتناقش عن الإنجيل والله فا سألني: «هل سيكون من العدل أن نحاسب إنساناً على فعل لم يكن يعرف أصلا أنه خطأ؟».

ثم أكمل: «إذا كان الله يدين الناس الدين يرفضونه، لماذا لا نترك الوثنيين وشأنهم حتى لا يتهموا برفض الله؟ إذا قلت لهم بأن الله موجود، فأنت تفعل شيئا أسوأ من تركهم في الجاهلية».

أنا متأكد من أن العلماء المسلمين لهم أجوبة عن هذه الأسئلة. يجيب الإنجيل عن هذا السؤال بهذه الطريقة.

أولا: - لقد عبّر الله عن وجوده من خلال خلقه فتشير عظمة وشكل وجمال الكون إلى وجود خالق.

ثانيا: - يقول الإنجيل بأن الله كتب قانونه على القلوب البشرية فالبشارة هي أن سيدنا عيسى لم يأت لهذا العالم ليدين العالم، ولكنه قدم لهم الخلاص من خلاله.

الفصل السابع والثلاثون

السورة ٣٧: الصافات

التضحية والفداء العظيم {السورة ٣٧: ١٠٢-١٠٧}

قليلة هي القصص التي تحزننا مثل قصة تقديم إبراهيم لإبنه كقربان لله على الجبل ظهرت هذه القصة أولا في التوراة زار الله إبراهيم وقال له بأن يأخذ إبنه إلى الجبل ويقدمه هناك كقربان محروق.

يصعب تخيل هذه القصة كم هو العذاب الداخلي الذي أحسه بإبراهيم؟ كان عليه أن يذبح ابنه المحبوب الذي هو عطاء من الله، وأن ينتظر بصبر وابنه يحترق أمامه. كيف كان بإمكانه تحمل وجع قلبه وهو يتمزق ألما على ابنه وهو ينظر إلى عينيه الواثقتين فيه؟ كان ذلك امتحانا أقصى للإيمان.

لا يسمي القرآن الإبن، لكن التوراة تقول بأنه إسحاق، الإبن المعجزة لإبراهيم وسارة. أخذ إبراهيم إسحاق واثنين من خدمه إلى جبل تلبية لأمر الله عندما وصلوا، أمر إبراهيم الخادمين بالانتظار في الأسفل صعد الجبل هو وإسحاق حاملا معه بعض الحطب.

سأله إبنه: «أبي؟».

«نعم إبني».

«أوقدت نارا وأحضرت حطباً، لكن أين هو الحمل الذي سيقدم كقربان محروق».

بنى إبراهيم مذبحا وغطاه بالحطب، ربط ابنه ووضعه فوقه ثم بعد ذلك أخذ السكين ليذبحه.

في تلك اللحظة ناداه ملاك: «إبراهيم، إبراهيم».

«نعم أنا هنا».

مد إبراهيم يده ليذبح إبنه.

«لا تفعل شيئا للطفل، الآن اعرف أنك تخاف الله لأنك لم ترفض أمر الله بذبح ابنك الوحيد الذي هو عطاء مني» نظر إبراهيم حوله فرأى كبشاً يرعى بين الأشجار فقبض إبراهيم على الكبش وقدمه عوض ابنه قرباناً لله لهذا سمي إبراهيم هذا المكان ب «الله يعطي» أي أب أو أم صالحان يفضلون عدم التحدث عن تفاصيل هذه القصة فعندما يمرض أحد الأبناء يتمنى الآباء لو كانوا مكانهم وتحملوا الألم عوضا عنهم، من يستطيع تحمل فقدان ابن؟ رغم ذلك أمر الله إبراهيم بأن يفعل المستحيل.

ينقص شيئان في هذا اللغز: -

أولاً: ماذا كان إبراهيم يتوقع من الله أن يفعل من أجله لو ضحى بإسحاق؟

ثانيا: ما هي دلالة الكبش الذي كان يرعى بين الأشجار؟

يبدأ حل هذا اللغز من الوعد لم يكن إسحاق إبناً عادياً ولد كمعجزة من أب وأم طاعنين في السن وأكثر من ذلك فقد كان إسحاق إبن الوعد وعده الله بأنه سيصبح رجلا وستكون له ذرية عددها أكثر من النجوم في السماء وحبات الرمل في البحار. عندما طلب الله من إبراهيم بتقديم إبنه كقربان على المذبح، بدا ذلك متناقضا مع الوعد فكيف يمكن لطفل ميت ومحروق أن يكون له أي مستقبل؟ مستحيل.

ربما ليس كذلك فكان إبراهيم يؤمن بطريقة غير عادية في وعود الله.

ها هو الجواب:-

> بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ الَّذِي قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا، الَّذِي مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضًا فِي مِثَالٍ.
> (رسالة بولس إلى العبرانيين ١١: ١٧-١٩)

كان إبراهيم راغباً في تجريب المستحيل لأنه كان على ثقة بأن الله سيحيي إسحاق ويجعله يكبر ليصبح رجلا قوياً وأباً للأمم لكن لماذا خضع إبراهيم لكل هذا العذاب؟

نعم أمتحن الله إيمانه فنحن نحتاج لجزء أخر من اللغز، تقول الآية ١٠٧:-

> وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ.

تتفق التوراة على هذا الأمر، أنقذ الله إسحاق من الموت بإرساله لبدل قبل الله الكبش في مكان الطفل.

هناك جواب ثاني:

قصة فدي إبن إبراهيم هي قصة لأعظم تضحية تتم عبر بدل فكر في الأمر كان بإمكان الله أن يدع إسحاق يمر من هذه المحنة، يذبح ويحرق ويبعث ثانية عوض ذلك، اكتفى الله بقبول أضحية في مكانه.

لاحظنا سابقاً بأن أحسن تضحية هي تلك التي يهيئها لنفسه فقد ضحى بالحيوانات الأولى من أجل آدم وحواء التقى بموسى قرب شجرة أضاءها بنور بالنسبة لإبراهيم وإبنه قدم كبشا.

في طريقه إلى أعلى الجبل، قال إبراهيم لإبنه: «سيعطينا الله كبشاً». قال تلك الكلمات كتنبؤ. آلاف السنين بعد ذلك، قدم الله حمل آخر وأكمل التضحية.

قال النبي إشعياء بأن حمل الله

> كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.٧ ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.
>
> (إشعياء ٥٣ : ٦-٧).

كلنا ضللنا مثل الغنم، ملنا كل إلى طريقه، لكن الله وضع كل آثامنا على الحمل المثالي.

أصبحت الصورة أكثر وضوحا بهذين الجوابين وكان إبراهيم يعتقد بأن الله سيحيي إسحاق إبن الوعد ويجعله أبا للأمم وهذه القصة هي حكاية رمزية عن التضحية الكبرى التي ستنقذها وتفدي ذنوبنا.

في طريقه إلى أعلى الجبل، قال إبراهيم لإبنه: «سيعطينا الله كبشاً».

الفصل الثامن والثلاثون

السورة ٣٨: ص

معلومات أكثر حول الجنة {السورة ٣٨: ٤٩-٥٣}

ذات يوم تحدث مسلم ومسيحي عن الآخرة. قال المسيحي بأنه يأمل في الوصول إلى السماء وقال المسلم بأنه يتطلع لمكان اسمه الجنة. رغم أن الفكرتين معا تصفان الآخرة، فإنهما ليسا بمكان واحد. ما حقيقتهما؟ ومن سيذهب هناك؟ تبادل الصديقين آرائهما المختلفة.

كما يحدث عادة تم التطرق إلى موضوع الحور العين. قال المسلم «أظن أن المسيحيين يحسدوننا على الجنة المسلمة، لهذا فأنتم تثيرون دائماً موضوع الحور العين».

أجاب الرجل الآخر: «لا. لا نحسدكم، لكن ما الذي يكون أحسن إمتاعاً ومجداً من العيش وجها لوجه في حضور الله المحب؟».

تقدم السورة تفاصيل عن الجنة والأجر الذي ينتظر المؤمنين، يعد القرآن المؤمنين الصادقين أنهار من الشراب والماء العذب والحور العين، ربما تكون هذه الآيات ذات طبيعة رمزية. أليست هذه طريقة شاعرية للتعبير عن مكان ممتع ومريح بطريقة غير عادية؟ لست متأكدا من ذلك.

قد تكون لهذه الآيات تأويلا حرفيا فقد رأينا من قبل كيف أن الله يسمح للمسلمين بالزواج من أربع نساء وعدد لا محدود من ملكات اليمين وسوف لن يكون هناك تناقض إذا ما كان مسموحاً في الجنة للرجال بالزواج من عدة زوجات على أساس معاملتهم بالعدل فكيف ستُعامل النساء المسلمات في الجنة؟

أجدني في هذا المفترق أواجه عدة تأويلات مختلفة، يقول سيدنا عيسى المسيح بأنه عندما يبعث الناس، فلن يتزوجوا ولكنهم سيكونون ملائكة في السماء يعتقد المسيحيون بأن

الزواج وولادة الأبناء ينتمون لهذا العالم فقط سوف لن تكون هناك علاقات جنسية في السماء وسيعوضون اللذات الجنسية العابرة بلذات أبدية حيث يتمتعون بصداقات عظيمة مع بعضهم البعض ومع الله وبتمجيده للأبد.

الفصل التاسع والثلاثون

السورة ٣٩: الزمر

السورة ٤٠: غافر

أو المؤمنين

مزيدا من الجزاء والحساب {السورة ٣٩ و٤٠}

تتسارع قراءتنا مع سور أقصر فأقصر فيحذَّر الكافرون مراراً وتكراراً من نار جهنم وتتم طمأنة المؤمنين بأنهم سيدخلون الجنة والنار في جهنم وأنهار في الجنة سيتعرض الجن والمشركون للعذاب الأليم وسيتمتع المؤمنون والملائكة بلذات دائمة.

ذات مساء كنت جالساً أنا وعائلتي مع بعض الأصدقاء المسلمين فتحول النقاش إلى موضوع الآخرة تساءلنا: «كيف ستكون الجنة؟ وكيف يصف الإنجيل الجنة؟».

قال أحد الأصدقاء: «ستكون الجنة ممتعة بأنهارها وحدائقها، أليس كذلك؟».

أجبته: «يبدو ذلك جميلا. هل تأملون في رؤية الله وإقامة علاقة محبة معه؟».

قال: «من الصعب الإجابة عن هذا السؤال. ماذا يقول الإنجيل عن هذا الموضوع؟».

للجواب عن هذا السؤال سأعود بالذاكرة إلى طفولتي لقد ماتت جدتي في أواخر الستينيات عمرها بسبب مرض في الرئة فكانت من الناس المفضلين لدي، كلها حب وابتسامة لقد بكت أمي لفقدانها وشعرنا كلنا بالحزن الشديد في الأيام التي تلت موتها و خلال الأسبوع الخاص بمراسيم الدفن بقيت مع أخ وأخت جدتي.

ذات مساء رأتني أخت جدتي جالساً وحدي في غرفة الجلوس لقد جاءت و جلست بجانبي

وقالت: «هل يمكنني أن أريك شيئا رائعاً؟ ذهبت جدتك عنا الآن لكننا يمكن أن نراها مرة أخرى في السماء».

أثارت انتباهي.

قالت لي «استمع لهذه الكلمات من الإنجيل»:

وسمعت صوتا عظيماً من السماء قائلا: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلها لهم.

وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. ٤ وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ.

(رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢١: ٣-٤)

استمعت وأنا أنظر إلى حديقة بيتها الكبيرة في الخلف فكانت شجرة ضخمة تقف شامخة على اليسار وفروعها تمتد كسلم إلى السماء فقد امتد العشب وراء الشجرة حيث يزرع زوجها الخضراوات وعلى حافة الحديقة ترتفع أشجار فوق كل الحديقة.

أكملت أخت جدتي حديثها: «عندما يعود المسيح سيجعل كل شيء جديداً وستنزل مدينة مساحتها آلاف الكيلومترات من السماء. تتكون جدرانها من حجر يشبه الذهب الخاص واليشب وستكون أسسها من أحجار كريمة أخرى وستكون أبوابها من الجوهر وشوارعها شفافة كالزجاج».

لقد ملأت الأحجار كريمة مخيلتي قرأت المزيد:

وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلاً، لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَالْخَرُوفُ هَيْكَلُهَا. وَالْمَدِينَةُ لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْخَرُوفُ سِرَاجُهَا.

(رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢١: ٢٢-٢٣)

هل رأيتم ما حدث لي تلك الظهيرة بعد موت جدتي فقد أدركت بتحديقي في حديقة أخت

جدتي، وسماع حديثها عن السماء والتفكير في الدنيا والآخرة أن شيئا تغير في للأبد في ات يوم سأقوم باستبدال عظيم سأستبدل هذه اللذات الحسية بلذات روحية لأنني لن أعود مرتاحاً للذات الدنيوية سأبحث عن اطمئنان حقيقي في حضور الله و السماء هي الله، ماذا سأريد أكثر من ذلك؟

الفصل الأربعون

السورة ٤١: فصلت

لماذا يوجد الشر؟ {السورة ٤١: ٤٩}

تبدأ قصة آدم وحواء بحقيقة أن الله محب وقوي. ورغم ذلك يوجد الشر في العالم ليس البشر فقط من يؤذي بعضهم البعض بالغش، والكذب والإساءة في استعمال الجنس والقتل، ولكن أيضاً الزلازل تهدم المنازل والتسونامي يغرق مدنا ويقتل الناس الأبرياء.

تقول السورة ٤٩:

لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ

تؤكد هذه الآية بأن الناس في كل زمان يفقدون إيمانهم بطيبة الله عندما يتعرضون للألم. «إذا كان الله يحبني، لماذا ماتت عائلتي في الزلزال؟».

كنت أجلس مع أصدقائي نحتسي قهوة عربية. تحدثنا وضحكنا حيث كان أطفالهم يؤنسوننا فكان رضيعهم ذو الأربع سنوات قويا وبديناً، كما يجب أن يكون، كان الكل يستمتع بقفزه على أحضانهم.

لكن هدوئاً ساد عندما بدأت صديقة تحكي عن فقدانها لعائلتها في الحرب كان عمرها ٢٥ عاما عندما دفنت أبناءها وبناتها الصغار والأبرياء. كانت أخذت صورا لهم.

أخذنا هاتفها واحدا تلو الآخر لننظر إلى الصور المؤلمة لأطفالها كانت ابنتها اللطيفة ملفوفة في ثوب أبيض وكأنها تنام فترة القيلولة كان وجهها طاهرا وجميلا.

أظهرت الصورة الموالية ابنها الصغير يبدو أنه قتل جراء انفجار قنبلة تركت تمزقات في جسده، كان يلبس لباس اللعب وعلى ما يبدو فقد كان يلعب وقت الانفجار. كان رأسه متكئاً

على جنبه ورغم آثار الدم على وجهه، كان ينام في سلام

لماذا يوجد الشر؟

أعـدت الهاتف لصاحبته لأنني لم أستطع الاستمرار في المشاهدة، لم تؤذي القنابل أبنائي، لكن كيف لي أن يكون قلبي قاسيا ليشاهد صورة أطفال أبرياء يُقتلوا بهذه الطريقة؟

في مناسبة أخرى، انفجر صديق غضباً وأراد أن يعرف لماذا سمح الله بأن يحترق سكن بنات حيث لم يكن لديهم أي مخرج للهروب، كان أحدهم قد أقفل الأبواب حتى لا تتسلل البنات إلى الخارج ليلاً، أثرت هذه الفاجعة على مئات من أعضاء عائلاتهم وأصدقائهم ثم رفع صوته وقال:-

«تقولون بأن الله موجود وأنه شق البحر الأحمر للعبرانيين وأنه أحيا سيدنا عيسى من الموت قولوا لي، هل كان صعباً عليه بأن يفتح الأبواب لهؤلاء البنات؟ قولوا لي أرجوكم»

في المائة سنة الأخيرة أصبح العديد من الكتاب مشهورين وأثرياء لأنهم يسألون أسئلة تتهم الله إذا كان الله كله قوة ومحبة، لماذا لا يتوقف عن المعاناة، عندما يحدث مكروه لإنسان فإن الله يعطينا الأمل جميعاً، إن من يفقدون الثقة في الله يجدون ما يواسيهم في تقسيم يأسهم على بعضهم البعض.

سألت عددا من الأصدقاء: «كيف يمكن لله المحب أن يسمح بأن يعاني الناس وأن يوجد الشر، ما رأيكم؟».

أجاب أحدهم: «بسبب حرية الإرادة».

قال آخر «إذا كان لله أن يتدخل ويمنع كل فعل إنساني يؤذي الآخرين، سيقول الناس، إذا كان الله طيبا وقوياً، لماذا يجعلنا عبيداً ضد إرادتنا».

كان أحد الأصدقاء يستمع لكنه بقي غير راض عن هذه الأجوبة. قال: «أعتقد أن بعض الناس وقعوا في شرك رغبتهم فى الحصول على أجوبة. الله لامتناهي وأزلي ويستحيل أن نعرف منظوره».

سألته: «هل تعتقد بأن الله نفسه يفهم المشكلة؟».

أجاب: «بالتأكيد الله يفهم ما يفعل. لكني لا أعتقد أن الجواب يكون بهذه البساطة المنطقية. إننا نرى جزءا صغيرا من بناء ضخم، وهناك شيء من الحقيقة في كل أجوبتنا، لكن لا أحد منهم يحمل كل الحقيقة. لا يمكنهم فعل ذلك، لا يمكن لعقولنا أن تحتوي منظور الله في ضخامته».

اتفقت معه: «عقل الله هو أكبر بكثير من عقولنا».

«أعتقد انه عندما يسأل الناس أسئلة عن المعاناة والشر، فإنهم لا يبحثون عن جواب منطقي على أي حال».

سألته: «عن أي شيء يبحثون؟».

«إما أنهم يبحثون عن مبررات عدم لقاءهم المسيح أو أنهم ينجرحون كثيرا ويريدون أن يعرفوا أن كانوا محبوبين وأن الله يشترك معهم في الإحساس بالجرح».

اتفق كل الأصدقاء مع هذا الرأي. لا يقف الله بعيدا عن معاناتنا. دخل الله عبر المسيح إلى عمق معاناتنا. يطمئننا الإنجيل:

لِإِنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ
شَيْءٍ مِثْلَنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ. (رساله بولس إلى العبرانيين ٤: ١٥)

الفصل الواحد وأربعون

السورة ٤٢: الشورى

هل يتكلم الله مع الناس؟ {السورة ٤٢: ٥١}

يقول القرآن بأن جبرائيل تكلم مع محمد في الوقت الذي تؤكد السورة بأن الله يحب التكلم إلى الناس، تقدم الآية ٥١ طرقا أكثر لهذا الكلام:

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ

هل يعني هذا أن الله تكلم أو مازال يتكلم إلى الناس بدون إرسال رسول إليهم؟ ما هو الإلهام أو الكلام من وراء حجاب؟

بعدما فشلت الشيوعية في وسط آسيا، بدأ الأتراك الذين يعشون هناك بالبحث عن الله فكان الشيوعيون يقولون لهم لمدة ٧٠ سنة بأن الله خرافة تحكيها النساء المسنات للأطفال.

بدأت عائلة كازاخستانية قرب نهر تالاس بقراءة القرآن والإنجيل جاء الشيوعيون السابقون بالبوليس إلى منزلهم وسألوهم عن معتقدهم كما جلبوا معهم إمامين أحدهم شاب والأخر مسن، كان الشيوعيون مازالوا يخافون من الدين وكان الإمامان يخافان من الإنجيل.

جلسوا كلهم على الأرض في الصالون وكان الجو متوترا، سأل البوليس والإمامان عن سبب دراستهم للكتب المقدسة. استهزاء منهم الإمام الشاب لحديثهم عن سيدنا عيسى المسيح.

شرحت لهم الزوجة بكل أناة:-

«ألم تكن تعرف بأن القرآن تكلم عن المسيح؟».

قال لهم الشاب بكل تأنيب: «لا لم يتكلم عنه. إنه دين الكفر».

«لكن هناك آيات تتحدث عنه». فتحت القرآن للجميع ليروا ما تتحدث عنه.

تكلم الإمام المسن ملتفتا إلى الشاب: «نعم إنها على حق».

ما الذي دفع هذه العائلة إلى البحث عن الله؟ كان سبب ذلك جزئيا هو أن الزوجة رأت حلما و عندما استيقظت، عرفت بأن الله أرسل لها بدون شك إلهاما.

ما الذي كان استثنائيا في هذا الحلم؟ رأت أعلى الجبال في العالم وكل شيء في الأفق ينحني لهم. ظهر نور من السماء وفي النور وقف شكل إنسان يلبس لباسا أكثر بياضاً من الثلج كان وجهه يرسل نورا مشعاً ينسكب في شكل أمواج تعمي الأبصار وكأنها شلالات عظيمة تعجبت لرؤية شكله ولباسه الأبيض المشع فقال لها صوت بأنها كانت تنظر إلى سيدنا عيسى في مجده، كان مجده يسود العالم كله.

تأتي تقارير من كل العالم وكل أسبوع حول هذه الأحلام بأن يزور هذا الشخص في اللباس الأبيض الخالص الناس في أحلامهم ورؤاهم، يلهم الناس بأن يستيقظوا ويبدؤوا بحثهم عن الحق.

الفصل الثاني وأربعون

السورة ٤٣: الزخرف

كتاب بالعربية {السورة ٤٣: ٣}

نَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

يوجد في العالم ٢٠٠٠٠ لغة. ما هي أصعب لغة من حيث التعلم؟ تضم اللغة الإنجليزية رسمياً مليون كلمة. تتوفر الصينية والتركية والروسية وغيرها على عدد كبير من الكلمات ونحو معقد وكذلك العربية من حيث التعقيد سواء كتابة أو تكلماً، نصل مرة أخرى إلى آية تقول بأن القرآن كتب بالعربية حتى يفهمه الناس. ١٤٠٠ سنة من قبل كانت نسبة سكان العالم التي تتكلم باللغة العربية صغيرة جداً وحتى أصغر مما هي عليه اليوم. ٣٪ فقط من سكان العالم يتكلمون العربية. إذا كان القرآن قد أرسل للجميع، فلماذا أرسل بلغة يفهما القليل من الناس.

يمكن أن يسأل شخص ما نفس السؤال عن الإنجيل. كتب باليونانية وقليل من الناس من يفهم تلك اللغة القديمة اليوم. الجواب هو أن المسيحيون يفهمون أن الرسالة أهم من اللغة الأصلية.

عودة سيدنا عيسى المسيح {السورة ٤٣: ٦١}

قال لي صديقي وهو يبتسم مزهوا بالفكرة: «نعتقد أن المسيح سيعود كما تعتقدون أنتم ذلك. عندما سيعود سيزيل كل الديانات الزائفة ويقيم الإسلام في الأرض قبل يوم الحساب».

جوابي الأول كان كالتالي: «إذا كان سيدنا عيسى سيعود قبل يوم الحساب ويقيم الدين في الأرض، ألا يجعله ذلك آخر الأنبياء».

سألت هذا السؤال عدة مرات لكن لا أحد قدم لي جوابا مقنعاً، لكن لماذا يبحث المسلمون عن عودة سيدنا عيسى على أي حال. لا يعطي القرآن إشارات واضحة حول هذا الموضوع.

تقول الآية ٦١:-

ج

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

يحب المعلقون أن يضيفوا كلماتهم الخاصة، لكننا لا نفعل ذلك.

هل يتكلم الإنجيل عن المجيء الثاني للمسيح؟ نعم وبتفاصيل كثيرة. ستمتلئ الأرض بالحروب والمعارك، تحارب الأمم بعضها البعض، وينتشر الوباء والزلازل والأحزان في الأرض. سيقوم الناس ضد أتباع سيدنا عيسى كرها، ويضهدونهم ويقتلونهم، يقول سيدنا عيسى بأن أنبياء مزيفين والمسيح الدجال سيظهرون في أماكن مختلفةٍ في نفس الوقت، ورغم كل هذه الأشياء سيبلغ الإنجيل لكل الأمم قبل يوم الحساب.

عندما يكون العالم قد سقط في ظلمات الجهل، يظهر مخادع ويحتل موقعا في مكان مقدس ويدعو الناس لعبادته. سينجح هذا المسيح الدجال لكن لوقت قصير. ثم بعد ذلك سيرجع المسيح الحقيقي ويقيم مملكة السلم العادلة، سينصب نفسه قاضياً للأحياء والأموات، كما يفرق الراعي الخرفان من التيوس، سيفرق المسيح بين أتباعه والمشركين. سيمر من ماتوا روحيا إلى الموت الأزلي في حين أن من ولدوا من جديد سيمرون للحياة الأزلية.

هل المسيحيون يؤمنون بيوم الحساب؟ بالتأكيد. نقول نعم وآمين، تعالى بسرعة يا سيدنا عيسى المسيح.

الفصل الثالث وأربعون

السورة ٤٤: الدخان

السورة ٤٥: الجاثية

المزيد من الصور الدرامية {السورة ٤٤: ٤٣-٤٨}

أحيانا تصبح أوصاف جهنم مهولة. تقدم هذه الآية صورة مروعة عن جهنم:

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾

السورة ٤٤ و٤٥ هما سورتان قصيرتان لكنهما مليئتان بتحذيرات قوية للمشركين بأنهم سيعاقبون في حين يتم وعد المؤمنين بنساء شابات وجميلات سيتكونن في انتظارهم في الجنة، لا نعرف إن كان المعنى حرفيا أو رمزيا، في كلتا الحالتين يفرق القرآن بوضوح بين الجنة والنار.

الفصل الرابع وأربعون

السورة ٤٦: الأحقاف

القرآن يؤكد صحة الإنجيل {السورة ٤٦: ١٠}

هذا دليل واضح على أن التوراة والزبور لم يحرفا. تقول الآية ١٠:-

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

لنفكر في الأمر، يتهم المشركون محمد بأنه اختلق القرآن أو أنه يتكلم تحت تأثير جني، كجواب على ذلك، تطلب الآية ١٠ من المشركين أن يقارنوا بين كلام محمد وكتاب موسى، لو كانت التوراة محرفة وقت نزول الآية ١٠، لما أشار محمد إليها كمصدر موثوق به للحقيقة حسب القرآن، ليس هناك شك بأن التوراة والزبور والإنجيل لا يمكن أن يكونوا محرفين، كل من يدعي غير ذلك فكأنه يقول بأن القرآن خاطئ.

الفصل الخامس وأربعون

السورة ٤٧: محمد أو القتال

أن تكون مرتاحاً أو لا تكون {السورة٤٧ : ٢٠}

نعود في هذه السورة إلى القتال ضد المشركين، لم يكن كل أتباع محمد يحبون فكرة الذهاب إلى المعركة.

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ

تحذر هذا السورة المسلمين الذين تملَّك الخوف منهم و يمكنهم أن يرتاحوا لبعض الوقت، لكن السورة تقول لهم بأن الملائكة ستتوفاهم ويضربون وجوههم وأدبارهم.

كما تستمر السورة في حث المسلمين على الجهاد وتطلب منهم أن لا يدعوا إلى السلم وهم الأعلون، ربما يكون هذا هو السبب الذي يفسر لماذا تكون عادة مباني المسلمين أعلى من كل المباني الأخرى، مثلا بنى آل سعود برجا به ساعة ضخمة في مكة أعلى من البرج الذي يحمل ساعة البيغ بن في لندن إن رمزية امتلاك أعلى المباني تذكرنا بكل قوة بأن الإسلام يسعى أن يكون هو الأعلى.

الفصل السادس وأربعون

السورة ٤٨: الفتح

الفتح {السورة ٤٨}

بانتقالنا من السورة السابقة نقف هنا على صورة مناسبة جدا. سواء تكلمنا عن الأبراج أو الاقتصاد أو الجيوش أو المساجد أو الكنائس، يتصور القرآن بأن الإسلام سينتصر على الدين الزائف.

وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {الآية ٦}

يشتكي عدد من الناس من القوى الإمبريالية في القرن ٢١، ما هو الهدف الخبيث لهذه القوى؟ ما مدى خطورة هذا التهديد؟ هل هي مشابهة لمن ذكرهم القرآن بأنهم «ظانين بالله ظن السوء؟».

الفصل السابع وأربعون

السورة ٤٩: الحجرات

الشك {السورة ٤٩: ١٥}

ماذا يجب أن نفعل مع الشك؟ متى يمحي الشك الإيمان؟ يحذر القرآن بأن المسلمين الحقيقيين هم من لا يشكون:-

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ.

ربما تكون الإحالة هنا على من رفضوا القتال أو هربوا من المعركة، أو ربما تحيل على من توقفوا عن إقامة الصلاة، غير أن هذه التصرفات هي سلوكيات خارجية. ماذا عن القلب؟ من الممكن أن يشارك شخص في المعركة أو أن يقيم الصلاة غير أنه لا يؤمن حقيقة بالله! كما يمكن أن يتعايش الإيمان والشك في نفس الشخص. تجرنا الأفكار والمشاعر في اتجاهين في هذا المكان حيث تفترق الطرق، هل نخاف أن يعاقبنا الله على الشك، او نقول كما قال رجل لسيدنا عيسى:-

فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو الْوَلَدِ بِدُمُوعٍ وَقَالَ: «أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي».

{مرقس ٩: ٢٤}

الفصل الثامن وأربعون

السورة ٥٠: ق

أقرب من حبل الوريد {السورة ٥٠: ١٦-١٧}

أرادني صديقي أن أعرف بأن أي شيء أفعل هو مراقب: «الله أقرب إليك من حبل الوريد و يوجد ملاك عن يمينك وملاك عن شمالك يكتبون أي شيء نفعله».

هل تهدف الآية إلى طمأنتنا أو تخويفنا؟ لست متأكدا، قرأ أحد أصدقائي الآية وقال:-

«يبدو وكأن الله يحذر المشركين بأن له القدرة على قتلهم»

لقد مات محمد بسبب التسمم على ما يبدو وهو في سن ٦٢ عاماً قال بأن السم كان يقطع حبل وريده و فى خلال المعارك كان المحاربون يضربون الأعناق وذلك بهدف إحداث جرح قاتل لأنه أضعف مكان في الجسم البشري.

تتركنا الآية ١٧ شيئا ما حائرين حول ما إذا الله أو الملائكة هم الأقرب إلى البشر، هل يعلمنا القرآن بأن الله قريب منا أو بعيد في أعلى السماوات؟ هل يعتقد المسلمون بأنه يمكن لأي إنسان أن يصل إلى مرتبة الحضور مع الله بنفسه ؟.

ذات مرة سألت صديقاً مسلماً آخر عن ما إذا كنا سنلتقي بالله يوماً ما؟. «لا اعتقد ذلك، ربما سيقابله محمد لكن لن يقابله الناس العاديون». تقول الآية ٨٤ من السورة ٤٣:-

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

يمكن أن نقول بأن الآية تتحدث عن سلطة الله لا عن حضوره و في هذه الحالة لن يكون أقرب إلينا من حبل الوريد.

الإسلام هو دين التوحيد فأنه يعلمنا بأنه لا يوجد تقسيم لشخص الله، تجعل هذا هذه الآية

ذات أهمية لأننا نكتشف بأن الله حاضر في كل مكان، يوجد الله في الأرض ويوجد في السماء، هذه أماكن مختلفة بظروف مختلفة، هل نحن في حضور الله مادام الملائكة يوجدون في السماء ؟. هل ستعرف الجنة حضور الله بنفس الطريقة التي يحضر بها في الأرض وفي أعلى السماوات؟

تساعدني صورة الله في السماء وسيدنا عيسى المسيح في الأرض على الفهم، لقد تجلت المحبة في ثلاثة مستويات يمكن أن يوجد الله في الأرض وفي السماء يحكم كل السماء كسيد وهو حاضر على الأرض كروح الله فأنه ليس هو بمحدد بالمكان ولا الزمان ولا الأزل.

الفصل التاسع وأربعون

السورة ٥١ : الذاريات

الغفران {السورة ٥١: ١٨}

كيف نحس بالذنب؟ هل هو ثقيل؟ وسخ؟ مرعب؟ وُجد الضمير كمنبه ليقول لنا بن شيئاً ما خطأ. كيف نتخلص من شعور الذنب والعار؟ بعض الناس يتضرعون إلى الله؟ تقول الآية١٨:-

وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ.

ندعو الله لكن هل الله يغفر لنا ذنوبنا؟ ماذا لو ارتكبنا الذنب مراراً وتكراراً ؟ يذهب الناس إلى الأماكن المقدسة ويصلون ويلبسون أحذيتهم مرة ثانية ويعودون إلى ارتكاب الذنوب مرة أخرى ذنب، مغفرة ثم ذنب. ما الغاية إذن؟

سأل أحد الأشخاص زعيما عظيما: «هل طلبت المغفرة في حياتك؟». فكر قليلاً ثم قال «لا لم أفعل ذلك حقاً، لست متأكدا من أنني ارتكبت خطأ ما».

أي شخص يقول بأنه لم يرتكب ذنباً هو كاذب لكن إذا اعترفنا بذنبنا، فإن الله المخلص والعادل سيغفر لنا ذنوبنا ويطهرنا من كل أخطائنا.

البحث عن المغفرة ليس لعبة حظ، يعتقد بعض الناس بأن الله لا يعطي ضمانات حول إمكانية الغفران، يمكن أن يغفر كما يمكن أن لا يغفر ينقص هذه الصورة مفتاحاً أساسياً، يغفر الله تنفيذاً لوعوده لقد وعد أن يغفر من خلال تضحية الحمل وأن لا يمكن لله أن يكذب.

ذات ظهيرة جلست عائلتي مع بعض الأصدقاء وقلت لهم بأن الله يفي بوعوده فأن الله جدير بالثقة أكثر من أي شيء في هذا العالم. يعدنا الله بأنه إذا اعترفنا بذنوبنا فإنه سيغفرها لنا ويعطينا الحياة الأزلية.

أحمر وجه زوجة مضيفنا ورفعت صوتها قائلة: «لا هذا غير صحيح لا يمكن أن يعرف أي إنسان بأنه قد غفر له وأنه سيكون من أهل السماء، أين هي الضمانة؟».

قلت وأنا أرفع الإنجيل بيدي: «ها هي الضمانة. هذا هو الوعد الذي أعطاه الله. هل الله أقل إخلاصاً لوعده من الضمانات التي تعطيها الشركات على منتجاتها؟ إذا قال الله بأنه سيفعل شيئاً، سيفعله بالتأكيد لا شك في ذلك.

مغفور وغافر

ذات يوم جاء تلاميذ سيدنا عيسى إليه وطلبوا منه أن يعلمهم الصلاة:-

أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ،
لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ.
لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ.
لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ
كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ.
خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ.
وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا.
وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ،
لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ.
لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.
(متى ٦: ٩-١٣)

بالمسيح يسوع ربنا لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين.

إذا رفضنا أن نغفر لإنسان فذلك يعني أننا لم نفهم حقا معنى الغفران الإلهي.

هاتَفني أحد الأصدقاء في وقت متأخر من الليل ليسألني: «هل شاهدت نشرة الأخبار؟».

أخبرته بأنني لم أفعل أقلقتني نبرة صوته.

«يجب أن تبحث في الإنترنت وتقرأ ما حدث».

شكرته على المكالمة وفتحت أحد المواقع الإخبارية انقبض قلبي وأنا انظر إلى الشاشة حيث يقول الخبر بأن إرهابيين قتلوا ثلاثة رجال بوحشية في مكتب لتوزيع الإنجيل بالشرق الأوسط، في اليوم التالي عرفنا تفاصيل الحادث أخذ بعض الناس موعداً مع بعض المسيحيين على أساس ادعائهم بأنهم يرغبون في معرفة المزيد عن الكتب المقدسة كان اثنان من

العاملين في هذا المكتب قد نشئوا مسلمين ثم غيروا دينهم إلى المسيحية بعد أن أحبوا المسيح نشأ الرجل الثالث في أوروبا العلمانية وأصبح مسيحياً هناك لا أحد يعرف الأسباب الحقيقية التي دفعت الأشخاص العدائيين إلى قتل المسيحيين المسالمين الثلاثة.

بدأ هذا اليوم الرهيب بسلام جلس شابان بالمكتب يدَّعون أنهم يريدوا طرح بعض الأسئلة.

قال لهم مسيحي ألماني: «هل تريدون بعض الشاي؟».

التحق بهم آخرون ليصل العدد إلى خمسة مع انتصاف الصباح حضر كل العاملين بالمكتب وأصبحوا ثلاثة وقد حاولوا الإجابة عن أسئلتهم حول التوراة والمسيح والإنجيل. أصبح الشباب قلقين وبدت علامات الغضب على زعيمهم.

فجأة انتفض الشباب الخمسة وسيطروا على الرجال المسيحيين وبرزت السكاكين و قيدوهم من أرجلهم وأيديهم، وبدأ بعض الشباب بتفتيش المكتب هل كانوا يأملون في العثور على مسدسات أو مخدرات ؟ من يدري؟ كانوا على ما يبدو يصدقون كثيراً مما يقال عن المسيحيين لم يكن هناك مسدسات بل فقط كتب مقدسة حول محبة الله.

كان زعيم الإرهابيين يصرخ في وجه المسيحيين الثلاثة الذي كانوا يجلسون بغير حراك على أرض المكتب «من أرسلكم؟». كانوا يطعنونهم باستمرار وكان المسيحيون الثلاثة يئنون ويتضرعون لإنقاذ حياتهم.

أستمر التعذيب لبضع دقائق لم يموتوا فقام أحدهم بقطع أعناقهم! لا أستطيع أن أصف هذا المنظر البشع.

حضر أحد الأصدقاء المسيحيين خارج المكتب لم يستطع فتح الباب المغلق هاتف الشرطة التي حضرت بعد وقت قصير وكسرت الباب ووجدوا الإرهابيين مازالوا موجودين وهم ملطخون بالدماء لقد مات أثنان منهم ونقل الثالث إلى المستشفى ليموت جراء جروح وفقدان دم كثير.

ترك اثنان منهم زوجتين وترك الثالث خطيبته لقد انتشر الخبر في وسائل الإعلام دقائق بعد وصول الشرطة حتى قبل أن تعرف الأرامل عنه بسبب شح المعلومات انتظرت الزوجتان في المستشفى لساعات لمعرفة ما حدث لقد كان لهم أطفال صغار وكان للحادث وقع كبير على الجميع.

أيام بعد ذلك دفنت عائلات الضحايا أحبائهم وقد شاهد العالم ردة فعل الأرامل على التلفاز، هل سيطالبون بالانتقام ؟هل سيلعنون أعدائهم؟ هل سيحقدون؟ قالت إحدى السيدات أمام جمع السكان:-

أردنا أن نأتي هنا لنسكن كمسيحيين. إنه وقت عصيب بالنسبة لنا. فقدت صديق العمر وفقد أبنائي أباهم. لكني أعرف أن زوجي مات كشهيد بإسم سيدنا عيسى المسيح لم يذهب دمه

عبثاً بالنسبة لهذه الأرض فهذه بداية جديدة قال المسيح للناس وهو على الصليب: «أغفر لهم يا أبي فإنهم لا يعرفون ما يفعلون» وأريد أن أفعل نفس الشيء.*

اختاروا الغفران كما فعل المسيح وكما غفر لهم.

* James Wright, The Martyrs of Malatya, EP Books, Welwyn Garden City, UK, pp 164-165.

الفصل الخمسون

السور ٥٢-٦١

السور الأقل طولاً

تتحدث كل هذه السور النهائية عن الجزاء في الجنة {أنهار من ماء، وشراب لذيذ، نساء جميلات، وخدم، وأرائك للراحة...} وعن العقاب عن الذنوب {النار، الدخان الأسود، الماء المغلي، الهلاك المفاجئ، الحساب}

المياه المالحة والعذبة {السورة ٥٥: ١٩}

«هل تعرف أن القرآن تنبأ بأن هناك حد فاصل بين المياه المالحة والمياه العذبة؟ كان هذا ما أقنع كوسطو بأن يُسلم». كان صديقي فرحاً لمشاركته هذا الخبر معي، معتمداً في ذلك على الآية ١٩ من السورة ٥٥.

نشأت كطفل بالقرب من نهر كبير، من أكبر الأنهار في العالم، مثل نهر النيل والأمازون يحمل النهر مياه الأنهار والفيضانات لمسافة ٣٠٠٠ كيلومتر وفي الأخير تلتقي كل الأنهار بمياه البحر حيث يوجد حد خفي وفاصل بين المياه العذبة والمياه المالحة، صحيح أن الله وضع هذا الحد الفاصل بين المياه المالحة والعذبة.

مرة كنت أتجول أنا وزوجتي في أرض إبراهيم بسيارة مأجورة فى ذات صباح مشرق اشترينا قهوة وخبزا واتجهنا شمالا و بعد ساعات، انحدرت الطريق إلى وادي بحر الجليل وشاهدنا الصيادين يرمون شباكهم في المياه العذبة وأكلنا الفلافل في العشاء.. بعد ذلك اتجهنا جنوباً وكنا نسوق فوق المياه العذبة لنهر الأردن و أصبحت الأرض قاحلة في وادي نهر الأردن كانت مياه النهر تجري عبر المياه العذبة لبحر الجليل ثم تصب جنوبا في النهر الميت لقد تتبعنا تدفق المياه إلى حدود البحر الميت كان البحر مختلفاً كلياً وبطريقة غريبة ذاب فيه كثير من الملح لدرجة أن الغطس يُمنع فيه يطفوا الناس من أسفل إلى أعلى كقطعة فلين.

لقد كون الناس أفكارا حول البحرين والنهر الذي يربط بينهما. بحر عذب ومليء بالحياة في حين أن البحر الآخر مليء بالملح وميت كالقبر. بينهما يتدفق نهر الأردن بمياه نقية. لكن رغم الكميات الكبيرة من الماء العذب التي يصبها نهر الأردن في البحر الميت، لا شيء يتغير في هذا الأخير و يبقى هناك حائط غير مرئي.

هل كان العرب يعرفون هذه الحقائق المذهلة حول الطبيعة؟ بالتأكيد كانوا يعرفون الكثير عن النيل والبحر الميت. هذا لا يعني أنه لا يمكن لله أن يكشف عن شيء مدهش لرسله. غير أن هذا يعني أن مسألة الحد الفاصل بين المياه العذبة والمياه المالحة ليس بسر على الإطلاق.

هل تنبأ سيدنا عيسى بمجيء محمد؟ {السورة ٦١: ٦}

يسألني صديقي المسلم أحياناً كثيرة هذا السؤال: «ألا يتحدث الإنجيل عن بعثة محمد؟». رأينا في ما سبق بأن كلمة «أحمد» التي تعني محمود لا توجد في الكتب السابقة ولا توجد في اللغة العبرية ولا اليونانية ولا الآرامية. يمكن أن يدعي أحد أن القرآن يتحدث عن آية فقدت من الإنجيل. كيف يمكن لأي شيء من كلمة الله أن تفقد؟ بالإضافة إلى ذلك الحميد هو من بين أجمل أسماء الله الحسنى. وتبعاً لذلك، فأتباع سيدنا عيسى يثقون في وعد نبيهم بأن مساعداً آخر سيأتي بعده ليكون روح الله، والذي سيكون الحميد حقاً.

الفصل الواحد وخمسون

السور ٦٢-٧٠

صلاة الجمعة ليست اختيارية {السورة ٦٢: ٩-١١}

ماذا يحدث في كل المجتمعات المسلمة يوم الجمعة؟ يؤذن المؤذن للصلاة، يتوضأ المؤمنون ويذهبون للمسجد ليؤدوا الصلاة.

ما هو الشيء الآخر الذي يحدث يوم الجمعة؟

«الكثير من هؤلاء الناس ليسوا بمسلمين صادقين»، قال صديقي وهو ينظر إلى جموع المصلين حوله وهم يملؤون الشوارع.

سألته لأعرف المزيد: «لماذا؟».

«فقط تشاهدهم يوم الجمعة، فهم لا يتوقفون عن البحث عن المال والتسلية، ولو لثانية. لا يفكرون في الله ولا العبادة». كانت على وجهه علامات التقزز.

القرآن واضح جداً حول صلاة يوم الجمعة. لنقرأ الآيات كلها:-

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

هل هناك عذر للمؤمن عن صلاة الجمعة؟ لكن المسلمين لا يذهبون كلهم للمساجد ولو مرة في الأسبوع. مثلا يذهب فقط ٥٤٪ من المسلمين إلى صلاة الجمعة في المغرب، ٦١٪ في مصر، ١٠٪ في كازاخستان، ٧٢٪ في إندونيسيا، ٤٤٪ في تركيا، ٩ ٪في أز بخستان.

روح الله ليس بملاك

كأحد أتباع المسيح لست متأكدا من رأيي في الموضوع. لا يمكن للأطباء ورجال الشرطة أن يتوقفوا عن العمل. هناك استثناءات. غير أن العديد من الناس يستمتعون بشرب القهوة والتدخين أو التحدث إلى صديقة أو يعقدون صفقات تجارية وقت صلاة الجمعة.

بالتأكيد يمكن لأي شخص أن يتحدث عن نفاق المسيحيين أيضاً، يجب أن أُقر أولاً بأن ملايين من المسيحيين لم يدخلوا بناية الكنيسة لعقود و إذا سألنا هؤلاء الألمان أو الفرنسيين عن سبب عدم ذهابهم إلى الكنيسة، يكون جوابهم في الغالب هو أنهم لا يؤمنون حقاً بالدين، هل هذا هو نفس السبب الذي يبرر به العدد الكبير من المسلمين عدم ذهابهم للمسجد؟ هل لهذا الأمر أهمية؟ هذا سؤال أتركه لأصدقائي للإجابة عليه.

المنافقون {السورة ٦٣}

وكأن هذه السورة قد استبقت تقريباً السؤال السابق أظهر هؤلاء المسلمون علامات مقنعة وجيدة عن إسلامهم، لكن محمد يقول إنك إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة.

روح الله نفخت في مريم {السورة ٦٦: ١٢}

هذه إشارة أخرى إلى روح الله بأن روح الله ليس بملاك:-

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ

الفصل الثاني و الخمسون
السور ٧١-٧٨

اقرأ القرآن {السورة ٧٣: ٢٠}

مات جار لنا بالقرية وقد سافر أقرباؤه من بلدان بعيدة وجاء كل الجيران إلى بيته من أجل مراسيم الدفن جاء إمام ليقرأ القرآن. جلست أنا وعشرات من الناس في غرفة نستمع للإمام وهو يرتل القرآن ولا أحد في الغرفة كان يتكلم العربية، كانت لغة أجنبية بالنسبة لهم. تابع الإمام ترتيله لبضع دقائق. نظرت إلى الناس في الغرفة. كان الناس يحدقون في الفضاء وبعض الأحيان يقولون «بسم الله».

تقول الآية ٢٠:-

فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ.

يعني هذا أنه يجب ترتيل القرآن بصوت مرتفع. أنا أقرأ القرآن بمساعدة الترجمات وماذا عن أصدقائي في مراسيم العزاء؟ أكدوا أنهم لا يفهمون الإمام. كيف يمكن لأصوات غير مفهومة أن تكون مفيدة لهؤلاء الناس؟

قال أحدهم: «تمهل، يعرف المسلمون ما يحمله القرآن من معاني حتى وإن لم يستطيعوا قراءته».

في وقت متأخر من الليل جلست مع مجموعة من الناس في منزلهم وكانوا مسلمين مخلصين وكانوا يتكلمون اللغة العربية كلغة الأم، قالت الجدة بأن مصافحة المرأة للرجال حرام.

كنا نتكلم عن الله وسألتهم إن كانوا يعرفون قصة نوح والطوفان في القرآن. بعد لحظات من الإحراج بقيت أعينهم تنظر إلى خالية من التعبير. قالت الجدة بأنها لم تسمع بالقصة من قبل. تذكر إبن أخيها بعض القصة وحكاها لنا.

فاجأني جوابه. حكى القرآن قصة نوح أكثر من مرة ربما أكثر من قصة موسى وفرعون. ورغم ذلك لم يكن هؤلاء المسلمون المخلصون يعرفون الكثير عنها، هل هناك شيء أهم من ترديد الكلمات؟

مزيدا من الجزاء والعقاب {السور ٧٣-٧٨}

تقدم لنا هذه الصور القصيرة التباينات بين المؤمنين والمشركين. رفض المشركون في زمن محمد رسالته وقد دافعت عدة آيات عنه وأكدت بأنه ليس بمجنون ولا كاهن و قد حذرهم بأنهم سيستهزئون به لبعض الوقت لكن الله سيبعثهم من الموت ويعذبهم يوم الحساب.

الفصل الثالث والخمسون

السور ٧٩-٨٧

رجل أعمى {السورة ٨٠: ١-٢}

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ، أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ

«كنت أعمى والآن أبصر»، أجاب المتسول الفقير الزعماء اليهود الصارمين. ولد الرجل أعمى وأمضى سنوات من عمره وهو يتسول و لم يستطع أبواه فعل شيء لعلاجه لم يكن الطب قادرا على ذلك ولم يقدر الأطباء على فعل أي شيء.

ذات يوم مر رجل بجانبه و لم يكن أي إنسان، في ذلك اليوم كان سيدنا عيسى المسيح يمشي في القدس وعندما نظر سيدنا عيسى إلى الرجل الأعمى، لم ير رجلاً مريضا بل إنسانا خُلق على صورة الله فا أخذ تراباً وخلطه بريقه ووضعه على عيني الرجل وطلب منه أن يغسل عينيه، وثق الرجل بسيدنا عيسى وفعل ما أمره به. عندما غسل الرجل عينيه، استطاع أن يرى ثانية.

يستطيع الله وحده أن يشفي جسدياً وروحياً العميان بمعجزة منه. هو الوحيد الذي يملك القدرة على منح الحياة والموت.

في لوح {السورة ٨٥: ٢٠-٢١}

من المهم جداً أن نتذكر الآية ٢١. تقول بأن القرآن محفوظ في لوح يقول محمد بأن جبرائيل قرأ عليه الآية. قال بأنه لا يقرأ ولا يكتب، إذن لم يكن بإمكانه قراءة اللوح حتى لو أنه كان قد رآه.

أين هو هذا اللوح؟ هذا من أكبر الألغاز في الإسلام! إذا كان اللوح كتبه الله ومحفوظاً في السماء، كيف لا يكون أبدياً بجانب الله؟ يعتقد أغلب المسلمين بأن اللوح أزلي، يوجد للأبد في السماء. يصعب علينا فهم السبب الذي يجعل كتاباً أبدياً يتكلم أشياء كالطلاق ودم الحيض

وعدد الزوجات التي يمكن للرسول أن يتزوجهم. لماذا سيفكر الله في هذه الأشياء للأبد ؟، في الوقت الذي تكون فيه هذه الأشياء مؤقتة ؟. بتعبير آخر لماذا يهتم كتاب أزلي بمسائل تاريخية؟ إذا كان القرآن أبدياً، فقد تم رفع المسائل الأرضية إلى مستوى مسائل إلهية وأبدية.

لا يعتقد اليهود والنصارى بأن الكتب السابقة هي أزلية، لكنها كُتب أُرسلت في الزمن عبر بشر كانوا يعيشون على مر التاريخ، كما أنه كان ربما بإمكان الله أن يفكر في آدم و سيدنا موسى أنه أيضاً خلق أيضاً النجوم والأشجار قبل خلقهم فقد كان كذلك بإمكانه التفكير في الكتب السابقة قبل إرسالها للبشر؟ لكن هذا يختلف عن القول بأن آدم والكتب السابقة وجدت للأبد جنباً إلى جنب مع الله في السماء.

الفصل الرابع والخمسون
السور ٨٨-١١٤

ما هي مشكلتنا {السورة ٩٨: ٥}

نقترب من نهاية القرآن. رأينا العشرات من الآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب. غير أن هذه الآيات تطرح لدينا عدة أسئلة. لنتمعن الآية ٥ من السورة ٩٨:-

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ.

لا ذكر هنا للمشركين، ولا للأصنام ولا للشرك ولا لمقاومة الرسول. غير أن الآية ٦ من السورة ٩٨ تحذر المشركين من أهل الكتاب بأن مصيرهم جهنم.

تقدم السورة ١٠٩ جوابا إلى غير المسلمين:-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

في ضوء الآية ٤٦ من السورة ٢٩ وآيات أخرى نسأل هذا السؤال، هل تعني هذه الآية بأن اليهود والنصارى والمسلمين يعبدون نفس الإله أو يعبدون آلهة مختلفة؟

الله لم يولد {السورة ١١٢}

أقف الآن على نهاية رحلتي مع القرآن التي قمت بها خطوة خطوة وقرأت خلالها القرآن آية

آية ودرسته خلالها من البداية إلى النهاية بعدة لغات. أرجع الآن في نهاية رحلتي إلى السؤال الجوهري: الله واحد. إذن من هو سيدنا عيسى المسيح؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

تقول الآية بكل وضوح بأن الله لم يلد ولم يولد. أفهم الولادة على أساس أنها تعني معنيين أساسين:

١- أن تخلق حياة جديدة

٢- أن يتحقق الإنفصال عندما يلد رجل وامرأة ولدا، يكون هذا الأخير مخلوقاً جديداً لم يسبق له أن وجد من قبل بعد تسعة أشهر من الحمل، يزداد الولد وينفصل عن أمه ولا يتغذى من الطعام الذي تمرره الأم له عبر دمها فينفصل بذلك الولد عن الأم و يفترق الولد والأم للأبد، ليعيشوا كل حياته بأرواح ومصائر مختلفة.

و بعد أن قرأت بكل تمعن التوراة والزبور والإنجيل وبعد أن قرأت كل كلمة من القرآن، أصل الآن إلى الآية ١١٢.

عندما أقرا «لم يلد ولم يولد»، أجدني أعطي جوابا بسيطا. الله لم يلد إلها منفصلا عنه ولا وُلد من إله آخر. يمكن أن نقول بأن الله لم يخلق إلها آخر ولم يُخلق من إله آخر. إنه واحد للأبد.

«الآن أصبحت مسلما إذن، ولم تعد مشركا».

هل كنت في أي وقت متهما بالشرك؟ يقول الإنجيل بأن الله لم يلد سيدنا عيسى بالطريقة التي يلد بها الآباء ابنا جديدا منفصلا عنهم. لا يعتقد المسيحيون بأن سيدنا عيسى كان داخل الله خلال فترة حمل روحي، ثم ولد بعد ذلك لينفصل عنه كإله جديد ومنفصل. حاشا أن يكون ذلك! الآية ٣ من السورة ١١٢ صحيحة بهذا المعنى، الله لم يلد إلها ثانيا وأنه ليست له بداية، أي أنه لم يولد من إله آخر.

«أنت تلعب لعبة ذهنية معي الآن». أتأسف إن شعر أحد بذلك. هذا الأمر هو مهم جدا ولا يمكن أن يكون لعبة. يتمحور كل شيء على مسألة الكلمة الأبدية لله.

في سنة ٣٢٥ اجتمع القادة المسيحيون بنيقيه بالأناضول لمناقشة هذا اللغز

من هو سيدنا عيسى المسيح؟ وقع اتفاق بينهم بعد دراسة متأنية للإنجيل. بعد بحثهم عن العبارة المثالية لوصف كلمة الله اختاروا (μονογενής monogenēs) لا تعني هذه الكلمة ولادة مخلوق جديد ومنفصل. لا تعني كلمة «خلق» في الإنجيل التقسيم أو الانفصال بل الوحدانية. تخيل شلالا أبديا يتدفق من نهر، أو قوس قزح من المطر أو الحب من قلب

محب. كتب المؤمنون في نيقيه:-

«أؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا ي وبرب واحد عيسى المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قب قانون الايمان نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، يساوي الآب فى الجوهر.»

سألني صديقي وبه رغبة حقيقية للفهم: «لماذا؟ لماذا يرسل كلمة الله كطفل رضيع؟ ولماذا يواجه الإبن كل آلام الطفولة وهوان الشباب؟ ولماذا المعاناة من الرفض العدائي من قومه؟ ولماذا الموت على الصليب الروماني؟ لماذا...؟».

يقول المؤمنون:-

«الله أكبر». تعلمت من والدي أن أصلي وقت الأكل: الله أكبر. الله خير». كان القرآن محقا في ذلك.

نظرت إلى صديقي في عينيه وقلت له: «لماذا سيدنا عيسى؟ لأن الله هو المحبة».

استرخى ورد الابتسامة: «أعتقد أنني بدأت أفهم».

عقيدة مجمع خلقيدونية

نسير إذن على نهج آباءنا المقدسين وفي اتفاق تام، ونعلّم الناس أن يعترفوا بإبن واحد، ربنا سيدنا عيسى المسيح الذي هو مساو في الألوهية والإنسانية؛ إله حقيقي وإنسان حقيقي بروح عقلانية وجسد له نفس طبيعة الإله وله نفس طبيعة الإنسان لقد ولد قبل كل الأزمان، كان أبا حسب الألوهية وفي الأيام الأخيرة ومن أجلنا ومن أجل خلاصنا، ولد من مريم العذراء، أم الإله حسب الإنسانية، مسيح واحد ومشابه لذاته، إبن وإله ولد ليُعترف به في طبيعتين بدون خلط، ولا تغيير ولا تقسيم ولا انفصال لا تلغي الوحدة الفرق بين الطبيعتين، لكن يتم الحفاظ على خصوصية كل طبيعة وعلى تواجدهما في شخص واحد ووجود واحد، غير منقسمين أو منفصلين في شخصين، لكن ابن واحد ولد فقط كالله الكلمة الرب سيدنا عيسى المسيح. نتسلم إيمان آباءنا المقدسين كما صرح بذلك الأنبياء بشأن المسيح منذ البداية وكما علمنا سيدنا عيسى المسيح نفسه.

ملحق

سور القرآن مرتبة حسب زمن النزول

الترتيب	السورة	عدد الآيات	مكان النزول	ترتيبها في القرآن
٠١	العلق	١٩	مكية	٩٦
٠٢	القلم	٥٢		٦٨
٠٣	المزمل	٢٠		٧٣
٠٤	المدثر	٥٦		٧٤
٠٥	الفاتحة	٠٧		١
٠٦	المسد	٠٥		١١١
٠٧	التكوير	٢٩		٨١
٠٨	الأعلى	١٩		٨٧
٠٩	الليل	٢١		٩٢
١٠	الفجر	٣٠		٨٩
١١	الضحى	١١		٩٣
١٢	الانشراح	٨		٩٤
١٣	العصر	٣		١٠٣
١٤	العاديات	١١		١٠٠
١٥	الكوثر	٣		١٠٨
١٦	التكاثر	٨		١٠٢
١٧	الماعون	٧		١٠٧
١٨	الكافرون	٦		١٠٩
١٩	الفيل	٥		١٠٥
٢٠	الفلق	٥		١١٣
٢١	الناس	٦		١١٤
٢٢	الإخلاص	٤		١١٢
٢٣	النجم	٦٢		٥٣
٢٤	عبس	٤٢		٨٠
٢٥	القدر	٥		٩٧
٢٦	الشمس	١٥		٩١
٢٧	البروج	٢٢		٨٥
٢٨	التين	٨		٩٥
٢٩	قريش	٤		١٠٦
٣٠	القارعة	١١		١٠١
٣١	القيامة	٤٠		٧٥
٣٢	الهمزة	٩		١٠٤
٣٣	المرسلات	٥٠		٧٧
٣٤	ق	٤٥		٥٠
٣٥	البلد	٢٠		٩٠
٣٦	الطارق	١٧		٨٦
٣٧	القمر	٥٥		٥٤
٣٨	ص	٨٨		٣٨
٣٩	الأعراف	٢٠٦		٧
٤٠	الجن	٢٨		٧٢
٤١	يس	٨٣		٣٦
٤٢	الفرقان	٧٧		٢٥
٤٣	فاطر	٤٥		٣٥
٤٤	مريم	٩٨		١٩
٤٥	طه	١٣٥		٢٠
٤٦	الواقعة	٩٦		٥٦
٤٧	الشعراء	٢٢٧		٢٦
٤٨	النمل	٩٣		٢٧
٤٩	القصص	٨٨		٢٨
٥٠	الإسراء	١١١		١٧
٥١	يونس	١٠٩		١٠
٥٢	هود	١٢٣		١١

٥٣	يوسف	١١١		١٢
٥٤	الحجر	٩٩		١٥
٥٥	الأنعام	١٦٥		٦
٥٦	الصافات	١٨٢		٣٧
٥٧	لقمان	٣٤		٣١
٥٨	سبأ	٥٤		٣٤
٥٩	الزمر	٧٥		٣٩
٦٠	غافر	٨٥		٤٠
٦١	فصلت	٥٤		٤١
٦٢	الشورى	٥٣		٤٢
٦٣	الزخرف	٨٩		٤٣
٦٤	الدخان	٥٩		٤٤
٦٥	الجاثية	٣٧		٤٥
٦٦	الأحقاف	٣٥		٤٦
٦٧	الذاريات	٦٠		٥١
٦٨	الغاشية	٢٦		٨٨
٦٩	الكهف	١١٠		١٨
٧٠	النحل	١٢٨		١٦
٧١	نوح	٢٨		٧١
٧٢	ابراهيم	٥٢		١٤
٧٣	الأنبياء	١١٢		٢١
٧٤	المؤمنون	١١٨		٢٣
٧٥	السجدة	٣٠		٣٢
٧٦	الطور	٤٩		٥٢
٧٧	الملك	٣٠		٦٧
٧٨	الحاقة	٥٢		٦٩
٧٩	المعارج	٤٤		٧٠
٨٠	النبأ	٤٠		٧٨
٨١	النازعات	٤٦		٧٩
٨٢	الإنفطار	١٩		٨٢
٨٣	الإنشقاق	٢٥		٨٤
٨٤	الروم	٦٠		٣٠
٨٥	العنكبوت	٦٩		٢٩
٨٦	المطففين	٣٦		٨٣
٨٧	البقرة	٢٨٦	مدنية	٢
٨٨	الأنفال	٧٥		٨
٨٩	آل عمران	٢٠٠		٣
٩٠	الأحزاب	٧٣		٣٣
٩١	الممتحنة	١٣		٦٠
٩٢	النساء	١٧٦		٤
٩٣	الزلزلة	٨		٩٩
٩٤	الحديد	٢٩		٥٧
٩٥	محمد	٣٨		٤٧
٩٦	الرعد	٤٣		١٣
٩٧	الرحمان	٧٨		٥٥
٩٨	الإنسان	٣١		٧٦
٩٩	الطلاق	١٢		٦٥
١٠٠	البينة	٨		٩٨
١٠١	الحشر	٢٤		٥٩
١٠٢	النور	٦٤		٢٤
١٠٣	الحج	٧٨		٢٢
١٠٤	المنافقون	١١		٦٣
١٠٥	المجادلة	٢٢		٥٨
١٠٦	الحجرات	١٨		٤٩
١٠٧	التحريم	١٢		٦٦
١٠٨	التغابن	١٨		٦٤
١٠٩	الصف	١٤		٦١
١١٠	الجمعة	١١		٦٢
١١١	الفتح	٢٩		٤٨
١١٢	المائدة	١٢٠		٥
١١٣	التوبة	١٢٩		٩
١١٤	النصر	٣		١١٠

الكاتب

في بداية تسعينيات القرن الماضي، انتقل جيمس رايت وعائلته إلى آسيا الوسطى التي كانت قد تحررت من هيمنة الحكم الشيوعي ليكوّن صداقات مع السكان المحليين. لقد علّمتهم المدارس الحكومية لعقود بأنه لا يوجد خالق ودمروا كل الكتب الدينية. لكن الناس عادوا ليدرسوا الكتب المقدسة مجددا لأنهم أحسوا بوجود فراغ روحي بداخلهم. ساعد الدكتور رايت وأساتذة آخرون، من خلال تركيزهم على وعد إبراهيم، مساعدة الناس على إدراك أنه مهما كانت الظلمة عميقة ، يبقى نور حب الله أقوى.